الفصل الثالث

المحدثون والمفسرون من أهل الظاهر

١ -المحدثون من أهل الظاهر.

٢ -المفسرون من أهل الظاهر .

المحدثون من أهل الظاهر

١–أبو سليمان داود بن على الأصبهانى الظاهرى (ت ٢٧٠هـ) سبق ذكره فى الفقهاء.

٢– الحافظ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (٢٠٦ - ٢٨٧ هـ = ٨٢٢ – ٩٠٠ م) سبق ذكره فى القضاة.

٣– أبو إسحاق إبراهيم بن بن جابر البغدادى (ت٣١٠هـ) سبق ذكره فى الفقهاء .

٤– ابن عرفه الشهير بنفطويه، سيذكر فى النحاة .

٥– المحدث أحمد ابن محمد المغلس البغدادي الداودي الظاهري والد الفقيه العلامة أبو الحسن عبدالله بن أحمد بن المغلس له كتاب جمع فيه مذهب الإمام داود الظاهري اسمه(الجامع لمسائل الإمام داود الظاهري) أو (الجامع لمذهب الإمام داود الظاهري).

٦– قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد الأموي القرطبي (٢٤٧ هـ- ٣٤٠ هـ/ ٨٦٢ - ٩٥١م.)

إمام حافظ، مُحدِّث. أصله من بيانة من قرطبة .سكن قرطبة ومات بها، وكان جده من موالي بني أمية. رحل إلى مكة وبغداد، وسمع من كبار العلماء.

سمع بقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، وأصبغ بن خليل، ومحمد بن عبد السلام الخشني .وطائفة بالأندلس، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، وطبقته بمكة، ومحمد بن الجهم السمري، وأبا محمد بن قتيبة، وجعفر بن محمد بن شاكر، وأبا بكر بن أبي الدنيا، والحارث بن أبي أسامة ، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، وإسماعيل القاضي ، -وأكثر عنه جدا - وأبا بكر بن أبي خيثمة -وحمل عنه تاريخه - وإبراهيم بن عبد الله القصار صاحب وكيع بالكوفة وخلقا سواهم. وفاته السماع من أبي داود، فصنف سننا على وضع سننه، وصحيح مسلم فاته أيضا، فخرج صحيحا على هيئته.

حدث عنه: حفيده قاسم بن محمد، وعبد الله بن محمد الباجي، وعبد الله بن نصر، وعبد الوارث بن سفيان، والقاضي محمد بن أحمد بن مفرج، وأبو عثمان سعيد بن نصر، وأحمد بن القاسم التاهرتي، والقاسم بن محمد بن عسلون، وأبو عمر أحمد بن الجسور،

وخلق كثير. وانتهى إليه علو الإسناد بالأندلس مع الحفظ والإتقان، وبراعة العربية، والتقدم في الفتوى والحرمة التامة، والجلالة ([1]) .

أثنى عليه غير واحد منهم العلامة ابن حزم حيث قال ". ومنها في الحديث: مصنف أبي محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح، ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن، وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات، ولقاسم بن أصبغ هذا تآليف حسان جداً، منها أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل وكلامه، ومنها كتاب المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى وهو خير منه [انتقاء] وأنقى حديثاً وأعلى سنداً وأكثر فائدة. ومنها كتاب في فضائل قريش وكنانة، وكتاب في الناسخ والمنسوخ، وكتاب في غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطإ" ([2])

وتواليف ابن حزم ، وابن عبد البر ، وأبي الوليد الباجي طافحة بروايات قاسم بن أصبغ قطع الرواية عندما كبر وأحسَّ بعدم الضبط؛ صوناً لعلمه وذلك قبل وفاته بثلاثة أعوام.

ظاهريته ونفيه للقياس: قال ابن العربى المالكى فى معرض ذمه وقدحه فى الظاهرية: "وكان عندنا فى الأندلس رجل يقال له: قاسم بن اصبغ، رحل وروى الحديث، وعاد فأسند وادعى أنه لا قياس ولا نظر "([3])

من مصنفاته: السّنن على منوال سنن أبي داود؛ مسند مالك؛ بر الوالدين؛ الصحيح على هيئة صحيح مسلم؛ الأنساب؛ منتقى الأخبار؛ أحكام القرآن وكتاب "مسند مالك "، وكتاب "الأنساب "بديع الحسن وغيرها.

مات بقرطبة في جمادى الأولى سنة أربعين وثلاثمائة وكان من أبناء التسعين.

٧-أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابى (ت ٣٤٠هـ). قال ابن منده: كتبت عن ابن الأعرابى بمكة ألف جزء، وقال الخليلى: كان ثقة أثنى عليه كل من لقيه، وقال

(١) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٥/٤٧٣، ٤٧٤.
(٢) أنظر: رسائل ابن حزم، ٢/١٧٩.
(٣) أنظر: عارضة الأحوذى، ٥/٣١٧.

السلمى: كان ثقة، وقال ابن حجر: الإمام الحافظ الثقة الصدوق الزاهد له أوهام .
ظاهريته: قال أحمد بن عطار كان ابن الأعرابى يتفقه ويميل إلى مذهب الظاهر
وفاتة: توفى وهو فى الخامسة والتسعين من عمره، وكان صحيح العقل، اعتل ثلاثة ايام ومات (١).

٨-الحافظ أبو يعلى عبدالمؤمن بن خلف بن طفيل بن زيد التميمى النسفى (ت ٣٤٦هـ): ولد سنة ٢٥٩هـ كان سنيا أثريا ظاهرى المذهب شديدا على أهل القياس، يتبع كثيرا أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وأخذ عن أبى بكر محمد بن داوود الظاهرى مصنفاته، وكان خيرا ناسكا (٢).

٩-أبو القاسم عبيد الله بن على بن الحسن بن محمد بن عمر بن حزم النخعى الكوفى (ت ٣٧٦هـ) ذكر فى القضاة.

١٠- إبراهيم بن إسحاق الراوردى الداوودى الطبرانى روى عنه الطبرانى فى معجمه الصغير.

١١- محدثو الظاهرية ينتشرون فى العديد من مدن الهند حتى العام ٤٣١هـ وما بعده. قال العلامة ابن حزم الظاهرى فى فى نهاية رسالته الماتعة جمل فتوح الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثم افتتح السلطان العادل محمود بن سبكتكين فتوحات متصلات إلى أن مات رحمه الله تعالى، بلادا عظيمة فى الهند هى الآن مسكونة بالمسلمين، معمورة بطلاب الحديث والقرآن، والغالب عليها والحمد لله رب العالمين مذهب الظاهر".

١٢-أبو محمد جابر بن غالب بن سليم بن عبدالله العطار الإشبيلى، رثاه ابن حزم لما مات، كان محدثا. من أهل الظاهر وله مصنف على صحيح البخارى سماه "ترتيب الطرر" (٣)

١٣-أبوأحمد عبدالرحمن بن خلف المعافرى الطليطلى المعروف بابن الحوات صاحب ابن حزم الظاهرى (توفى قريبا من ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) سبق ذكره فى الفقهاء .

---

(١) ابن حجر، لسان الميزان، ٣٠٩/١، ٣٠٨.
(٢) الذهبى، تاريخ الإسلام، السنين من ٣٣١-٣٥٠هـ، ص٣٥٥، ٣٥٤.
(٣) ابن الأبار، التكملة، ٢٤٧/١.

١٤- ابن الريولى القاسم بن الفتح بن محمد بن يوسف (ت ٤٥١هـ) سبق ذكره فى الفقهاء.

١٥- الإمام ابن حزم الظاهرى، سبق ذكره فى الوزارء .

١٦-الحافظ ابن عبدالبر النمرى الإمام المجتهد القدوة (ت ٤٦٣هـ) أحد الاعلام وصاحب التصانيف العظام بدأ مالكيا وتحول لأهل الظاهر فترة من حياته لصداقة ربطته بابن حزم رغم صغر سن ابن حزم، ثم استقل وصار أحد الأعلام المجتهدين كما قال صاحبه ابن حزم الظاهرى.

هو أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النّمري، وهو ما اتفقت عليه المصادر(١)، والنَّمري بفتح النون والميم نسبة نَمِر بن قاسط بن هنب بن أسد بن ربيعة، وإليه تنسب قبيلة نَمَر المشهورة (٢)

ولد في قرطبة يوم الجمعة، لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨م،

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٠٢ ؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص٥٤٤؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ٨ ص١٢٨ ؛ ابن بشكوال: الصلة: ٢ص ٥٢١؛ أبو الفداء، إسماعيل بن نور الدين: المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٩ م، ٢ص ١٨٧، ١٨٨؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣ص ١١٢٨ . سير أعلام النبلاء، ١٨ ص١٥٣ . المشتبه في أسماء الرجال، ١ص١١٧ . العبر في خبر من غبر، ٣ص٢٥٥ . تاريخ الإسلام، ٣١ص١٣٦ ؛ ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ، ١٢ص١٠٤ ؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ٢ص٤٠٧ ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ١ص١٩، ٢٠؛ الضبي: بغية الملتمس، ص٤٨٩؛ اليافعي: مرآة الجنان، ٣ص٨٩؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٤٢٣؛ إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ٢ص٥٥٠؛ الزركلي: الأعلام، ٨ص٢٤٠ ؛ بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص٣٩٦

(٢) الجزري، أبو الحسن على بن أبي الكرم: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ٣ص٣٢٦؛ ابن منظور: لسان العرب، ٥ص٢٣٦، البغدادي، ابن حبيب: مختلف القبائل ومؤتلفها، نشره فرديناند فستنفلد، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ، ص١٩؛ ابن عبد البر: الإنباء على قبائل الرواة، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٠ هـ، ص٩٧؛ الصّالحي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي: طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٨٦م، ٣ص٣٢٤

وفي ذلك يقول طاهر بن مفوِّز المعافري[1] نقلاً عن شيخه ابن عبد البر :"سمعت أباعمر يقول: ولدت يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وستين"[2].

نشأ ابن عبد البر في بيت علم وصلاح، فأبوه عبدالله كان محدثاً رفيع المكانة في قرطبة، فقيهاً، عابداً، متهجداً، مقرّباً من كبار أهل العلم في عصره، أثنى عليه ابن حيان وقال فيه: "ومن الأعلام هضاب راسية، وبحار من العلم زاخرة، وأعلامُ قولهم مسموع، وبِرُّهم مشروع، وأثرهم متبوع مثل عبدالله بن محمد بن عبد البر والد أبي عمر ابن عبد البر"[3]، ولعلو منزلة عبدالله بن عبد البر في قرطبة اختاره الخليفة "الحكم المستنصر "من ضمن أهل الحلِّ والعقد الذين شَهِدوا على العهد الذي كتبه لابنه" هشام المؤيد" بالخلافة من بعده [4]، وأما جده محمد بن عبد البر فكان عابداً منقطعاً عن الدنيا معروفاً بالتهجد، ملازماً للعبّاد المعروفين بالزهد، عُني بعلوم القرآن والتفسير، وقد عُمّرِ حتى بلغ الثمانين، تُوفِي رحمه الله سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩ م، قبل وفاة ابنه عبدالله بسبعة أشهر[5].

توفى والد الإمام يوسف بن عبد البر سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م وعمره خمسون عاماً، تاركاً ابنه يوسف في الثانية عشرة من عمره، فلم يسمع منه شيئاً من علمه لصغر سنه [6]، إلا أنه ترك له كل كتبه ومروياته والتي استفاد منها فيما بعد، لذا فإننا نجد ابن عبدالبر يُحدث عن أبيه كثيراً في بعض كتبه بقوله :" وجدت في سماع أبي بخطه "[7].

شب ابن عبدالبر يتيماً لا معيل له، فتحملت والدته العبء في تربيته ورعايته فحفظ القرآن وأخذ من اللغة العربية وعلومها، ثم انتقل إلى دراسة العلوم المعينة على فهم القرآن

(١) يكنى أبي الحسن، وهو من أخص تلاميذ ابن عبد البر وأثبتهم رواية عنه، موطنه شاطبة، وهو من صلى على ابن عبد البر يوم وفاته، توفي سنة ٤٨٤ هـ = الضبي: بغية الملتمس، ص٣٢٧؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٤ص١٢٢٢

(٢)ابن بشكوال: الصلة، ٢ص ٥٢٢، ٥٢٣

(٣)ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ٢ص٤٨

(٤)ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ١ص٣٧١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ٢ص٣٦٩

(٥)ابن الآبار: نفسه، ١ص٣٧١؛ ابن فرحون: نفسه، ٢ص٤٨

(٦)الذهبي: السير، ١٨ص١٥٤

(٧)ابن عبدالبر: الاستيعاب، ١ص ٤٢- ٥٤

الكريم، كالقراءات، وناسخ القرآن ومنسوخه، والتفسير، والحديث وعلومه، والفقه، والسير، والرجال، والتاريخ والأنساب، وغير ذلك من شتى المعارف والعلوم[١].

وأما عن أسرة ابن عبدالبر فتذكر المصادر أنه خرج مع زوجته من قرطبة زمن الفتنة وحل بإشبيلية، فلما تنكر له ابن عباد وساءت العلاقة بينهما توجه نحو شرق الأندلس واستقر بدانية، إلا أن المصادر لم تذكر اسم هذه الزوجة وكم قضت من العمر مع ابن عبدالبر، ومتى توفيت وأين، في حين ذكرت أبناءَه وشيئاً من حياتهم، فقد رزق ابن عبدالبر أثناء إقامته في قرطبة بثلاثة أبناء هم: عمر وهو الذي تكنى به، وكان يعرف "بعمر القاضي "توفى في قرطبة قبل خروج والديه منها[٢]، ثم ابنه عبدالله الذي انتقل مع والديه إلى إشبيلية وكان من أهل الأدب البارع فقلده المعتضد بن عباد وزارة السيف والقلم ولقّب بذي الوزارتين، وابنته زينب وهي من الصالحات العالمات وقد أجازها والدها لغزارة علمها، تزوجت في بلنسيه من علي بن أحمد بن علي اللخمي الشاطبي ورزقت منه بولد سمته عبدالله سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م، أجازه جده ابن عبدالبر بكل تصانيفه سنة ٤٦٢ هـ /١٠٦٩م.

طلبه للعلم وأشهر شيوخه: يقول الإمام الذهبي:" طلب العلم بعد التسعين وثلاثمائة، وأدرك الكبار، وطال عمره وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعّف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان "[٣].

لم يخرج الإمام ابن عبدالبر عن الأندلس خلال مسيرته في طلب العلم إذ اكتفى بالسماع على أكابر علماء الحديث من أهل بلده الأندلس ومن الوافدين إليها من شرق البلاد الإسلامية حتى جاوز عدد شيوخه المائة، وقد كان لكثرة شيوخه عظيم الأثر في تكوين شخصيته العلمية وحصوله على اتجاهات فكرية متعددة، فمن خلال استقراء تراجم شيوخ ابن عبدالبر خاصة الذين لازمهم بداية الطلب نجد أن منهم العالم العامل بعلمه والزاهد المجاهد بسيفه وقلمه، والقاضي العادل، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمنشغل بجمع

(١)ابن عبدالبر: الاستذكار، ١ص١٧
(٢)ابن عبدالبر: نفسه، ١ص١٨
(٣)سير أعلام النبلاء، ١٨ ص١٥٤

الكتب الباذل كل جهد في اقتنائها، ومن هؤلاء نَهَل ابن عبدالبر العلم متخذاً منهم الأسوة والقدوة في كل شؤون حياته، وفي ذلك يقول ابن خلدون:" إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءَ، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات من المباشر والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها" [١] .

خرج من قرطبة قبيل سنة ٤٠٣ هـ/١٠١٢م عند اضطرام الفتنة فنزل في أشبيلية وبقى فيها حتى قبيل سنة ٤٣٠هـ ثم تركها نتيجة جفوة كانت بينه وبين أبي القاسم بن عباد[٢]، متنقلاً بين مدن شرق الأندلس دانية وبلنسية وشاطبة[٣]، فحلَّ بدانية لما وجد فيها من توقير للعلم وأهله من قبل ملكها مجاهد العامري، إذ بلغت منزلته عنده أن اتخذه مجاهد من خاصة جلسائه ومؤدباً لابنيه علي والحسن[٤]، فألّف جلّ كتبه في ظل سلطانه فذاع صيته، وعلا ذكره في كلّ الأندلس، ورحل إليه الناس وسمعوا منه[٥].

ومن أبرز هؤلاء الشيوخ والعلماء الذين أثّروا في شخصية ابن عبدالبر العلمية :

سعيد بن نصر	محمد بن خليفة الإمام	على عبد الوارث بن سفيان	المعمر محمد بن ضيفون	عبد الله محمد بن عبد المؤمن
أحمد بن عبد الملك الكموي	أحمد بن القاسم التاهرتي	عبد الله بن محمد الجهني	عمر بن حسين بن نابل	أحمد بن محمد بن الجسور
يحيى بن وجه الجنة	محمد بن رشيق المكتب	عبد الرحمن مروان القنازعي	أحمد بن فتح بن	أحمد بن عبد الله الباجي

(١)المقدمة، ص١٥١

(٢)ابن عذاري: البيان المغرب، ٣ص١٩٦

(٣)ابن بشكوال: نفسه، ٢ص٥٢٢

(٤)محمد عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ٣ص١٩٥

(٥)القاضي عياض: ترتيب المدارك، ٨ص١٢٨ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ٣ص٥٢٢

			الرسان	
خلف بن القاسم الحافظ	الحسين بن يعقوب البجاني	عبد الرحمن الوهراني	أبي عمر الطلمنكي	أبي الوليد بن الفرضي

تلاميذه :

أبو العباس بن دلهاث الدلائي	علي بن حزم الأندلسي
أبو الحسن بن مفوز	أبو محمد بن أبي قحافة
الحافظ أبو عبد الله الحميدى	الحافظ أبو علي الغساني
محمد بن فتوح الأنصاري	أبو بحر سفيان بن العاص
أبو عمران موسى بن أبي تليد	أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح

مصنفاتة :

اختلاف أصحاب مالك بن أنس، واختلاف رواياتهم عنه	أخبار أئمة الأمصار	الأجوبة الموعبة في الأسئلة المستغربة
تجريد التمهيد في الموطأ من المعاني والأسانيد	الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار	الاستيعاب في معرفة الأصحاب
الإنباه على قبائل الرواة	الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلف فيه	الإشراف على ما في أصول فرائض المواريث من الإجماع والاختلاف
البستان في الأخدان	الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف	الاتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء
التجريد والمدخل إلى علم القرءات بالتجويد	البيان عن تلاوة القرآن	بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس
جامع بيان العلم وفضله	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	التقصي لما في الموطأ من حديث الرسول
رسالة في أدب المجالسة وحمد اللسان	الدرر في اختصار المغازي والسير	جمهرة الأنساب
العقل والعقلاء وما جاء في	الشواهد في إثبات خبر الواحد	شرح زهديات أبي العتاهية

أوصافهم عن الحكماء والعلماء		
الكافي في فقه أهل المدينة	القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم	فهرست شيوخه *أو* فهرسته

تقريظ العلماء له :

قال ابن خلكان: امام عصره في الحديث والاثر وما يتعلق بهما روى بقرطبة عن أبى القسم خلف بن القسم الحافظ وأبى عمر الباجي وأبى عمر الطلمنكي وأضعافهم وكتب إليه من أهل المشرق أبو القسم السقطين المكي وعبدالغني بن سعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وغيرهم .

وقال الباجي أبو عمر احفظ أهل المغرب .

وقال أبو علي الحسين الغساني الأندلسي: ابن عبد البر شيخنا من أهل قرطبة بها طلب العلم وتفقه ولزم أبا عمر وأحمد بن عبد الملك الفقيه الاشبيلي وكتب بين يديه ولزم أبالوليد بن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيرا من علم الحديث ودأب في طلب العلم وتفنن في وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس وألف في الموطأ كتبا مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ورتب أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله وهو سبعون جزءا قال ابو محمد بن حزم لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ثم وضع كتاب الاستذكار لمذاهب علماء الامصار فيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار شرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه وجمع في أسماء الصحابة كتابا جليلا مفيدا سماه الاسيعاب وله كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله وكتاب الدرر في اختصار المغازي والسير وكتاب العقل والعقلاء وما جاء في اوصافهم وكتاب صغير في قبائل العرب وانسابهم وغير ذلك موفقا في التأليف معانا عليه ونفع اللّه به وكان مع تقدمه في علم الاثر وبصره في الفقه ومعاني الحديث له بسطة كبيرة في علم النسب وفارق قرطبة وجال في غرب الاندلس وسكن دانية من بلادها وبلنسية وشاطبة في اوقات مختلفة وتولى قضاء الاشبونة وشنترين في أيام ملكها المظفر بن الافطس وصنف كتاب بهجة وانس المجالس في ثلاث اسفار جمع فيه أشياء

مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة.

وذكر ابن عبد البر المذكور والده ابا محمد عبد اللّه بن محمد بن عبد البر وانه توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثمائة رحمه اللّه. وكان والده أبو محمد عبد اللّه بن يوسف من أهل الادب البارع والبلاغة وله رسائل وشعر فمن شعره:

لا تكثرن تأملا * واحبس عليك عنان طرفك

فلربما ارسلته * فرماك في ميدان حتفك

ظاهرية ابن عبدالبر: كنت وضعت موضوعا عن الحافظين ابن عبدالبر وابن حزم على المجلس العلمى ثم فوجئت بحذفه وأنا لا أدرى ما فى الموضوع أصلا يستحق الحذف ولكن لا أملك إلا أن أقول "من جهل شيئا عاداه" ومن تحدث فى غير فنه أتى بالعجائب "وحسبنا الله ونعم الوكيل وكان الأستاذ الدكتور محمد عز الدين المعيار الإدريسى قد راسلنى على الخاص يستفسر عن حذف الموضوع، وعن حقيقة ظاهرية ابن عبدالبر فى بدايه أمره فأجبته بما عندى على الخاص ثم رأيت أن أضع ما أخبرته به على موقعنا وفى كتابنا هذا تعميما للفائدة والله من وراء القصدوهذا هو الرد: بخصوص ظاهرية ابن عبدالبر فهو أمر طرحته وتوصلت إليه منذ أكثر من عشر سنوات تقريبا، وقد تعرضت له عدة مصادر لعل ما أذكره منها الآن قول الإمام الذهبي رحمه الله: كان إماما ديّنا، ثقة، ثبتا، مُتقنا، علامة، مُتبحرا، صاحب سنة واتباع، وكان أولا أثريا ظاهريا فيما قيل ثم تحوّل مالكيا مع ميل إلى فقه الشافعي في مسائل، ولا يُنكر له ذلك، فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المُجتهدين، ا.هـ ([1]).

وقول شيخ الحافظ الذهبى أبى عبدالله بن أبى الفتح "كان أبو عمر أعلم من بالأندلس فى السنن والآثار ... وكان فى أول زمانه ظاهرى المذهب مدة طويلة ثم رجع إلى القول بالقياس من غير تقليد أحد ..." ([2]).

وقول الحافظ السيوطى: "وكان أولا ظاهريا ثم صار مالكيا"([3]) ولما وقعت يدى على

(١) السير ج ١٨ / ١٥٧.

(٢) أنظر: سير أعلام النبلاء، ١٨/٦٠.

(٣) أنظر: طبقات الحفاظ، ص٤٣٢.

السفر العظيم للدكتور الغلبزورى المدرسة الظاهرية، وجدته يتكىء على نفس المصادر التى اعتمدنا عليها لكنه لم يجزم بظاهرية ابن عبدالبر وحكم بأنه أحد أئمة الاجتهاد ونفى عنه التمذهب([1])، والواقع أن العلامة ابن عبدالبر حتى بعدما استقل عن كل المذاهب حتى المالكى والظاهرى ورأيناه يسير فى طريق الاجتهاد – عده ابن حزم أحد أئمة الاجتهاد فى عصره، هو وشيخه مسعود بن مفلت – لم يستطع أن يهرب من منهج الظاهرى ووضح عليه فى تخريجاته، وفى اجتهاداته وضوحا بينا لا ينكره إلا مكابر، وإن كنا لا نستطيع ان ننسبه للظاهرية بصفة مطلقة، بل صار احد الأئمة المجتهدين اجتهادا مطلقا.

العجيب ان يفطن المستشرق الاسبانى الراهب النصرانى الكاثوليكى ميجيل اسين بلاسيوس إلى حقيقة ظاهرية ابن عبدالبر، وتاثره بالمذهب الظاهرى. فى حين نجد أهل الإسلام يحاولون صرف الناس عن الحقائق وهى ظاهرة جلية. نسال الله ان يرزقنا الإنصاف. فهو حق عزيز فى الناس. إننى أدعو من يمارى ويجادل فى حقيقة ظاهرية ابن عبدالبر مدة طويلة فى بداية عمره أن يطالع كتابه جامع بيان العلم وفضله ويدقق النظر فيه. فرغم احتجاجه بالقياس فيه. فإنه نفى الرأى وذمه، وروى الآثار التى تدل على ذلك. كما أنه ذم التقليد، ودعا للاجتهاد، وفرق بين التقليد والاتباع. وهذه من أهم الأصول الظاهرية بعد نفى القياس .

حوار بين ابن عبدالبر وابن حزم :

قال المقرى: مر ابن حزم يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطَّابين من مدينة إشبيلية، فلقيهما شاب حسن الوجه، فقال أبو محمد ابن حزم: هذه صورة حسنة، فقال له أبو عمر ابن عبد البر: لم تر إلا الوجه، فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك. فقال ابن حزم ارتجالاً:

وذي عذل فيمن سباني حسنه **** يُطيل ملامي في الهوى ويقولُ
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره **** ولم تدر كيف الجسم أنت عليلُ
فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد **** فعندي رد لو أشاء طويلُ

(١) أنظر: المدرسة الظاهرية، ص٢٢٩، ٢٣٠

ألم تر أني ظاهري وأنني **** على ما أرى حتى يقوم دليلُ

وفاته رضى الله عنه: توفي فى ربيع الآخر وله خمس وتسعون سنة وخمسة أيام، سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وقيل سنة أربعمائة وثلاثة وستين وهو الأصح .

١٧- أبو عبدالله بن الأخضر المحدث الظاهرى (ت ٤٧٣هـ) ولد القاضى ابن الأخضر. أحمد بن محمد بن عمربن محمد بن إسماعيل سمع علي بن شاذان وكان على مذهب الظاهرية وكان كثير التلاوة حسن السيرة متقللا من الدنيا قنوعا رحمه الله، توفى سنة ٤٧٣هـ (١)، وقال ابن الجوزى: دفن بمقبرة باب حرب.

١٨- أبو محمد عبدالله بن محمد بن سلامة الطنزى الميافارقينى كانت من بيت علم وحديث ذكر فى الفقهاء .

١٩- الحميدي الإمام القدوة الأثري المتقن الحافظ شيخ المحدثين (٤٨٨هـ) أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي الفقيه الظاهري صاحب ابن حزم وتلميذه وحامل علمه ومصنفاته إلى المشرق.

قال مولدي قبل سنة عشرين وأربع مئة .

شيوخه: لازم أبا محمد علي بن أحمد بن حزم الفقيه فأكثر عنه وأخذ عن أبي عمر بن عبدالبر وطائفة ثم ارتحل فأخذ بمصر عن القاضي أبي عبدالله القضاعي ومحمد بن أحمد القزويني وأبي إسحاق الحبال وعدة والحافظ عبدالرحيم بن أحمد البخاري وسمع بدمشق من أبي القاسم الحنائي والحافظ أبي بكر الخطيب وعبدالعزيز الكتاني وسمع بالأندلس أيضا من أبي العباس أحمد بن عمر بن دلهاث وبمكة من المحدثة كريمة المروزية وبمصر أيضا من عبدالعزيز الضراب وابن بقاء الوراق وببغداد من عبدالصمد بن المأمون وأبي الحسين بن المهتدي بالله وأبي محمد بن هزارمرد وأبي جعفر بن المسلمة وبواسط من العلامة أبي غالب بن بشران اللغوي وأكثر عن أصحاب أبي طاهر المخلص ثم عن أصحاب أبي عمر بن

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/١٢١.

مهدي إلى أن كتب عن أصحاب أبي محمد الجوهري وجمع وصنف وعمل الجمع بين الصحيحين ورتبه أحسن ترتيب.

استوطن بغداد وأول ارتحاله في العلم كان في سنة ثمان وأربعين وأربع مئة .

تلاميذه: حدث عنه الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى الميورقى العبدري ومحمد بن طرخان التركي ويوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد وإسماعيل بن محمد التيمي صاحب الترغيب والترهيب والقاضي محمد بن علي الجلابي والحسين بن الحسن المقدسي وصديق بن عثمان التبريزي وشيخه أبو بكر الخطيب ومات قبله بدهر وأبو إسحاق بن نبهان الغنوي وأبو عبدالله الحسين بن نصر بن خميس الموصلي وأبو القاسم إسماعيل بن السمرقندي وأبو الفتح محمد بن البطي والحافظ محمد بن ناصر، وأبو بكر ابن العربى المالكى، وأبو الحجاج يوسف بن على القفال والحافظ المحدث الأمير ابو نصر على بن ماكولا صاحب كتاب الأإكمال، والذى روى عنه أكثر مصنفاته، وآخرون وكان من بقايا أصحاب الحديث علما وعملا وعقدا وانقيادا رحمة الله عليه.

تقريظ العلماء له: قال محمد بن طرخان سمعت أبا عبدالله الحميدي يقول كنت أحمل للسماع على الكتف وذلك في سنة خمس وعشرين وأربع مئة فأول ما سمعت من الفقيه أصبغ بن راشد وكنت أفهم ما يقرأ عليه وكان قد تفقه على أبي محمد بن أبي زيد وأصل أبي من قرطبة من محلة تعرف بالرصافة فتحول وسكن جزيرة ميورقة فولدت بها.

قال يحيى بن البناء كان الحميدي من اجتهاده ينسخ بالليل في الحر فكان يجلس في إجانة في ماء يتبرد به.

قال الحسين بن محمد بن خسرو جاء أبو بكر بن ميمون فدق الباب على الحميدي

وظن أنه أذن له فدخل فوجده مكشوف الفخذ فبكى الحميدي وقال والله لقد نظرت إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلت.

قال أبو نصر بن ماكولا لم أر مثل صديقنا أبي عبدالله الحميدي في نزاهته وعفته وورعه وتشاغله بالعلم صنف تاريخ الأندلس.

وقال يحيى بن إبراهيم السلماسي قال أبي لم تر عيناي مثل الحميدي في فضله ونبله وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وكان ورعا تقيا إماما في الحديث وعلله ورواته متحققا بعلم التحقيق والأصول على مذهب أصحاب الحديث بموافقة الكتاب والسنة فصيح العبارة متبحرا في علم الأدب والعربية والترسل... إلى أن قال وله كتاب جمل تاريخ الإسلام وكتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك وكتاب الترسل وكتاب مخاطبات الأصدقاء وكتاب حفظ الجار وكتاب ذم النميمة وله شعر رصين في المواعظ والأمثال.

قال السلفي سألت أبا عامر العبدري عن الحميدي فقال لا يرى مثله قط وعن مثله لا يسأل جمع بين الفقه والحديث والأدب ورأى علماء الأندلس وكان حافظا.

قال أبو علي الصدفي كان الحميدي يدلني على الشيوخ وكان متقللا من الدنيا يمونه ابن رئيس الرؤساء ثم جرت لي معه قصص أوجبت انقطاعي عنه وحدثني أبو بكر بن الخاضبة أنه ما سمع الحميدي يذكر الدنيا قط.

قال محمد بن طرخان سمعت الحميدي يقول ثلاث كتب من علوم الحديث يجب الاهتمام بها كتاب العلل وأحسن ما وضع فيه كتاب الدارقطني والثاني كتاب المؤتلف والمختلف وأحسن ما وضع فيه الإكمال للأمير ابن ماكولا وكتاب وفيات المشايخ وليس فيه كتاب يريد لم يعمل فيه كتاب عام قال الحميدي وقد كنت أردت أن أجمع فيه كتابا فقال لي الأمير رتبه على حروف المعجم بعد أن ترتبه على السنين. فاشتغل الحميدي بالصحيحين إلى أن مات قال أبو عبدالله الحميدي في تاريخه أخبرنا أبو عمر بن عبدالبر أخبرنا عبدالله بن محمد الجهني بمصنف النسائي قراءة عليه عن حمزة الكناني عنه.

وقال القاضي عياض محمد بن أبي نصر الأزدي الأندلسي سمع بميورقة من ابن حزم قديما وكان يتعصب له ويميل إلى قوله وأصابته فيه فتنة ولما شدد على ابن حزم خرج الحميدي إلى المشرق.

ومن نظم الحميدي

طريق الزهد أفضل ما طريق وتقوى الله تأدية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه يعنك وذر بنيات الطريق

وله

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل

وقال

فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

وله

كتاب الله عز وجل قولي وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدءا وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذي وخذها تكن منها على عين اليقين (١)

مصنفاته:

١- جذوة المقتبس فى أخبار أهل الأندلس مطبوع.
٢- التذكرة مطبوع.
٣- الجمع بين الصحيحين مطبوع
٤- تاريخ الإسلام .
٥-كتاب من ادعى الأمان من أهل الإيمان مطبوع بتحقيق شيخنا ابن عقيل الظاهرى بدار الغرب الإسلامى.
٦- الذهب المسبوك فى وعظ الملوك.
٧- تسهيل السبيل إلى علم الترسيل.
٨- ما جاء من النصوص والأخبار فى حفظ الجار.
٩- مخاطبة الأصدقاء فى المكاتبات واللقاء. قلت ولعله هو الذى اشار إليه ابن عساكر بقوله "أدب الأصدقاء" ووصفه فقال: سلك فيه ما يقال فى الصباح والمساء والتهانى والتعازى والتسلية وغير ذلك مما جرى هذا المجرى أحسن فيه بالفاظ عذبة منثورة مليحة التطبيق والترصيع والتجنيس.
١٠-كتاب النميمة.
١١- كتاب الأمانى الصادقة ذكره المراكى فى معجبه ونقل الكثير مما يتعلق بتاريخ الأندلس.

(١) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٩/١٢٠- ١٢٧، وانظر ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ٥/١٥٦.

١٢- تفسير غريب ما فى الصحيحين. مطبوع.
١٣- المؤتلف والمختلف. وهو فى ضبط أسماء المحدثين الذين تتفق فى الخط صورتهم وتختلف فى النطق والتلفظ صيغتهم، ولا يضبطه إلا كبار حفاظ الأمة.
١٤- أسماء رواة الحديث واهل الفقه والأادب وذوى النباهة والشعر. قيل أنه مطبوع ولم أقف عليه.
١٥- مراتب الجزاء يوم القيامة مطبوع بتحقيق شيخنا ابن عقيل، وهو الذى رد عليه ابن عطية القضاعى المالكى.
١٦- منظومة دالية فى النقض على من عاب الحديث وأهله. قيل إنها مخطوطة بمكتبة غوطة.
١٧- جمل تاريخ الإسلام. قيل إنه مخطوط.
١٨- تحفة المشتاق فى ذكر صوفية العراق.
١٩- الفوائد المنتقاة.
٢٠-المتشاكه فى أسماء الفواكه.
٢١- مختارات من مروياته.
٢٢- نوادر الأاطباء.
٢٣- ديوان شعره.

وفاته رضى الله عنه: توفي الحميدي في سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربع مئة عن بضع وستين سنة أو أكثر وصلى عليه أبو بكر الشاشي ودفن بمقبرة باب أبرز ثم إنهم نقلوه بعد سنتين إلى مقبرة باب حرب فدفن عند بشر الحافي.

قال الحافظ ابن عساكر كان الحميدي أوصى إلى الأجل مظفر بن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند بشر فخالف فرآه بعد مدة في النوم يعاتبه فنقله في صفر سنة إحدى وتسعين وكان كفنه جديدا وبدنه طريا يفوح منه رائحة الطيب رحمه الله (١).

(١) أنظر: تاريخ دمشق، ٨١/٥٥.

٢٠- أبو الفضل ابن القيسراني محمد بن طاهرالشيباني، المقدسي الأثري، الظاهري (ت ٥٠٧هـ)([1]).

محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، ولد ببيت المقدس سنة ٤٤٨هـ.

قال إسماعيل بن محمد الحافظ: أحفظ من رأيت محمد بن طاهر، وقال أبو زكريا يحيى بن منده: كان ابن طاهر أحد الحفاظ، حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، صدوقاً، عالماً بالصحيح والسقيم، كثير التصانيف، لا زماً للأثر .

وقال أبو معمر الأنصاري: كان حافظاً متقناً .

وقال عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي: ينبغي لصاحب الحديث أن يكون سريع القراءة سريع النسخ، سريع المشي. وقد جمع الله هذه الخصال في هذا الشاب، وأشار إلى محمد بن طاهر وكان بين يديه .

وقال شيرويه في تاريخ همذان: ابن طاهر سكن همذان وبنى داراً، وكان ثقة حافظاً، عالماً بالصحيح والسقيم، حسن المعرفة بالرجال والمتون، كثير التصانيف جيد الخط، لا زماً للأثر بعيداً من الفضول والتعصب، خفيف الروح، قوي السير في السفر، كثير الحج والعمرة.

وقال ابن ناصر الدين: كان حافظاً جوالاً في البلاد، كثير الكتابة، جيد المعرفة، ثقة في نفسه، حسن الاعتقاد، ولولا ماذهب إليه من إباحة السماع، لا نعقد على ثقته الإجماع .

---

(١) عنه انظر: السير: ١٩/ ٣٦١، التذكرة: ٤/ ١٢٤٢، العبر: ٢/ ٣٩٠، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات: ٥٠١ - ٥٢٠)ص ١٦٨، ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٨٧، لسان الميزان: ٦/ ١٩٨، التقييد: ١/ ٥٦، الوافي بالوفيات: ٣/ ١٣٩- ١٤٠، المنتظم: ١٧/ ١٣٦، طبقات علماء الحديث: ٤/ ١٣، وفيات الأعيان: ٤/ ٢٨٧، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ص ٣١. ٣٣، مرآة الزمان: ٨/ ٣٠، مرآة الجنان: ٣/ ١٩٥- ١٩٦، البداية والنهاية: ١٢/ ١٧٦- ١٧٧، طبقات الأولياء: ص ٣١٦- ٣١٨، طبقات الحفاظ: ص ٤٥٢، الأنس الجليل: ١/ ٢٩٩- ٣٠٠، كشف الظنون: ١/ ٨٨، ١١٦، ١٨٠، شذرات الذهب: ٤/ ١٨، هداية العارفين: ٢/ ٨٢ - ٨٣ ؛ عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان، الحافظ محمد بن طاهر المقدسي ومنهجه في العقيدة مع دراسة وتحقيق كتابه الحجة على تارك المحجة، رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين – جامعة محمد بن سعود.

وقال اليافعي: كان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث، وله في ذلك مصنفات وجموعات تدل على غزارة علمه، وجودة معرفته ...

وقال أبو جعفر الساوي: كنت بالمدينة مع ابن طاهر، فقال: لا أعلم أحد أعلم بنسب هذا السيد . وأشار إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وآثاره وأحواله مني .

وقال السَّمْعاَني: سألت أبا الحسن الكَرْجي الفقيه عن ابن طاهر فقال: ما كان على وجه الأرض له نظير، وكان داودي المَذْهب .

وقال ابن نقطة: الحافظ، طاف البلاد، وسمع الكثير، صنف كتب حسنة في معرفة علوم الحديث، وكان ثقة في الحديث، فاضلاً .

وقال ابن النجار البغدادي: رحل في طلب الحديث إلى الأقطار، وصنف كثيراً، وكان حافظاً متقناً متفنناً حسن التصنيف .

وقال ابن خلكان: كان أحد الرحالين في طلب الحديث ... وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث، وله في ذلك مصنفات ومجموعات تدل على غزارة علمه وجودة معرفته .

وقال ابن كثير: سافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة، وسمع كثيراً، وكان له معرفة جيدة بهذه الصناعة، وصنف كتب مفيدة، وقال السيوطي: الحافظ العالم المكثر الجوال .

قلت: وقد ذكر ابن طاهر نفسه أنه بال الدم مرتين وهو يطلب الحديث مرة ببغداد وأخرى بمكة، وكان يمشى حافيا فى الحر بلا دابة، ولا يطلب المعونة من أحد .

وقد ابن طاهر للكرجى اخترت مذهب داوود ؟ قال الكرجى لم ؟ فقال ابن طاهر: كذا اتفق .

قال صاحبنا عبدالعزيز الحنوط: التهم التي وجهها العلماء إليه، والدفاع عنها :

١. السماع. وهذا لا يوجب غمزه إذا اعتقد حله باجتهاد، وبيان ذلك أن اسلافنا . رضوان الله عليهم . اختلفوا في مسألة الغناء والمعازف. فالبعض ير التحريم وهم الأكثر، والبعض ير الجواز وهم الأقل عن اجنهاد منهم. فما كان مختلفاً فيه في ذلك الزمان فلا يجوز إسقاط الاحتجاج به؛ لأنه خالف اجتهاد الآخرين ولو كان مخطئاً في مخالفته .

٢. جواز النظر إلى المردان. وقد دافع الإمام الذهبي عن ابن طاهر فقال:قولهم: "كان يذهب مذهب الإباحة "يعني في النظر إلى الملاح . ومعلوم جوازه عند الظاهرية، وهو منهم . وإلا فلو كان يذهب إلى إباحة مطلقة، لكان كافراً. والرجل مسلم، متبع للأثر سني، وإن كان قد خالف في أمور مثل جواز السماع .وقال ابن عبدالهادي مدافعاً: ما كان ابنُ طاهر يرى الإباحة المُطْلقة، بل هو من أهل الحديث المُعَظِّمين للآثار، وقد أخطأ في ذَهَابه إلى إباحة السَّمَاع والنَّظَر إلى المُرْد، والله يغفر لنا وله .

٣. تأليفه كتاب "صفوة التصوف ". قال الحافظ ابن حجر: له انحراف عن السنة إلى تصوف غير مرضي، وهو في نفسه صدوق لم يتهم، وله حفظ ورحلة واسعة .قال ابن كثير عن كتاب "صفوة التصوف": ساق فيه أحاديث منكرة جداً، وأورد أحاديث صحيحة في غيره. وقال السمعاني: بعد ذكر هذه التهم: لعله قد تاب ....

قال صاحبنا عبدالعزيز الحنوط: هو سلك مسلك بعض المصنفين الذين يوردون بالسند كل ما يتعلق بالباب ولو كان واهياً، للقاعدة المعروفة عند علماء الحديث أن المحدث إذا ساق الحديث بسنده، فقد برئت عهدته منه، ولا مسؤولية عليه في روايته، مادام أنه قرن معه الوسيلة التي تمكن العالم من معرفة ما إذا كان الحديث صحيحاً أو غير صحيح، ألا وهي الإسناد. وإن كان الأولى والأحرى به يتبع كل حديث ببيان درجته من الصحة أو الضعف. وكان يجدر به . أيضاً . أن يجنب كتابه بعض تعابير القوم التي فيها مخالفة أو سوء أدب مع الرب سبحانه أو شريعة الله وتكاليفه، وكذا يجنب كتابه بعض أحوال القوم التي تنفي ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا قام عليها دليل من كتاب أو سنة، وعلى كل العصمة ليست للبشر، وإنما أراد ابن طاهر الحق فأخطأ.

مصنفاته:

١–كتاب الجمع بين رجال الصحيحين.

٢–كتاب أسامي ما اشتمل عليه الصحيحين.

٣ -كتاب معرفة مشايخ الإمامين الذين أخرجا عنهم في الصحيحين.

٤ – شروط الأئمة الستة.

٥ معرفة من لم يخرج في الصحيحين إلا حديث واحد من الصحابة.
٦- جواب المتعنت على البخاري.
٧- كتاب موافقات البخاري ومسلم (جزءان)
٨- أطراف الكتب الستة.
٩- كتاب أطراف سنن ابن ماجة.
١٠- كتاب أطراف سنن الترمذي (عشرة أجزاء).
١١- كتاب أطراف سنن النسائي (سبعة أجزاء).
١٢-كتاب أطراف سنن أبي داود.
١٣- الفوائد الصحيحة على شروط الإمامين في معرفة العلو مالنزول.
١٤- كتاب الفوائد المنتقاة من الصحاح والغرائب والأفراد- وغير ذلك من حديث القاضي الخلعي.
١٥- كتاب العوالي بالتواريخ.
١٦-كتاب ذكر الطرق العالية إلى البخاري ومسلم (ثمانية أجزاء).
١٧-عوالي الطرق إلى البخاري.
١٨- عوالي الطرق إلى سفيان بن عيينة.
١٩-عوالي الطرق إلى الفضيل بن عياض.
٢٠ - عوالي الطرق إلى مالك بن أنس.
٢١- عوالي الطرق إلى محمد بن شهاب.
٢٢- كتاب عوالي الموافقات إلى مشايخ أبي داود السجستاني.
٢٣- عوالي الموافقات إلى مشايخ أبي عيسى الترمذي.
٢٤-اليواقيت المخرج على الاتفاق والتفرد (عشرة أجزاء).
٢٥- مسألة العلو والنزول في الحديث مع مقدمة في فضل أصحاب الحديث.
٢٦-مسألة في معرفة عالي الإسناد.
٢٧-كتاب الناسخ والمنسوخ.

٢٨- كتاب العمل بإجازة الإجازة.
٢٩- كتاب الإجازات ومذاهبها.
٣٠- كتاب تصحيح العلل.
٣١-كتاب النسب.
٣٢- رواية الأكابر والأعلام عن مالك بن أنس (ثمانية أجزاء).
٣٣-رواة أنس بن مالك.
٣٤- مشايخ أبي داود.
٣٥- مشايخ سفيان بن عيينة.
٣٦-كتاب خماسيات أبي الحسين بن النقور.
٣٧- كتاب الرباعيات من رواية الصحابة بعضهم عن بعض.
٣٨- كتاب حديث اجتمع فيه في الإسناد عشرة من الرواة أسماؤهم محمد.
٣٩-كتاب الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط.
٤٠- كتاب المتفق والمفترق في الأنساب.
٤١- إيضاح الإشكال في من أبهم اسمه من النساء والرجال.
٤٢- الإفصاح عن المعجم من إيضاح الغامض والمبهم.
٤٣-خمسة انتقاء أبي الفضل المقدسي على أبي المعالي الأموي محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز القرشي.
٤٤- جزء فيه من فوائد الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر.
٤٥- كتاب مجلس أبي القاسم البغوي.
٤٦-المنثور من الحكايات والسؤالات.
٤٧- كتاب الألفاظ التي رويت في الأحاديث فصحفها بعض النقلة.
٤٨- علة حديث معاذ في القياس.
٤٩-طرق حديث إني تارك فيكم الثقلين.
٥٠- طرق حديث: لا تزال طائفة من أمتي...

٥١- طرق حديث معاذ وأبي موسى وقوله: يسر ولا تعسر.
٥٢- طرق حديث من كذب علي متعمدا.
٥٣-حديث أبي الأزهر ومتابعاته.
٥٤-مسند أبي ليلى الجعدي.
٥٥-تخريجه لأبي منصور عبد المحسن بن محمد بن علي البغدادي.
٥٦- انتقاء من حديث الهكاري علي بن أحمد بن يوسف القرشي أبو الحسن الصوفي.
٥٧- مسألة التسمية.
٥٨- الرد على أبي الحسن الأشعري.
٥٩- رفع القرطاس صيانة لما فيه من الأدناس.
٦٠-الأدعية.
٦١- فرائض الطعام وسننه.
٦٢- مسألة إيجاب الوضوء من مس الذكر وترك الوضوء من لمسه.
٦٣-كفاية المداخل في أصول أبي علي الحسن بن عبد الرحمن المكي المعروف بالشافعي.
٦٤- كتاب الشيب.
٦٥-الصوم.
٦٦-الانتصار لإمامي الأمصار.
٦٧-الحجر على تارك المحجة.
٦٨- ديوان شعره.
٦٩-الذب عن فقيه الإسلام أبي حنيفة.
٧٠- الجواب الجليل عن حكم بلد الخليل.
٧١- معجم البلاد (جزءان).
٧٢- كتاب الشامل لأسماء الصحابة.
٧٣-تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام (مجلدتان).
٧٤-كتاب أسماء رجال من الضعفاء شذت عن ابن عدي ذكرهم أبو حاتم ابن حبان في

كتابه. (جزءان)

٧٥-تلخيص الكامل.

٧٦- تكملة الكامل في معرفة الضعفاء.

٧٧-تراجم الجرح والتعديل للدارقطني.

٧٨- أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني.

٧٩- كتاب أطراف أحاديث الشيخين للدارقطني.

٨٠- كتاب اللمصباح في أطراف أحاديث المسانيد الستة (عشرة أجزاء).

٨١- كتاب أطراف أحاديث أبي حنيفة.

٨٢-كتاب أطراف أحاديث مالك بن أنس.

٨٣- اللباب المرتب على الحروف والأبواب.

٨٤-تذكرة الحفاظ في ترتيب أحاديث المجروحين لابن حبان.

٨٥-ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ.

٨٦-الكشف عن أحاديث الشهاب ومعرفة الخطأ فيها والصواب.

٨٧-صفوة التصوف.

٨٨-كتاب جواز السماع.

٨٩- مسألة الإباحة والاستباحة.

٩٠-رسالة في جواز النظر إلى المرد.

من أقواله فى الحديث متعقبا ابن حزم: ذكر الحافظ أبوالفضل بن طاهر المقدسى فى كتابه الانتصار، تعليل ابن حزم لحديث الإسراء الذى أخرجه البخارى وحكمه عليه أنه موضوع لمخالفته ما ثبت فى أحاديث الإسراء الصحيحه ثم تعقبه بأن قال "إن ابن حزم وإن كان إماما فى علوم شتى إلا أنه لم يسلك طريق الحفاظ فى تعليل الحديث، وذلك أن الحفاظ إنما يعللون من طريق الإسناد الذى هو المرقاة إليه، وهذا الرجل علله من حيث اللفظ "

٢١- أبو القاسم عبدالرحمن بن يحيي بن الحسن بن محمد القرشى الأموى (ت ٥٠٨هـ)

محدث من أهل إشبيلية، كان على مذهب ابن حزم، انتقل إلى بجاية واستوطنها ومات بها، ذكره أبو العباس ابن نباتة الظاهرى وأثنى عليه ([1]).

٢٢- المحدث أبو محمد عبدالله بن أحمد بن سعيد بن يربوع بن سليمان (ت ٥٢٢هـ/١١٢٨م) من أهل إشبيلية وأصله من شنترين، ولد سنة ٤٤٤هـ سكن قرطبة كان يعلم الناس الفقه والحديث، حدث عنه ابن بشكوال وسمع منه العديد من مجالسه وحصل على إجازة منه بخطه فيما رواه فضلا عن مناولته بعض مصنفات شيخه ومنها "الإقليد فى بيان الأسانيد"، "المنهاج فى رجال مسلم بن الحجاج"، "لسان البيان عما فى كتاب أبى نصر الكلاباذى من الإغفال والنقصان "، "تاج الحلية وسراج البغية فى معرفة اسانيد الموطا "، ووصفه ابن بشكوال بانه "كان حافظا للحديث وعلله عارفا باسماء رجاله ونقلته يبصر المعدلين منهم والمجروحين ضابطا فيما كتبه ثقة فيما يراه ".

توفى يوم السبت ودفن لصلاة العصر يوم الأحد ٩ صفر سنة ٥٢٢هـ دفن بمقبرة الربض وصلى عليه القاضى محمد بن أصبغ ([2])

٢٣- أبو عامر محمد بن سعدون بن مُرجَّي بن سعدون القرشي العبدري، الميُورقي المغربي الظاهري، نزيل بغداد(ت ٥٢٤هـ) ([3]) .

قال أبو بكر بن العربي: هو أنبل من لقيتُه ... هو ثقةٌ حافظٌ مقيِّد، لقيته فتى السن، كهل العلم وقال ابن ناصر: كان فهماً عالماً، متعففاً مع فقره.

وقال ابن عساكر: كان العبدريُّ أحفظَ شيخٍ لقيتُه، وكان فقيهاً داووديا.

---

(١) ابن الأبار، التكملة، ٥٧٢/٢ ؛ أبو معاوية البيروتى، طبقات أهل الظاهر، ص١٢٩.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ٦٧٤/٢، ٣٤٠.

(٣) انظر: السير: ١٩/ ٥٧٩، التذكرة: ٤/ ١٢٧٢، ١٣٣٢، العبر: ٢/ ٤٢٠، تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات (٥٢١- ٥٣٠) ص ١٠٣، تكملة الإكمال: ٤/ ٨٤- ٨٥، التكملة: ١/ ٣١١، تاريخ دمشق: ٥٣/ ٥٩- ٦٠، معجم السفر: ص ٢٣٨، المنتظم: ١٧/ ٢٦١، الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٨- ٧٩، البداية والنهاية: ١٢/ ٢٠١- ٢٠٢، نفح الطيب: ٢/ ١٣٨، الصلة: ٢/ ٥٦٤، معجم البلدان: ٥/ ٢٤٦، معجم طبقات الحفاظ والمفسرين: ١٥٦ رقم ١٠٣٧، طبقات الحفاظ: ص ٤٦١- ٤٦٢، طبقات علماء الحديث: ٤/ ٤٥. ٤٦ .

وقال اللَّفيّ: كان من أعيان الإسلام بمدينة السّلام، متصرّف في فنون من العلوم أدباً ونحواً، ومعرفةً بالأنساب. وكان داوودي ّ المذهب، قُرَشِيَّ النَّسَب. كتب عنّي وكتبت عنه. ومولده بقُرْطُبَة من مدن الأندلس.

وقال ابن نقطة: كان فَهِماً عَالِماً ذا مَعْرِفةٍ بالحديث. وقال أيضاً: هو إمام حافظ، متقِنٌ، عالم بالحديث واللغة، من أهل الظاهر، حدثني أحمد بن أبي بكر البَنْدَنيجي قال: لما مات أبو عامر العبدري قال أبو الفضل بن ناصر الحافظ حين دُفِن: خلا لك الجوُّ واصْفِرِي، مات أبو عامر حافظُ أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَمَنْ شاء فَلْيَقُلْ ماشاء. وقال الصّفدي: الإمام ... أحد الحفاظ والعلماء المبرّزين كان من كبار أهل الظاهر.

وقال ابن كثير: الحافظ ... وكانت له معرفة جيدة بالحديث، وكان يذهب في الفروع مذهب الظاهرية. وقال ابن الجوزي: كانت له معرفة بالحديث حسنة وفهم جيد وكان متعففاً في فقره.

وقال الذهبي: الشيخ الإمام، الحافظ الناقد الأوحد ... وكان من بحور العلم ... وقال أيضاً: الإمام ... أحد الحفاظ والعلماء المبرّزين، ومن كبار الفقهاء الظاهرية.

وقال ابن عبدالهادي: الإمام، الحافظ، العلامة ... وكان فقيهاً ظاهرياً من أعيان الحُفَّاظ.

قال ابن عساكر: وكان سيىء الاعتقاد، يعتقد من أحاديث الصفات ظاهرَهَا، بلغني عنه أنه قال في سوق باب الأزج (يوم يُكْشَفُ عن سَاقٍ) [القلم :٤٢] فضرب على ساقه، وقال: ساقٌ كساقي هذه .(١) وقال ابن عساكر ـ أيضاً ـ: وبلغني عنه أنه قال: أهل البدع يحتجون بقوله تعالى: (ليس كمثله شيء) [الشورى: ١١]، أي: في الإلهية، فأما في الصورة، فهو مثلي ومثلُك .

قلت: وأهل التحقيق من أمثال الحافظ الذهبى والحافظ ابن عبدالهادى يرون ذلك باطلا لا يصح ولا يثبت عن الحافظ العبدرى لا سيما وأن هذه الرواية منقطعة (٢). ومن ثم

(١) أنظر: تاريخ دمشق، ٥٣/ ٦٠.
(٢) أنظر: تذكرة الحفاظ، ١٢٧٣/٤.

فقد نزهه ابن عبدالهادي عن مثل هذه التهم المشينة التى لا تصدر عن صغير فكيف بكبير مثله فقال: كان داودياً، وكان أحفظ شيخٍ لَقِيتُه، ثم إنه حَطَّ عليه، وحكى عنه أشياء لا تَثْبُتُ عنه (١).

من مسائله الفقهية: سئل عن وجوب الغسل على من جامع ولم ينزل، فقال لا غسل عليه، الن فعلت ذلك بأم أبى بكر (٢) يعنى زوجته .

قلت: وهذا القول هو قول داود بن على، وقد خالفه ابن حزم فيه، وهذه المسألة من جملة عشرات المسائل التى خالف فيها ابن حزم الإمام داود كما بيناه فى رسالتنا حول المسائل الخلافية بين ابن حزم وداود .

وفاتة: توفى يوم الأحد ودفن يوم الاثنين ٢٦ ربيع الأول سنة ٥٢٤هـ، وفن بباب الأرج بمقبرة الفيل .

٢٤- أبو محمد عبدالله بن موسى القرطبى (ت ٥٢٦هـ) عنى بالحديث عناية تامة، وكان متفننا فى عدة علوم مع الحفظ والإتقان، وقد عناه ابن مفوز فى رده على ابن حزم، كان ظاهرى المذهب .

٢٥-أبو العباس أحمد بن طاهر بن على بن عيسى الأنصارى الخزرجى المعروف بابن شبرين (ت ٥٣٢هـ) ينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى. ولد بدانية ١٧ شوال سنة ٤٦٧هـ وأصل سلفه من شارقة بلنسية وهى قلعة الأشراف، وانتقل جده إلى دانية. كتب الحديث وتفقه فى المسائل، وولى خطة الشورى بدانية وأفتى بها نيفا وعشرين سنة، ودعى إلى قضائها فرفض، له كتاب على الموطا سماه "كتاب الإيمان "عرضه على شيخه الصدفى فاستحسنه، وله مجموع فى رجال مسلم. حدث عنه القاضى عياض وقال: كان علم الحديث أغلب عليه، ويميل فى فهمه إلى الظاهر(٣).

(١) أنظر: طبقات علماء الحديث، ٤/ ٤٦.
(٢) نقلا عن الصفدى، الوافى بالوفيات، ٩٣/٣.
(٣) ابن الأبار، التكملة، ٦٩/١-٧١.

٢٦- أبو عبدالله محمد بن حسين بن أحمد بن محمد الأنصارى (ت ٥٣٢هـ) من أهل المرية ولد سنة ٤٥٦هـ سمع من أبى على الصدفى بالمرية، وأخذ عنه جامع الترمذى، والشمائل، ومسند البزار، وادب الصحبة للسلمى، وسمع بالمرية ايضا ابن بريال الظاهرى . له كتاب فى الجمع بين صحيحى البخارى ومسلم لقى القبول بين الناس، وكان معتنيا بالحديث ورجاله متبعا للآثار والسنن ظاهرى المذهب أجاز ابن بشكوال صاحب الصلة كتابة بمروياته (١)

٢٧- أبو محمد عبدالصمد بن أحمد بن سعيد بن عمر (كان حيا فى العام ٥٣٥هـ) روى عن ابن سهل الجيانى -الذى انتقد ابن حزم وصنف كتابا فى الرد عليه -، كان من أهل المعرفة بالحديث مائلا إلى مذهب أهل الظاهر، حدث عنه ابن الفرس المالكى، وكان أبو محمد عبدالصمد حيا فى العام ٥٣٥هـ.

من مصنفاته: الكتاب المستوعب فى أحاديث الموطأ. (٢)

٢٨- أبو عمر بكر بن خلف بن سعيد بن عبدالعزيز بن كوثر الغافقى سبق ذكره فى الفقهاء.

٢٩- أبو الحسن الرعيني شريح بن محمد بن شريح (ت٥٣٩هـ): هو شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف بن شريح الشيخ الإمام الأوحد المعمر الخطيب شيخ المقرئين والمحدثين الإشبيلي المالكي خطيب إشبيلية ولد في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وأربع مئة.

تلى على والده العلامة أبي عبد الله بكتابه الكافي في السبع وحمل عنه علما كثيرا وأجاز له مروياته أبو محمد بن حزم الظاهري وسمع صحيح البخاري من أبي عبد الله بن منظور صاحب أبي ذر الهروي وسمع من علي بن محمد الباجي وأبي محمد بن خزرج وطائفة الأسواق وكان بين الإسفراييني وبين الواعظ أبي الحسن الغزنوي شنآن فنودي في بغداد أن لا يذكر أحد مذهبا .

وسمع صحيح البخاري من أبي عبد الله بن منظور صاحب أبي ذر الهروي وسمع من

(١) ابن بشكوال، الصلة، ٥٨٢/٢، ٥٨١.

(٢) أنظر: ابن الأبار، التكملة، ١١٤/٣.

علي بن محمد الباجي وأبي محمد بن خزرج وطائفة.

قال أبو الوليد بن الدباغ له إجازة من ابن حزم أخبرني بذلك ثقة نبيل أصحابنا أنه أخبره بذلك ولا أعلم في شيوخنا أحدا عنده عن ابن حزم غيره وقد سألته هل أجاز له ابن حزم فسكت وأحسبه سكت عن ابن حزم لمذهبه.

قال الحافظ الذهبى: وعاينت في سفينة تواليف لابن حزم بخط السلفي وقد كتب كتب إلي أبو الحسن شريح بن محمد قال كتب إلينا أبو محمد بن حزم.

قال الحافظ خلف بن بشكوال كان أبو الحسن من جلة المقرئين معدودا في الأدباء والمحدثين خطيبا بليغا حافظا محسنا فاضلا مليح الخط واسع الخلق سمع منه الناس كثيرا ورحلوا إليه واستقضي ببلده ثم صرف عن القضاء لقيته في سنة ست عشرة فأخذت عنه وقال اليسع بن حزم هو إمام في التجويد والإتقان علم من أعلام البيان بذ في صناعة الإقراء وبرز في العربية مع علم الحديث وفقه الشريعة كان إذا صعد المنبر حن إليه جذع الخطابة وسمع له أنين الاستطابة مع خشوع ودموع رحلت إليه عام أربعة وعشرين فحملت عنه.

وقال الذهبى وحدث عنه أبو بكر محمد بن خير اللمتوني ومحمد بن خلف بن صاف ومحمد بن جعفر بن حميد البلنسي وأبو بكر بن الجد الفهري ومحمد بن إبراهيم بن الفخار ومحمد بن يوسف بن مفرج الباقي بتلمسان إلى سنة ست مئة وأحمد بن علي الحصار وإبراهيم بن محمد بن ملكون النحوي ونجبة بن يحيى وأبو محمد بن عبيد الله الحجري وخلق آخرهم عبد الحمن بن علي الزهري الذي حدث عنه بصحيح البخاري في سنة ٦١٣هـ.

وتلى عليه بالسبع عدد كثير منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مقدام الرعيني ومحمد بن علي بن حسنون الكتامي وماتا في سنة أربع وست مئة ومحمد بن عبد الله بن الغاسل وآخر من روى عنه في الدنيا بالإجازة أبو القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي البقوي الباقي إلى سنة خمس وعشرين وست مئة.

مصنفاته: ديوان خطب عارض به ابن نباتة، والاختلاف بين الإمام يعقوب البصرى

والإمام نافع، الجمع والتوجيه فى القرءات ([1])

وفاتة: مات شريح في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وخمس مئة وكانت جنازته مشهودة ([2]).

٣٠- أبو الحسن مفرج بن سعادة الإشبيلى من أهل إشبيلية شيخ الحافظ أحمد بن عبدالملك الأنصارى والمعروف بالحافظ أحمد ابن ابى مروان، ذكره تلميذه ابن أبى مروان ووصفه بالمحدث الظاهرى، كان صاحب الصلاة بمسجد السبائى، ويعرف بغلام ابن عبدالله البرزالى ([3])

٣١- الحافظ أحمد بن عبد الملك بن محمد بن ابراهيم بن أحمد بن عبد الملك الأنصاري (ت ٥٤٩هـ): من أهل إشبيلية يكنى أبا عمر وأبا جعفر ويعرف بابن أبي مروان سمع من أبي الحسن شريح بن محمد وأبي بكر بن طاهر وأبي الحكم بن حجاج وأبي الحسن مفرج بن سعادة وأبي إسحاق بن حبيش البزاز وغيرهم.

كان حافظا عارفا بالحديث ورجاله فقيها ظاهري المذهب على طريقة ابن حزم وله تأليف مفيد في الحديث سماه المنتخب المنتقى جمع فيه ما افترق في أمهات المسندات من نوازل الشرع وعليه بنى كتابه أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي في الأحكام ومنه استفاد وكان صاحبا لأبي جعفر هذا أو ملازما له واستشهد بلبلة عند ثورة أهلها والتغلب عليهم يوم الأربعاء الحادي عشر من شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وصلى عليه أبو الحسن بن مؤمن وقال أبو مروان بن صاحب الصلاة كان ذلك يوم الخميس الرابع عشر من شعبان المذكور ([4]).

٣٢- أبوعبدالله محمد بن إبراهيم بن ثابت الكيزانى الظاهرى المقرىء (ت ٥٦٢هـ): قال الذهبى: الإمام المقرىء الزاهد الأثرى الواعظ، كان له تلامذة وأصحاب وله شعر كثير

(١) الزركلى، الأعلام، ١٦٢/٣.
(٢) الذهبى، سير أعلام، ٢٠/ ١٤٢- ١٤٤، وانظر الذهبى، معرفة القراء الكبار، ١/ ٤٩٠، ٤٩١.
(٣) ابن الأبار، التكملة، ٧٢١/٢.
(٤) نفسه، ٥٤/١.

مدون وكلام فى السنة ([1]) وقال :كان من غلاة السنة وأهل الأثر، وهو الذى لما نبش قبره نجم الدين الخبوشاني محمد بن الموفق الصوفي الزاهد الفقيه الشافعي ثارت حنابلة مصر عليه وقويت الفتنة وصار بينهم حملات حربية ([2]).

قال اليافعى: وإنما قال الذهبى "وغلاة السنة "لأنه كثيرا ما يشير إلى أن الظاهرية هم أهل السنة مفهما بذلك أن اعتقاده موافق لأهل الظاهر ([3])

٣٣- أبو محمد سفيان بن أحمد بن عبدالله بن الإمام (كان حيا حتى العام ٥٦٦هـ) سبق ذكره فى الفقهاء.

٣٤- الحافظ الإمام محدث الأندلس أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلسي الإندي (ت ٦١٢هـ). أخو الحافظ أبي سليمان. ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة. كان فقيها جليلا أصوليا نحويا كاتبا أديبا شاعرا متفننا في العلوم ورعا دينا حافظا ثبتا فاضلا وكان يدرس كتاب سيبويه ومستصفى أبي حامد ويميل إلي الاجتهاد في نظره ويغلب طريقه الظاهرية وولي قضاء أشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وكان من العلماء العاملين سنيا مجانبا لأهل البدع والأهواء وسمع على ابن بشكوال وقرأ أكثر من ستين تأليفا من كبار وصغار وأكثر عن ابن حبيش والسهيلي وابن الفخار وغيرهم ([4])

تلا بالسبع على أبيه، وسمع من ابن هذيل بعض "الإيجاز "في قراءة ورش. وسمع من أبي القاسم بن حبيش والسهيلي وابن الجد وابن زرقون وابن بشكوال ، وخلق.

أجاز له أبو الطاهر بن عوف من الإسكندرية، وأبو طاهر الخشوعي من دمشق. روى شيئا كثيرا، وألف كتابا في رجال الكتب الخمسة: خ م د ت س. وكان منشئا خطيبا بليغا شاعرا نحويا، تصدر للقراءات والعربية، وأدب أولاد المنصور بمراكش، ونال عزا ودنيا واسعة.

(١) أنظر: سير أعلام النبلاء، ٤٥٤/٢٠.

(٢) أنظر: العبر في خبر من غبر، ج٣ أحداث سنة سبع وثمانين وخمس مائة.

(٣) أنظر: مرآة الجنان، ٤٣٤/٣.

(٤) ابن فرحون، الديباج المذهب، ١٤٢/١.

توفي في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وستمائة ([1]).

٣٥- الحافظ إبراهيم بن خلف السنهورى الدمشقى (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م). أصله من سنهور قرية من بلاد مصر بالمحلة وكان يلقب بالناسك وله سفرات كثيرة دخل إلى نيسابور وغيرها ثم دخل الأندلس والمغرب فالتف حوله جماعة من الظاهرية درسوا على يديه ورووا عنه مثل ابن حوط الله الظاهرى، وابنه محمد ولهما منه إجازة بجميع مروياته عن شيوخه كما ذكر ابن حوط الله، وممن روى عنه أبوالعباس النباتى الظاهرى، وابن القطان الفاسى المالكى صاحب النزعة الظاهرية، وولد ابن القطان، وليس أدل على عناية الموحدين بالسنهورى أنه لما وقع فى أسر النصارى خلصه محمد الناصر بن المنصور وأحسن إليه.

اتهمه أبو الحسن بن القطان بالمجازفة والكذب وقال بن العديم ناظر بن دحية مرة فشكاه إلى الكامل فأمر به فضرب وعزر على جمل ونفي .

وقال ابن عساكر كان يشتغل في كل علم ... وكان متسمحا فيما ينقله ويرويه وكان قدومه دمشق سنة ثلاث وست مائة فانتسب مازنيا ثم انتسب غسانيا ..... ويقال ان الحامل له على تطواف البلاد طلب حشيشة الكيمياء ووصفه مكرم بن علي الأنصاري بالحفظ .

وقال بن سندي كانت له وكالات بالإجازة من شيوخ وكلوه على الإذن لمن يريد الرواية عنهم فكتب لي بالإجازة عنه وعن موكليه في سنة ثلاث وست مائة وذكر قصة محنته مع الكامل وانه لما طيف به اجتازوا به على بيت بن دحية فخرج والقى ثوبه عليه وكلم فيه الكامل فأمر بإخراجه من البلاد ثم مات غريبا في بلاد العجم قال وأنابوا إلى الله من عهدته قال وكانت وفاته في حدود العشرين وست مائة وكان ينتحل مذهب بن حزم كابن دحية في انتحاله مذهب الظاهر في الجملة .

وذكر بن الأبار عن بن حوط الله انه لم يرحل الا بعد موت المشائخ لان طلبه كان بعد الكبر وتبرأ ابن الأبار من عهدته في باب الرواية والله أعلم.

وقال بن فرتون حدث بالغيلانيات عن ابن سكينة ومسلم عن المؤيد .

---

(١) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٤٢/٢٢.

وقال ابن الصابوني دخل بغداد ونيسابور وشيراز وأصبهان وغيرها من الشرق مرارا .

وقال بن عبد الملك في ذيل التكملة كان محدثا حافظا لمتون الأحاديث ضابطا لما يرويه ثقة في نقله متين الدين جميل المروة وكان قدومه للغرب في زمن الناصر محمد بن المنصور يعقوب وهو يومئذ يحاصر المهدية فاجتمع به ووصله ثم رحل إلى مراكش ثم إلى الأندلس ثم رجع إلى مراكش فأسرته الروم ثم خلصه الناصر واحسن اليه ورجع إلى بلاده سنة خمس وستمائة قال وقدمه أبو الحسن بن القطان وغص منه في منقص الأفاضل وقد نزهه الله عن كل ما رماه به وعدله كل من أخذ عنه ووثقوه وصححوا نقله قال ولما عاد إلى مصر امتحن بسبب بن دحية فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة في اهانتة أعظم الله أجره([1]).

٣٦- أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام البهرانى اللبلى (ت ٦٢٥هـ) ولد بلبلة سنة ٥٧٣هـ رحل فى طلب الحديث وسمع ببغداد ومصر وخراسان، وروى عن ابن الجد وابن زرقون، وكان ثقة صالحا، كان شافعيا ثم تحول لأهل الظاهر ([2])

٣٧- أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبدالرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد الأموي البقوي القرطبي (ت ٦٢٦هـ) ذكر فى القضاة .

٣٨- أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة الحميري الكتامي ابن القطان الفاسى (ت ٦٢٨هـ) سبق ذكره فى القضاة.

٣٩- أبو الحسن على بن عبدالله بن يوسف بن خطاب المعافرى قاضي إشبيلية (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) ذكر فى القضاة .

٤٠- ابن دحية الكلبى وقد سبق ذكره فى القضاة .

٤١- أبو العباس أحمد بن يوسف بن أيوب بن شاذي (ت ٦٣٤هـ) ابن صلاح الدين

(١) نقلا عن ابن حجر، لسان الميزان، ١/٥٥، ٥٤.

(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٢٢/٣٠١.

الأيوبى ذكر فى الأمراء .

٤٢- أبو على عمر بن أحمد بن بن عمر بن موسى الأنصارى المعروف بالزبار (ت ٦٣٧هـ)
روى عن ابن حوط الله الظاهرى، وابن زرقون المالكى .

من تلاميذه: ابن سيد الناس الظاهرى الذى وصف شيخه "بالمحدث الصالح"، وأبو الحسن الرعينى الذى ذكر شيخه فقال "الفقيه شيخنا رحمه الله ... اتباع الظاهر غلب عليه فلم يقلد مذهبا من مذاهب الفقهاء ولا انتسب إليه "(١)، ووصفه بأنه معلمه فى المكتب، وقد حمل الرعينى عن شيخه القرآن برواية ورش، والحساب والفرائض والحديث (٢) .

تحول للظاهرية من خلال شيخه ابن حوط الله والذى أرشده إلى اختصار صحيح مسلم فاختصره واضاف إليه زيادات من صحيح البخارى فجاء من أنبل المختصرات وأتقنها (٣) .

٤٣- أبو العباس ابن نباتة الظاهرى الشيخ الإمام الفقية الحافظ الناقد (ت ٦٣٧هـ): أحمد بن محمد بن مفرج الأموي ويشير لقب مفرج، الأموي، إلى أنه كان من موالي بني أمية، والذي نعرفه عن مولاه أنه كان قد تبناه وأنه أحد أطباء قرطبة، ومن هنا فإن الجد مفرج هذا قرطبي وليس من إشبيلية التي صار حفيده أبو العباس ابن الرومية ينسب إليها فيما بعد. وقد تعلم مفرج عن مولاه الطبيب علم الأعشاب الطبية والمعالجة بها، وقد برز في هذا العلم بحيث غدا قدوة فيه (٤)، بل مارس العشابة (الصيدلة) حرفة، وهو ما فعله أبو العباس، الحفيد، فيما بعد.

أما محمد بن مفرج، والد أبي العباس، والمكنى بأبي عبدالله، فلا نعرف عنه سوى أنه أخذ علم النبات الطبي، العشابة، عن والده مفرج فكان قدوة فيه كأبيه(٥) ولا نعلم أكثر من هذا عن حياته وثقافته، ولكن يبدو أنه تزوج من امرأة رومية هي التي انجبت له ابنه أبا

(١) أنظر: برنامج الرعينى، ص٧.
(٢) نفسه، ص٨.
(٣) المراكشى، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثانى، ص٤٤١، ٤٤٠.
(٤) المنذري التكملة، جـ٦، ص٣٣٥؛ المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص، ٤٨٧، ٤٨٨.
(٥) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص، ٤٨٧، ٤٨٨، ٥١٢.

العباس، يدل على هذا تلقب أبي العباس ابن الرومية بوصفها أشهر كنية له(١). ويستنتج كراتشكوفسكي من ذلك أن أمه كانت من نصارى الأندلس(٢). ولا نعرف لأبي العباس اخوة أو اخوات، إلا أن كنية الوالد، أبي عبدالله، قد توحي بأنه كان لأبي العباس أخ بهذا الإسم.

ولد أبو العباس أحمد بن الرومية سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٥م) في شهر المحرم من تلك السنةوذلك بمدينة إشبيلية (٣)

الكنية واللقب: كني أبا العباس، كما لقب نتيجة علمه وعمله بالنبات والأعشاب بجملة ألقاب ومنها النباتي، وهو اللقب الذي استخدمه الجزيري في عنوان كتابه المذكور، كما أنه أحد لقبين ذكرهما كثيراً تلميذه الآخر ابن البيطار عندما كان يشير إليه مقتبساً منه (٤). كما نعت بالزهري، نسبة إلى الزهر والزهور(٥)، وبحكم قيامه بأخذ الحديث ورؤيته وحفظه وضبطه والإجازة فيه فقد لقب بالحافظ لدى الكثيرين، وهو اللقب الثاني الذي أورده ابن البيطار مراراً إلى جانب سابقه(٦)، كما عرف بابن الرومية، إلاّ أن المراكشي يقول بأن أبا العباس: "كان يكرهها ويقلق لها، فشهر بالعشاب والنباتي"(٧) وربما كان هذا هو السبب وراء عدم استخدام تلميذه ابن البيطار لهذه الكنية مطلقاً، ولا الجزيري، كما لحظنا من عنوان كتابه في سيرته، ولم يكن ذلك حتماً إلا من باب الوفاء للشيخ وما أحب.

قلت: وقد لقبه البعض بابن الرومية لأن أمه كانت أسبانية وكان هو يكره هذه النسبة

(١) ابن الابار: تكملة، جـ١، ص١٢١. وابن سعيد: اختصار القدح، ص١٨١، والمنذري :التكملة، جـ٦، ص٣٣٥.

(٢) أنظر:تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ق١، ص٣٤٧.

(٣) ابن الابار: تكملة، جـ١، ص١٢١، والمراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٥١٣، والذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، ص٥٨؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٥٣٨؛ وانظر محمد عبدالله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠، ص٣٣٨.

(٤) أنظر: الجامع، ١/٨١، ٨٢، ٨٦، ٩٥..

(٥) الذهبي :المشتبه، جـ١، ص٣٣٩.

(٦) انظر: الجامع، جـ١، ص١٠٥، ١٧٨.

(٧) أنظر: الذيل، س١، ق٢، ص٤٨٧ – ٤٨٨.

فجدير بنا نحن أهل الظاهر أن لا نلقب هذا الإمام إلا بما يحب كما فعل تلاميذه ومحبوه.

تكوينه الثقافي والعلمي: تابع أبو العباس أحمد والده في امتهان حرفة العشابة (الصيدلة)، فتعلم علم النبات والتطبيب به ((عن أبيه وعن جده))، ويخبرنا ابن الأبار أن ابن نباتة كان له دكان متسع يجلس فيه لبيع الأعشاب والعلاج بها، حيث يقول ((وهناك قعد في دكان لبيعه – العشب الطبي – هناك رايته ولقيته غير مرة))(١).

ولقد كان ابن نباتة مولعا بمهنته سائلا أهل الخبرة والتخصص عن بعض ما يستخدم فى التداوى ويتضح ذلك مما ذكره المقري لحوار بين أحدهم وابن نباتة ومفاده ((قال بعضهم: اجتمعت به، وتفاوضت معه في ذكر الحشائش، فقلت له: قصب الذريرة قد ذكر في كتب الطب، وذكروا أنه يستعمل منه شيء كثير، وهذا يدل على أنه كان موجوداً كثيراً، وأما الآن فلا يوجد، ولا يخبر عنه مخبر، فقال (أي أبو العباس): هو موجود، وإنما لا يعلمون اين يطلبونه، فقلت له: وأين هو. فقال: بالأحواز منه شيء كثير))(٢)

كما برز إلى جانب ذلك في علم الحديث وحفظه ومعرفة رجاله والتأليف فيه. وقد قدم لسان الدين ابن الخطيب تفسيراً لطيفاً في سبب إهتمام أبي العباس بهذين العلمين الحديث والنبات بقوله: "قام – أبو العباس – على الصنعتين لوجود القدر المشترك بينهما وهما الحديث والنبات، إذ موادهما الرحلة والتقييد، وتصحيح الأصول، وتحقيق المشكلات اللفظية، وحفظ الأديان والأبدان، وغير ذلك"(٣)

على أية حال لقد ورث ابن نباتة مهنة العمل بالأعشاب والنباتات عن أبيه وجده، وكانت الصيدلة حرفة له ومصدر عيش(٤)

أما دراسته للحديث والإنكباب على ضبطه وحفظه فسببه الإتجاه الرسمي الذي تنامى بعد سيطرة الموحدين على الأندلس والقائم على رد الناس إلى القرآن أولاً ثم كتب الحديث،

(١) أنظر: التكملة، ١/١٢١.
(٢) المقري: نفح، ٣/ ٣٥٤.
(٣) أنظر: الاحاطة، ١/٢١٥.
(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ٢، ص١٤٢٦.

أي العودة إلى الأصول وترك فروع الفقه وإختلافات مسائله ([1])شيوخه:

١ -أبو البركات عبدالرحمن بن داود الزيزاري .

٢ -ابن عربي

٣ -ابن الجد محمد بن عبدالله بن الجد الفهري (ت ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) وهو ابن مدينته إشبيلية، الذي كان فقهياً متبحراً، وقد قيل عنه أنه انتهت إليه الرياسة في الحفظ والفتيا مما زاد من مكانته لدى حكام عصره فاستشاروه وكان كما قيل ((فقيه الأندلس، وحافظ المغرب لمذهب مالك غير مُدافع ولا مُنازع، لا يداينه أحد في ذلك ولا يجاريه..)) ([2])

٤ -أبو محمد أحمد بن جمهور .

٥ -أبو الوليد بن عفير .

٦ -أبو القاسم الشراط .

٧ -عبد المنعم الخزرجي.

٨ - أبو ذر الخشني

٩ -ابن زرقون .

تلاميذه:

١-المحدث الناقد أبو محمد بن قاسم الحرار الجزيري.

٢- ابن البيطار .

أبناؤه:

١- ابنه محمد أبو النور كان يعيش في مراكش بعد وفاة والده مجاوراً للمؤرخ المراكشي.

٢- توحي كنية أبي العباس، بأن له ابنا آخر هو عباس.

---

(١) انظر: المراكشي، المعجب، ص٤٠٠ – ٤٠٢، وكذلك عبدالله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١، ص٣٠٨ – ٣٠٩.حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص٩٩.

(٢) انظر: المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٨٨ – ٥١٠؛ ابن الابار :التكملة، جـ٢، ص٥٤٢.

رحلاته: تنقل أبو العباس بين مدن الأندلس يستمع الحديث ويحصل الإجازات عن الشيوخ، فذهب إلى قرطبة ودخل غرناطة غير ما مرّة لسماع الحديث وتحقيق النبات، ونقر عن عيون النبات بجبالها، وكذلك فعل في بقية المدن (١)، ويتضح أثر تجواله في مدى سعة إطلاعه على نباتات الأندلس من خلال ما ورد من إشارات فيما تبقى من نصوص كتابه (الرحلة) إلى إقليم الشرف في ظاهر إشبيلية، وجبل شلير (سيرانيفادا) عند غرناطة، ومدن جيان ورندة وجبالها وجبال غلزا شرقي الأندلس. ثم كان توجه نظر ابن نباتة خارج الأندلس، فكانت له أول رحلة إلى المغرب، عندما كان عمره ما بين التاسعة عشر والتاسعة والعشرين من العمر، بعد سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) حيث جاز مضيق جبل طارق إلى عدوة المغرب، إلى مدينة سبتة، لكي يلتقي بأبي محمد بن محمد الحجري (٥١٢ - ٥٩٢هـ/ ١١١٨ - ١١٩٦م) الذي كان ((آيةً في الحفظ والعلم والزهد في الوظائف والإجتهاد في الاقراء))(٢) وكان قد حلّ بسبتة بعد سنين من التنقل في بلاد الأندلس، ولكن أبا العباس لم يحظ بلقائه عند عبوره إليه فعاد أدراجه، وربما كان ذلك لأنه وصل في الوقت الذي كان فيها الحجري قد استدعي من قبل الخليفة الموحدي أبو يعقوب إلى مراكش لاسماع الحديث حيث بقي فيها فترة قبل أن يعود إلى سبتة لكي يقضي حياته فيها. وخلال فترة عودته كتب إلى أبي العباس مجيزاً له(٣).

استغرقت رحلة ابن نباتة للمشرق ثلاث سنوات، كان هدفه الأساسي منها أداء فريضة الحج ولكنها في الوقت نفسه كانت رحلة علمية قل نظيرها، فلقد لقي في رحلته تلك جملة كبيرة من أعلام علماء الحديث في كبريات مدن المغرب والمشرق في ذلك العصر من رجال ونساء، فأخذ عنهم واستجازهم، ثم أسمع بعضهم بدوره، ودون تلك الأسماء في برنامج خاص (٤)، وفي نفس الوقت اهتم بدراسة أعشاب المغرب والمشرق، فبحث عنها

(١) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٨٨؛ابن الخطيب: الاحاطة، جـ١، ص٢٢١.
(٢) مؤنس: شيوخ العصر، ص١٠٠.
(٣) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٨٨ - ٤٨٩؛ عنان: عصر المرابطين، ق٢، ص٦٥٣ - ٦٥٤.
(٤) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٨٩ - ٥١٢؛ ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء، ص٥٣٨.

في أطراف المدن التي حل بها وبضواحيها، وكون ملاحظاته الخاصة عنها، وسأل سكان تلك البقاع عن تسمياتهم لها واستخداماتها الطبية عندهم، وناقش في أكثر من مناسبة علماء النبات في تلك البلاد فيما يتعلق بنباتات وأعشاب بلادهم وبلاده ثم وضع حصيلة تلك التجربة مجتمعة في كتاب فريد في النبات أسماه (الرحلة).

عبر أبو العباس البحر إلى المغرب، في مبتدأ رحلته، سنة (٦١٢هـ/1215 م) فحل ببجاية وقد أخذ الحديث في هذه المدينة عن محدِّثين على الأقل (١). كما يبدو أنه تجول في الريف الجبلي المحيط بالمدينة لذكره أسماء نباتين على الأقل مما ينبت بجبالها دون ذكرها يقطع برؤيته لها في مواضعها، وينطبق هذا الشيء على ذكره لنباتات أو أعشاب في المغرب الأقصى وسبتة، دون ذكر زيارة تلك الأماكن في هذه الرحلة. ويتضح بأنه تجول في أطراف الإقليم الذي تعد بجاية إحدى مدنه الغربية القصوى، وهو إقليم إفريقية، والذي يمتد من بجاية أو مليانة أو طنجة الخضراء غرباً إلى الإسكندرية شرقاً، عبر تونس والقيروان والمهدية وطرابلس وبرقة، وفي تجواله جمع معرفة طيبة عن أعشابها الطبية ذكرها في أكثر من موضع في (رحلته) بمسمياتها العربية أو البربرية (٢).

حل ابن نباتة بمدينة تونس والتقى ببعض علمائها دون أن يستجيزهم بالتحديث عنهم .كما أخذ عن أحد أهل تونس معلومات عن بعض أنواع الحجارة. ثم كان مروره بالقيروان والمهدية وقابس وطرابلس وبرقة في طريقه إلى مصر، وشاهد ما ينبت فيها أو في أطرافها من أعشاب ونباتات وأشار إلى ذلك مراراً في (الرحلة)(٣)

وصل ابن نباتة إلى أرض مصر، حيث دخل الإسكندرية سنة (٦١٣هـ/1216م) وفيها التقى بجملة من العلماء والمحدثين، وبعض العلماء الأندلسيين، أشهرهم الرحالة ابن

(١) ياقوت بن عبدالله الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥، جـ١، ص٣٣٩؛ المراكشي :الذيل، س١، ق٢، ص٤٩٠.

(٢) ابـن البيطـار: الجـامع، جـ١، ص٢٠، ١٣٤، ٦، ٥، ١٥، جـ٢، ص٣٢، ١٢٤وانظـر: الحمـوي: معجـم البلدان، ٢٢٨/١.

(٣) المراكشي: الـذيل، س١، ق٢، ص٤٩٠؛ وانظر :ابـن البيطـار: الجـامع، جـ١، ص٥، ٥٢، ١٧٣، جـ٢، ص٨، جـ٣، ص١٤٨، جـ٤، ص٣٢، ١١٠، 140، 210.

جبير صاحب الرحلة المشهورة(١)، لم يطل المقام به فى الإسكندرية حيث يذكر أنه لم يسعفه الوقت ليستجيز من كل من عرفه من محدثيها فأجاز له بعضهم كتابة بعد مغادرته (٢). وربما كان وراء عدم إطالته المقام بالإسكندرية، فضلاً عن ضيق الوقت أمامه للحاق بموسم الحج، دعوة الملك العادل أبي بكر ابن أيوب، أخي صلاح الدين وسلطان بلاد الشام ومصر له، للقدوم عليه في القاهرة، حيث صادف أنه كان موجوداً فيها أثناء قدوم أبي العباس إلى مصر. وقد تلقاه في القاهرة وأكرمه، ويخبرنا المؤرخ الطبيب الثقة ابن أبي أصيبعة أن العادل ((رسم أن يقرر له – أي لأبي العباس – جامكية وجراية (راتباً ثابتاً) ويكون مقيماً عنده .فلم يفعل. وقال :إنما أتيت من بلدي لأحج إن شاء الله وأرجع إلى أهلي)). وهذا العرض من قبل العادل إنما يدل على مكانة أبي العباس العلمية وذيوع شهرته، فقد كان للملك العادل الكثير من الأطباء والعشابين المشهورين ولم يكن ليطمح إلى مرافقه أبي العباس له مع وجودهم لولا إرتفاع قدر علمه.. خاصة إذا علمنا أن خير عشابي العصر في المشرق آنذاك وهو رشيد الدين أبو المنصور الصوري (٥٧٣/639 – هـ/ ١١٧٧ – ١٢٤١م) كان في صحبته في مصر آنذاك، وهو ما عرف عنه من معرفته بأدوية وأعشاب لم يعرفها من قبله وبمنهجه المتميز بتصوير هيئات النباتات في بيئاتها في جبال لبنان وبلاد الشام، وبكونه أعلم أطباء الشام بالأدوية المفردة(٣).

رحل ابن نباتة عن مصر ميمماً شطر مكة، حيث توجه براً من القاهرة إلى جنوب بلاد الشام، وإلى القدس بالذات حيث هناك ما يشير إلى وجوده فيها سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) . وفيها وصلته بعض الإجازات بالتحديث أرسلت إليه من أماكن أخرى (٤) وقد أشار ابن نباتة فى غير ما موضع أثر نباتات بيت المقدس عليه من ذلك قوله في نبات ذنب الخروف ((رأيته بالبيت المقدس كرمه الله تعالى ويسمونه بذنب الخروف وهو عندهم مجرب في عضة

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون، ص٥٣٨؛ المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٩٠.
(٢) المراكشي :الذيل، س١، ق٢، ص٤٩٠.
(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون، ٥٣٨.
(٤) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٥٠١.

الكلب الكلب))، ويقول عن نبات البلان ((واغصانه يتخذ منها المكانس للطرق ببلاد القدس ونواحيه))، وقال ((رأيت منها بجبال القدس أمنه الله تعالى)) .

غادر أبو العباس القدس نحو الجنوب إلى مكة، والأغلب أنه سلك طريق أيلة جنوباً إلى الحجاز على الطريق الساحلي للبحر الأحمر إلى هدفه، وواضح أن أبا العباس قد أفاد من وجوده في الحجاز فتجول في انحائه وتعرف على العديد من أعشابه ونباتاته سائلاً الأعراب عن أسمائها واستخداماتها مقارناً إياها بما سبق له معرفته من أشباهها أو نظائرها في أماكن أخرى سبق بحثه عنها فيها، فدخل الأودية والجبال هنا وهناك وبالأخص قرب مكة، فكثيراً ما نجد له إشارات يستشف منها ما ذكرناه، كقوله ((شجر معروف عند العرب بمكة)). او كقوله ((رأيته بمقربة من قديد، وهو بجبال مكة كثير جداً)). أو قوله عن نبات آخر وهو شجرة الزقوم ((وسماها لي بعض أعراب عرفه)) .كما أشار إلى تجواله في ضواحي المدينة للغرض نفسه يختصر ذلك قوله عن نبات من النباتات ((رأيته بين المدينة والبقيع، وسألت عنه بعض الأعراب فسماه وعرفه..)) (١)

لم يقتصر جهد ابن نباتة على تنمية معرفته النباتية وتوثيقها، بل أخذ الحديث عمن وجده في مكة من نزلائها، رغم أن عدد من ذكره منهم كان إثنين فقط[١٢١.] إثر إنتهاء أبي العباس من أداء فريضة الحج غادر الحجاز للتو متوجهاً إلى العراق، وقد مر وهو في طريقه إلى بغداد بالكوفة وبابل (الحلة)، ثم كان وصوله إلى بغداد غرة صفر سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) .وقد سارع بعد وصوله بثلاثة أيام إلى بدء سلسلة من اللقاءات مع رجال الحديث المشهورين في عاصمة الخلافة العباسية. وقد ورد ذكر العشرات منهم في (برنامجه) من رجال ونساء ممن سمع منهم أو حصل على إجازة بالتحديث عنهم كما أنه اتصل بذوي المعرفة بالعقاقير والأعشاب في بغداد وأفاد من معرفتهم وخاصة بنباتات وأعشاب المشرق البعيد التي لم يتح له هو رؤيتها، وفي إشارة له إلى لقاء من هذا النوع يقول عن نبات التربد: ((التربد بالعراق على الصفة التي تجلب إلينا، وهو مجلوب إليهم أيضاً من

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، /٢/ ٣١٩، ٤٠٤؛ أنظر: ابن البيطار: الجامع، ١/ ٣٣، ٥٧، ١٠٧، ٩٥، ١٠٧، ٣٣ ؛ ٢/ ١٦٦ ؛ ٣/ ٨٢، ٤/ ٢٠١.

وادي خراسان .وأخبرني الثقة العارف بالعقاقير أبو علي البلغاري ببغداد أنه بحث في البلاد الخراسانية عن صفته وهيئته وورقه فأخبره الجلابون له أن ورقه على هيئة ورق اللبلاب الكبير إلا أنه محدد الأطراف)). أو يشير إلى نوع من الحجارة، وهو حجر البارقي فيقول ((هو

حجر شكله شكل الحجارة المصرية. اخبرني الثقة عنه ببغداد، وهو من رآه ولم يعرفه حتى أخبر به وبخواصه العجيبة))([1])

ترك أبو العباس بغداد مصعداً مع نهر دجلة بإتجاه الشمال، فحل في تكريت، وفيها سمع على اثنين من المحدثين، ثم سار إلى الموصل وسمع الحديث فيها على جملة من رجاله، وصحب بعضهم، نخص بالذكر منهم المحدث والمؤرخ الشهير علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المعروف بابن الأثير (٥٥٥ – ٦٣٠هـ/ ١١٦٠ – ١٢٣٣م) ويبدو أنه تجول في أنحائها بحثاً عن نباتاتها كما أنه تحادث مع بعض أهلها بهذا الشأن، مثال ذلك ما أورده من حديث نبات العاقول: ((هو شوك معروف بالمشرق كله.. وهو كثير بالعراق.. وذكر لي بعض أهل الموصل ان عصارته عندهم تجلو بياض العين والظلمة عنها وهم يستعملونه أيضاً في برودات العين))([2])

وفى برنامج شيوخه ما يفيد أنه حصل من كوكبوري بن علي ابن بكتكن صاحب اربل وأميرها (٥٦٨ – ٦٣٠هـ/ ١١٩٠ – ١٢٣٢م)، على السماح بالتحديث عنه بعد أن طلب ذلك منه بوساطة بعض من تقدمه في الرحلة من أصدقائه([3])

سار أبو العباس من الموصل قاصداً بلاد الشام، وفي طريقه مر ببعض مدن الجزيرة الفراتية، ومما ورد ذكر مروره بها، مدينة ذُنيصر، وهي مدينة على مسافة فرسخين (حوالي 12كم). إلى الجنوب الغربي من ماردين. والتي كانت في عهد مروره بها قد أصبحت مدينة

(١) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، س١، ق٢، ص٤٩٠-٤٦٩؛ ابن البيطار: الجامع، ٢/ ١٩، ١٢.
(٢) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، جـ٤٩٦؛ ابن البيطار: الجامع، جـ٢، ص٣.
(٣) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٥٠٦.

واسعة كثر سكانها، وعظمت أسواقها، بعد أن كانت قبل بضعة عقود من الزمن لا تعدو كونها قرية إعتيادية، وأخذ الحديث من أحد رجالها. ثم مر بحران، وشاهد بها بعض النباتات، ثم كان عبوره الفرات إلى مدينة حلب من بلاد الشام (١). ولم يحصل له سماع للحديث بها لأن من سعى إلى لقائه كان مريضاً ففاته ذلك. ولكنه اطلع على بعض نباتات المكان واستخداماتها الطبية(٢) على أن أطرف تجربة له في تلك المدينة هي لقاؤه هناك بالعالم الشهير ومؤرخ سير الحكماء والنحاة القاضي أبي الحسن علي بن يوسف الشيباني، المعروف بابن القفطي (٥٦٨ – ٦٤٦هـ/ ١١٧٢ – ١٢٤٨م) فقد دعا القفطيابن نباتة إلى داره .وقد أخبر ابن نباتة صاحبه أنه حمل معه في بداية رحلته من إشبيلية حتى تونس كتاب ((تعليم المتعلم)) في أربعين مجلداً، وهناك أخذه منه وزير الموحدين في تونس بطريقة فيها بعض العسف الشيء الذي أغضب ابن القفطي. ويعبر ابن القفطي عن لقائه بابن نباتة بقوله ((اجتمعت به وتفاوضنا في ذكر الحشائش))(٣) .

كانت المدينة التالية بعد حلب هي دمشق، وفيها سمع على العديد من المحدثين وأشهرهم ابن الحرستاني وابن ملاعب وابن العطار وهم من مشاهير محدثي العصر، ووصلت إلينا إشارته مرة واحدة إلى دمشق فيما يتعلق بنباتاتها عندما أخبرنا بأن أهل دمشق يسمون شجرة الغبيراء التي لا تثمر الزيزفون. ولكنه ذكر بلاد الشام بشكل عام في أكثر من مناسبة في أحاديثه النباتية (٤).

وقد تركت دمش أثرا واضحا على ابن نباتة حتى أن ابن سعيد وهو أحد من صحبه بعد عودته من رحلته قال ((كان كثيراً ما يطنب في الثناء على دمشق ويصف محاسنها، فلا

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص٤٧٨؛ المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٩٧؛ ابن البيطار: الجامع، جـ٣، ص٨٥ ؛ابن جبير: الرحلة، ص٢٣٤ – ٢٣٥.

(٢) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٩٩، ابن البيطار :الجامع، جـ٤، ص١٢٤.

(٣) ابن القفطي: انباه الرواة على انباه النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ٤/ ص١٨٦ – ١٨٧.

(٤) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٩٧ – ٤٩٨. وعن نبات دمشق انظر ابن البيطار: الجامع، جـ٣، ص١٤٨.

انفصل عنه إلا وقد إمتلأ خاطري من شكلها فأتمنى أن أحل مواطنها..))([1])

نزل أبو العباس، وهو في طريق عودته إلى بلاده، من بلاد الشام إلى مصر ليحل بها بعض الوقت للمرة الثانية، وقد التقاه هناك أحد محدثي العصر وواحد من أشهر مترجمي رجال القرن، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري (٥٨١ – ٦٥٦هـ/ ١١٨٥ – ١٢٥٨م)، الذي أخبرنا بلقائه به في عودته من الرحلة، وفي هذه المرة قام هو بتحديث بعض العلماء وإجازاتهم في الحديث عنه، وأشهر من أخذ عنه الحديث هناك هذه المرة أحد كبار محدثي العصر. محمد بن عبدالغني ابن نقطة (٥٧٩ – ٦٢٩هـ/ ١١٨٣ 1231 –م)، والذي بعد أن أخذ عنه وصفه بأنه كان ((ثقة حافظاً صالحاً)) ورغم أن المنذري لم يتفق له سماع الحديث عن ابن نباتة، إلا أنه أخبرنا بأنه بعد إنتهائه من التحديث غادر متجهاً إلى المغرب([2]).

عاد ابن نباتة بعد رحلة طويلة استغرقت ((نحو ثلاثة أعوام)) ([3])، فتكون عودته إذاً بحدود عام (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، وهو في الثالثة والخمسين من العمر.

تحول ابن نباتة للمذهب الظاهري: نشأ ابن نباتة على المذهب المالكي، الذى درسه على ابن الجد وكذا على محمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن زرقون (٥٣٨ – ٦٢١هـ/ ١١٤٣1224 – م) وكان ممن سكن إشبيلية ونسب إليها، وقد عرف عن هذا الشيخ أنه كان حافظاً مبرزاً، شديد التعصب للمذهب المالكي منافحاً عنه، إلا أنه لم يكن له بصر بالحديث بإعترافه هو([4]). ورغم أنه قد أشير إلى طول ملازمة أبي العباس له، إلا أن أياً من مصادرنا لم يحدد طول تلك المدة ولا زمن إنتهائها، إذا أننا نعلم بأن أبا العباس ترك أستاذه لينحاز إلى المذهب الظاهري، مذهب ابن حزم الأندلسي، نائيا عن اتجاه أستاذه الذي كان معاديا للظاهرية وللإمام ابن حزم كما يتضح من عنوان أحد مؤلفاته، وهو (المعلى في الرد على المحلى والمجلى لابن حزم)، ومع مرور الوقت ازداد إنحياز أبي العباس بن الرومية إلى

(١) أنظر: اختصار القدح، ص١٨١.
(٢) المنذري: التكملة، ٦/٣٣٥ ، ٣٣٦ ؛ الذهبي، سير، ٢٣/ ٥٩؛ كحالة: معجم المؤلفين، ١٠/ ١٧٩.
(٣) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٨٩.
(٤) ابن الابار: التكملة، جـ٢، ص٦١٦.

مذهبه الجديد ([1])، ولعل دعوة الموحدين للعمل بالكتاب والسنة فضلا عن تنكيبهم بمتعصبى المالكية ومنهم ابن زرقون ([2])، شيخ ابن نباتة كانا من أسباب تحول ابن نباتة من المالكية إلى القول بالظاهر، ولعل الإفتراق بين ابن نباتة وشيخه تم خلال فترة محنة الشيخ وسجنه بسبتة.

ازداد ابن نباتة إعجابا بالمذهب الظاهري حتى عد متعصباً له. بل كان، في عبارة أحدهم ((كان ظاهري المذهب، منحياً على أهل الرأي، شديد التعصب لأبي محمد ابن حزم))([3]). وبذل في سبيل إبراز المذهب الظاهري وأعمال ابن حزم جهده إذ كان قد عني بكتب ابن حزم كثيراً واستحسنها وانفق عليها أموالاً جسيمة حتى استوعبها جرماً فلم يشذ عنه منها إلا ما لا خطر له إن كان قد شذ، مقتدراً على ذلك معاناً عليه بجدته ويساره))([4]).

وتعقب اشبهات والاتهامات التى روجت ضد أئمة الظاهرية لا سيما داود بن على الذى جرحه بعض المتعصبين مثل الأزدى حيث قال عنه "لا يقنع برأيه ولا بمذهبه تركوه"، فرد عليه ابن نباته الظاهرى فى كتابه الحافل فى تذييل الكامل قائلا :" وما ضر داود ترك تارك مذهبه .. وداود بن على ثقة فاضل إمام من الأئمة" ([5]).

النشاطات العلمية لأبي العباس في الأندلس: اسهمت رحلة أبي العباس السابقة الذكر في تكوينه العلمي وإعداده إعداداً راسخاً. كما عبر عنه المراكشي، فإنه قد عاد ((برواية واسعة وفوائد جمة، وجلب كتباً نافعة وتصانيف غريبة)). ومسألة جمعه للكتب وشرائها ونسخها على اختلاف مواضيعها وتنوعها مسألة معروفة عنه قبل رحلته، وقد ساعده على ذلك كونه موسعاً عليه في معيشته، بحكم حرفته المربحة، فإذا ما انضاف إليها زهده في

(٤) ابن الابار: تكملة، جـ١، ص١٢١.

(٢) اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٩٧٠، جـ٤، ص٤٩.

(٣) ابن الابار: تكملة، جـ١، ص١٢١ ؛المراكشي :الذيل، س١، ق٢، ص٥١٢.

(٤) المراكشي :الذيل، س١، ق٢، ص٥١٢.

(٥) توفيق الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٣٤٧، ١٨، ٢٧٨، ٢٧٧.

الدنيا وحبه البالغ للعلم([1])، ويمكن أن نقسم نشاطه العلمى إلى التالى :

أولا: ممارسة الصيدلة وما يلازمها من معرفة النبات الطبي. فقد عاد أبو العباس إلى دكانه ليمارس حرفته فيه وقد ذكر ذلك أكثر من معاصر له، كابن الأبار الذي التقى به في ذلك الدكان أكثر من مرة وجالسه فيه كما سبق وأن أشرنا، وأبي الحسن بن سعيد (٦١٠ – ٦٨٥هـ/ ١٢١٣ – ١٢٨٦م) الذي ذكر مجالسته له في إشبيلية بعد عودته([2]). وقد كان ناجحاً في حرفته رائج الشهرة فيها يذكر ذلك معاصره وأحد أصحاب ولده المراكشي، فيصف إقبال الناس عليه لحاجتهم إليه مما يستغرق معظم وقته ((إذ كان حسن العلاج في طبه، مورود الموضع لثقته ودينه، أمام أهل المغرب قاطبة في معرفة النبات، وتمييز الأعشاب وتحليتها وعلم منافعها ومضارها، غير مدافع عنه ولا منازع فيه)) ([3]) بل وجاوز ذلك حدود المغرب إلى المشرق عندما ذكره مؤرخ الأطباء ابن أبي أصيبعة بأنه: ((اتقن علم النبات ومعرفة أشخاص الأدوية وقواها، ومنافعها واختلاف أوصافها، وتباين مواطنها، وله الذكر الشائع والسمعة الحسنة، كثير الخير.. محقق الأمور الطبية))([4])

ثانيا: التحديث والتدريس: قام ابن نباتة بإعطاء الحديث لطالبيه، وعنه أخذ الكثيرون، فقد أخذ عنه جمع من أهل بلده، فضلاً عن كثيرين آخرين ممن أخذوا عنه أثناء رحلته في المغرب ومصر والحجاز والعراق والشام كما أنفنا. ولا عجب في ذلك فإن شهرته كمحدث ليست أقل كثيراً من شهرته عشاباً وقد وصفه مؤرخ عصر ابن الأبار بأنه بصير بالحديث ورجاله، كثير العناية به.. ([5]) وقد وصفه أشهر محدثي عصره في المشرق، ابن نقطة بالثقة الحافظ الصالح وذلك بعد أن سمع عليه الحديث([6])، وقال المراكشى: حدثنا

(١) مراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٤٨٩.
(٢) ابن سعيد: اختصار القدح، ص١٨١.
(٣) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٢١٥.
(٤) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٥٣٨.
(٥) أنظر: التكملة، جـ١، ص١٢١.
(٦) نقلا عن: الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ٢، ص١٤٢٦.

عنه شيوخنا.. وكان محدثاً حافظاً ناقداً(١)

وقد كان أبو العباس سمحاً مع طلبة العلم، يقدم لهم كتبه كي يفيدوا منها، بل ربما وهب لهم أو لمن طلب منه بعض الكتب النفيسة النادرة الوجود المرتفعة الثمن احتساباً وأملاً في إفادة العلم والمتعلمين، وله في هذا المجال أخبار كثيرة تدل على فضله وكرم طبعه، ولهذا فقد أحبه تلامذته وخلدوا ذكره، كما امتدحوه فيما بعد أمام طلبتهم.

لم يكتف أبو العباس بتدريس الحديث، بل درّس النبات والأعشاب الطبية، وقد وصل إلينا ذكر واحد من تلامذته وهو عبدالله بن أحمد البيطار (ت ٦٤٦هـ1248 /م) صاحب كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) الشهير.

ويتضح اثر ابن نباتة على تلميذه ابن البيطار فى توجيهه لنقد التراث العلمي النباتي لقدماء اليونان كديسقوريدس وجالينوس، وهما مما قيل أن ابن البيطار امتلك في معرفة نتاجهما في مجال النبات الطبي وفي نقدهما وشرح معطياتهما ما يتعجب منه، ذلك أن ابن نباتة كان قد اشتهر بإلمامه بتراث ديسقوريدس وجالينوس النباتي وتأليفه في شرح أعماله ونقد ترجمتهما إلى العربية.

وربما كان أبو العباس هو الذي حفز ابن البيطار، تلميذه، للذهاب إلى مصر للإلتحاق بخدمة الأيوبيين فيها لكي يضمن مستقبله لديهم، بعد أن فضل هو العودة إلى بلده على عروضهم له، ففعل ابن البيطار عندما رحل بعد سنتين من عودة ابن نباتة، ثم كان التحاقه بخدمة الملك الكامل الأيوبي (٦١٥ – ٦٣٥هـ/ ١٢١٨ – ١٢٣٨م) ابن الملك العادل، في مصر، لكي يصبح هناك رئيساً للعشابين، ولم ينس التلميذ أستاذه، فضلاً عن أنه اقتبس منه حوال (٨٥) مرة في كتابه (الجامع) فإنه أشار إليه بقوله شيخنا أو ((شيخنا ومعلمنا)) أو ((وفي كتاب الرحلة لأبي العباس النباتي)) أو ((أبو العباس النباتي في كتاب الرحلة))، أو ((كتاب الرحلة)) فقط (٢)

ثالثا: التأليف والنسخ: كان ابن نباتة كثير النسخ للكتب فإن لم يكن منصرفاً إلى

(١) الذيل، س١، ق٢، ص٥١١

(٢) جزيل عبدالجبار الجومرد، ابن الرومية الظاهرى، مجلة آداب الرافدين، العدد ٢٤، ص٤٩٤-٥٣٦

التأليف أو علاج الناس في دكانه انصرف إلى النسخ، هذا رغم إفراط رداءة خطه(١)، والتي قد تكون أحد أسباب قلة انتشار كتبه ولكثرة اهتمامه بالنسخ والعلم وزهده بما سواه فإن رواية تروى عن مرور ابن هود حاكم الأندلس، وبلد إشبيلية من (٦٢٦ 635 -هـ/ ١٢٢٨ – ١٢٣٧م) به وهو ينسخ في دكانه، فوقف ابن هود بباب الدكان وسلم على ابن نباتة، الذي رد السلام دون أن يقوم للقائه، ثم سرعان ما انكب على كتاب ينسخه، فبقى ابن هود واقفاً منتظراً أن يرفع إليه رأسه ساعة طويلة فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى (٢) هذا وقد ألف ابن نباتة عدة كتب ورسائل لم يصل إلينا منها شيء للأسف الشديد، سوى نقولات معدودة من كتاب (الرحلة) تضمنها كتاب (الجامع) لابن البيطار ويغلب على مؤلفات أبي العباس طابع خاص، وهو أنها إما مختصرات أو تعليقات أو استدراكات أو تذييلات أو شروح أو نقد، وقد عبر المراكشي عن ذلك خير تعبير في جمل وجيزة عندما قال إن لأبي العباس ((فيما ينتحله من الفنين تصانيف مفيدة وتنبيهات نافعة واستدراكات نبيلة بارعة، وتعقبات لازمة))(٣).

وهذه قائمة بما وقفنا عليه من مصنفاته (٤)

مصنفاته فى الحديث وعلومه:

١– المعلم بزوائد البخاري على مسلم.

٢– نظم الدراري فيما تفرد به مسلم عن البخاري.

٣ – اختصار (الكامل) في الضعفاء والمتروكين. في مجلدين. والمقصود بـ(الكامل) الذي اختصره هنا هو كتاب (الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة) لأبي أحمد

(١) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٥١٢.

(٢) ابن الابار: تكملة، جـ١، ص١٢٢. والمراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص١٣.

(٣) الذيل، س١، ق٢، ص٥١٣.

(٤) عن مصنفات ابن نباتة أنظر: المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٥١٣، وابن الخطيب: الاحاطة، جـ١، ص٢١٨، ٢١٩؛ الذهبي :تذكرة الحفاظ، جـ٢، ص١٤٢٦. وسير أعلام النبلاء، جـ٢٣، ص٥٩؛ ابن الابار: تكملة، جـ١، ص١٢١ ؛ حاجي خليفة: كشف: جـ٢، ص١٣٨٢؛ ابن أبي أصيبعة :عيون، ص٤٩٣، ٤٩٥.

عبدالله بن محمد المعروف بابن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) الذي كان في ستين جزءاً واعتبر من أكمل كتب الجرح والتعديل الذي اعتمد عليه الأئمة.

٤ – الحافل في تذييل (الكامل). وقد كان في مجلد واحد ضخم؛ وقد ذكر ابن الابار أن شيخه أبا الخطاب بن واجب كان يستحسن هذا الكتاب ويثني عليه ([1]).

٥ – توهين طرق حديث الأربعين. في أربعين باباً.

٦ – إختصار (غرائب حديث مالك). و(الغرائب) هذا هو من جمع أبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقُطني (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م).

٧ – التذكرة، أو (برنامج شيوخه). ويفترض أن تكون هذه التذكرة بمثابة الجدول لأسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم أبو العباس الحديث، ويصفها ابن الأبار بعد أن يسميها (فهرسة) بقوله" :وله فهرسة حافلة أفرد فيها روايته بالأندلس من روايته بالمشرق"([2]) ويبدو أنه توفي وقد ترك أكثر من نسخة من تذكرته تلك فيها تفاوت وأخطاء يدلنا على ذلك قول المراكشي الذي أوردها في كتابه (الذيل والتكملة) عندما تحدث عن أبي العباس ((هذا منتهى ما انتقاه أبو العباس النباتي من الشيوخ الذين استجيزوا له حسبما مر تفسيره وعلى ما ذكرهم في فهارس له منوعة بين بسط وتوسط وقفت منها كذلك على ما هو بخطه وبخط بعض أصحابه والآخذين عنه))([3]) فالمراكشي في الحقيقة وفر نسخة محققة من التذكرة في كتابه، عني بضبطها عناية كبيرة. وعندما يصف لسان الدين بن الخطيب بقوله ((وبرنامج مروياته وأشياخه مشتمل على مئين عديدة، مرتبة أسماؤهم على البلاد العراقية وغيرها))([4]) فإنما يصف ما حققه المراكشي وصححه.

٨ – أخبار محمد بن إسحاق.

٩–بحر الآثار فى الحديث .

(١) أنظر: التكملة، ١/١٢١.

(٢) ابن الابار: تكملة، جـ١، ص١٢١.

(٣) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٥١٠.

(٤) أنظر :: الاحاطة، جـ١، ص٢١٨.

١٠–كنز الأخبار فى الحديث.

وفى التفسير:

١–تفسير العشاب فى عشر مجلدات .

٢–تفسير مختصر فى مجلدين ([1])

وفى الفقه :

١ – حكم الدعاء في إدبار الصلوات.

٢ –كيفية الأذان يوم الجمعة.

٣ - كتاب البر.

٤ - كتاب الحج .

٥ - معيار الفقهاء.

مصنفاته فى النبات

١–شرح (حشائش) ديسقوريدس و(أدوية) جالينوس والتنبيه على أوهام مترجميها ([2]). والواضح أن أبا العباس شرح في كتابه المذكور مادة الكتابين مجتمعة كما نقد بعض صيغ الترجمة والأخطاء التي وقع فيها المترجمون العرب عند محاولتهم إيجاد البدائل العربية للتسميات اليونانية.

---

(١) المختار بن عيسى، أبو العباس الإشبيلى وجهوده فى علوم الحديث، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١/١١٩.

(٢) ديسقوريدس هو طبيب يوناني (٤٠ – ٩٠ ميلادية تقريباً) وهو أشهر العشابين في العالم القديم قبل الإسلام، وقد ألف كتابه (Materia Medica)بعد تجوال ودرس طويل للأعشاب وخواصها الطبية سنة 70)م). وقد ترجم هذا الكتاب ثلاث مرات إلى العربية وسمي (بكتاب الأعشاب) وجرى شرحه عدة مرات كما فسر ونقد من قبل علماء النبات والأطباء المسلمين في أكثر من مناسبة قبل عهد ابن نباتة. أما جالينوس فهو الطبيب اليوناني الشهير (١٢٩ – ١٩٩ ميلادية تقريباً) والذي اشتهر كأعظم أطباء العالم القديم قبل الإسلام والذي ترك عدداً كبيراً من المؤلفات في مختلف فروع الطب[٢٠٢]، وقد قام العرب المسلمون بترجمة معظمها في بغداد وغيرها، بحدود القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين، ومنها الكتاب المقصود هنا (كتاب الأدوية المفردة) وقد ترجمه حنين بن إسحاق العبادي (260١٩٤ – هـ/ ٨١٠ – ٨٧٣م) في بغداد.

٢–التنبيه على أغلاط الغافقي في أدويته.

٣–الرحلة. ويعد كتاب الرحلة أشهر كتب أبي العباس بن الرومية، وربما كان أحد مصادر شهرته الكبيرة. وقد ورد أسم الكتاب لدى من أشار إليه هكذا فقط الرحلة بإستثناء لسان الدين بن الخطيب فهو الوحيد الذي أسماه (الرحلة النباتية) ([1]) .

وينتابنا الاستغراب كيف أن ابن أبي أصيبعة لم يذكر الكتاب عندما ترجم لأبي العباس، وهو المعروف أنه تلميذ ملازم لابن البيطار تلميذ ابن نباتة بينما يذكر لنا ابن العديم، وهو معاصر شامي لابن نباتة (٥٨٦ – ٦٦٠هـ/ ١١٩٠ – ١٢٦١م) بأنه وقف على كتاب صنفه الأخير في الحشائش ورتب أسماءها على حروف المعجم ووصفه بأنه كتاب حسن كثير الفائدة. وهذا الوصف ينطبق على كتاب (الرحلة)، الجدير بالذكر أن وصول الكتاب إلى ابن العديم يؤكد على أن نسخاً منه وصلت إلى مصر قبل مرور وقت طويل على تأليف الكتاب، وربما كان ابن البيطار هو واسطة جلبه فلابد أنه حصل على نسخة منه عندما أعد كتابه (الجامع لمفردات الأدوية) بحكم كثرة اقتباسه منه.

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب الرحلة يمثل خلاصة مشاهدات ومعاينات ودراسة ابن نباتة للنباتات المختلفة التي مر بها في رحلته المذكورة سابقاً، كما أنها حصيلة حواره مع بعض علماء الأعشاب والعطارين في بعض المدن التي مر بها يضاف إليها ما جمعه من أفواه أعراب البوادي أو بربر الشمال الإفريقي أو بعض سكان المدن مما يتعلق بأسماء بعض الأعشاب وخواصها الطبية وأوجه إستخداماتها في الأقاليم التي تنبت فيها، يضاف إلى كل هذا وذاك القليل من معلوماته التي حصل عليها بالدرس في بلاده الأندلس أو قرأها في بعض كتب الصيدلة أو النبات. وبذلك فالكتاب لا يمثل جملة معرفة أبي العباس بالأعشاب بل هو يمثل التفاصيل النباتية لرحلة علمية.

أما منهج الكتاب، فإن مادته رتبت تحت أسماء النباتات، نباتاً نباتاً، مرتبة هجائياً. وجرى تناول كل نبتة على حده، ورغم أننا لا نستطيع أن نجد تناولاً منتظماً لجوانب بعينها في النبتة يجري تناولها في حال عرض المعلومات عن كل نبتة، إلا أنه يمكن القول أنه جرى

(١) أنظر: الإحاطة، ٢١٩/١.

التأكيد على نطق إسم النبات وتحريك حروفه، خاصة إن لم يكن الإسم عربياً مما قد ينتاب النطق باسمه اللبس، كما يبين فيما إذا كان الإسم عربياً أم بربرياً أم يونانياً، وغالباً ما تذكر الأسماء المختلفة للنبات الواحد باختلاف الأمكنة، من بواد ومدن وقرى، مما مر به أبو العباس في رحلته أو شاهده في بلاده وسمعه هناك، وكثيراً، وليس دائماً ما يرد، وصف أجزاء النبتة أو العشبة المذكورة، كجذورها أو سوقها أو أوراقها أو زهرها أو ثمرها؛ وإذا ما شابهت النبتة نبتة أخرى ذكر ذلك من باب التمييز والتعريف للقارئ، وزيادة على كل هذا حوت بعض النصوص، طرائف متفردة مما يتعلق بنبتة أو عشبة دون غيرها، أما من حيث تأثيرها، أو سبل استخدامها أو طرق نقلها بعد جنيها إلى الأسواق(١)

٤- جامع الأدوية المفردة.

٥-رسالة فى تركيب الأدوية .

٦-كتاب الصيدلة .

٧-مقالة فى تفسير الأدوية .

ابن نباتة والشعر: كان لابن نباتة بعض الولع بنظم الشعر ولكنه لم يكن ممن يرغب في ذكر ما يؤلفه من شعر الآخرين، يقول صاحبه ابن سعيد ((وكان غير متظاهر بقول الشعر، إلا أن أصحابه يسمعون منه ويروون عنه، وحملوه عنه في بعض الأوقات، فقال :تكفيك هذه الأبيات... وهي في الثناء على مدينة دمشق التي كان يطنب في حديث الشوق إليها:

خيم بجلق بين الكأس والوَترِ في جنة هي ملء السمع والبص(٢).

تقريظ العلماء له: قال أبو عبد الله الأبار كان ظاهريا متعصبا لابن حزم بعد أن تفقه في المذهب المالكي على أبي الحسين بن زرقون وطالت صحبته قال وكان بصيرا بالحديث ورجاله وله مجلد مفيد فيه استلحاق على الكامل لابن عدي جمعه في سفر ضخم سماه بالحافل سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب يستحسنه ويثني عليه واختصر الكامل المذكور في مجلدين واختصر أيضا تأليف الدارقطني في غريب حديث مالك وغيره أضبط

(١) جزيل عبدالجبار الجومرد، ابن الرومية الظاهرى، مجلة آداب الرافدين، العدد ٢٤، ص٤٩٤-٥٣٦

(٢) أنظر: إختصار القدح، ص١٨١.

منه، وكانت له بالنبات والحشائش معرفة فاق فيها أهل العصر وجلس في دكان لبيعها سمع منه جل أصحابنا .

وقال ابن نقطة كتبت عنه وكان ثقة حافظا صالحا والوهري والزهري بفتح أوله.

قال الذهبى وكان له بالنبات والحشائش معرفة فاق بها أهل العصر وجلس في دكان يبيعها سمع منه جل أصحابنا قال الحافظ المنذري لقيته بمصر بعد عوده وحدث بأحاديث من حفظه وجمع مجاميع لم يتفق لي السماع منه وكتب عنه بن نقطة وقال كان ثقة حافظا صالحا .

وقال بن فرتون أفرد بعض تلامذته له سيرة فذكر انه مات فجأة في سلخ ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وست مائة واحد قلت روى عنه أبو بكر وأبو إسحاق وطائفة ([1])

قال بن الزبير كان ظاهرى المذهب الا انه علي دين وورع ومعرفة وإيثار متحرفا.

وقال المنذري سمع ابن الرومية ببغداد ولقيته بمصر بعد عوده وحدث بأحاديث من حفظه بمصر ولم يتفق لي السماع منه وجمع مجاميع.

وفاته: توفي أبو العباس بن نباتة فجأة في إشبيلية سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، ورغم أن ابنه أبو النور محمد ذكر أن وفاته كانت منسلخ ربيع الأول من السنة، بينما أشار ابن الأبار إلى أنها ليلة الإثنين مستهل ربيع الأول، فلا يبدو أنهما مختلفان تماماً حيث وضح أبو جعفر بن الزبير فيما نقله المراكشي الغموض إذ بين أن أبا العباس توفي ((بين الظهر والعصر في يوم الأحد الموفي ثلاثين من ربيع الأول([2]).

انبرى تلامذة الشيخ بعد وفاته يعملون على تخليد ذكراه فرثاه بعضهم كأبي محمد الحرار وأبي أمية إسماعيل بن عفير وأبي الأصبغ عبد العزيز الكبتوري وأبي بكر محمد بن محمد بن جابر السقطي وأبي العباس بن سليمان ([3]). إلا أن أحدهم، وهو الأخص به،

(١) الذهب، تذكرة الحفاظ، ١٤٢٥/٤.

(٢) نقلا عن: المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٥١٣– ٥١٤؛ وانظر: الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٥٨/٢٣– ٥٩.

(٣) ابن الخطيب: الاحاطة، ٢٢١/١.

المحدث الناقد أبو محمد بن قاسم الحرار الجزيري، تهمم بجمع أخبار أبي العباس، وحشد مآثره وآثاره وتضمينها في مجلد واحد كبير([1])، وقد أنجز ذلك بالفعل، وخرج بسفر قيم في سيرة الرجل ومراثيه أطلق عليه عنوان ((نثر النور والزهر في نشر أحوال الشيخ أبي العباس النباتي))([2]). وتضمن بالإضافة إلى ما ذكرناه قصيدة جميلة في رثائه من (٦٩) بيتاً نظمها القاضي إسماعيل بن سعد المسعود بن عفير، أحد أصدقاء أبي العباس، وكان الجزيري قد طلب منه نظمها ليضمنها في كتابه المذكور، الذي ضاع لسوء الحظ، وبقيت منه هذه القصيدة فقط([3])، وهي قصيدة جميلة تفوح بالثناء على الشيخ وتنتشر في أطرافها أسماء الورود والرياحين والأعشاب التي عاش معها أبو العباس، ويكتنف قافيتها الآس والأغراس.

٤٤- أبو بكرمحمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الإشبيلى الظاهرى (ت ٦٥٩هـ/١٢٦٠م) ولد سنة ٥٥٧هـ .كان حافظا للحديث عارفا برجاله إماما فيه أكثر الناس من السماع عنه وكون مدرسة من أهل الحديث ببجاية أشار إليها الغبرينى بقوله "له سعة علم ورواية، ومعرفة ثابتة ودراية ... ولى صلاة الفريضة والخطبة بالجامع الأعظم ببجاية، وروى بها وأقرأ وأسمع، وكثر الآخذون عنه والسامعون منه والمقتدون به" ([4]) استحسن المنتصر بالله الموحدى حاكم بجاية جهوده وآثاره للتمكين للمذهب الظاهرى ببجاية فقرب منزله وأجزل عطيته وجائزته، وكان من أخص الحاضرين بمجلسه ([5]).

وكان لابن سيد الناس طريقة عظيمة فى تدريس الحديث خاصة أحاديث البخارى حيث يقرأ الحديث على الطلبة بسنده إلى أن ينتهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر رجال الإسناد بدءا من الصحابى فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكايته، ثم يتلوه بالتابعى كذلك حتى يصل بالإسناد إلى شيخه الذى روى عنه فيتحدث عنه أيضا، ثم يذكر

(١) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٥١٣.
(٢) ذكره ابن العديم: بغية، هامش المنذري: التكملة جـ٦، ص٣٣٥، هامش (١).
(٣) المراكشي: الذيل، س١، ق٢، ص٥١٤ – ٥١٧.
(٤) أنظر :عنوان الدراية، ص٢٩٤.
(٥) الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٣٦٣، ٢٩٨، ٢٩٧.

لغة الحديث وعربيته ويتعرض لما فيه من الفقه والخلاف العالى، والمستفاد منه كل ذلك بفصاحة لسان وجودة بيان على قول الغبرينى (١).

من مصنفاته: كتاب بيع أمهات الأولاد فى مجلد، رآه الذهبى فقال: يدل على سيلان ذهنه وسعة حفظة وسعة إمامته .

ظاهريته: قال ابن الزبير: كان ظاهرى المذهب على طريقة ابى العباس النباتى. وقال ابن خلدون: "كان ... ظاهريا فى فقهه على مذهب داود وأصحابه "(٢).

وعلى يده انتشر المحلى لابن حزم بالديار المصرية (٣) .

٤٥- إبراهيم بن محمد بن أحمد المرادى الفاسى المعروف بابن الكماد (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م). ولد سنة ٥٨٨هـ وسكن سبتة بعد سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م وبقى بها يدرس الحديث وينشره فكان يقوم على الكتب الخمسة – صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن الترمذى، وسنن أبى داود، وسنن النسائى– قياما حسنا، ويتكلم على أسانيدها ومتونها، ويتكلم على فقه الحديث، وكان أحفظ أهل زمانه للحديث، وأذكرهم للتاريخ والرجال والجرح والتعديل (٤)

قلت: وكان يعظ الناس كل جمعة وينهاهم عن المنكرات.

٤٦- أبوسلمة محمد بن على البياسى الغرناطى (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م) شيخ ابن الزبير، من الظاهرية فى عهد بنى مرين، قدم القاهرة واستوطنها بعد الحج .قال المقرى: كان عارفا بالحديث وعلومه وكتب منه كثيرا ومال إلى أهل الظاهر وانتفع به طلبة الحديث، وكان ثقة رحمه الله (٥).

٤٧- أبو عبدالله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رشيد الفهرى السبتى (ت٧٢١هـ /١٣٢١م) من الظاهرية فى عهد بنى مرين، ولد بسبتة فى جمادى الأولى سنة

(١) أنظر: عنوان الدراية، ص٢٩٤.
(٢) أنظر: العبر، ٣٨٥/٦.
(٣) الشوكانى، البدر الطالع، ٢٤٩/٢.
(٤) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ٨٥/١، ٨٤ ؛ وانظر: الغلبزورى، سابق، ص٣٦٥، ٣٦٤.
(٥) نفح الطيب، ٥٩/٢.

٦٥٧هـ، وحج سنة ٦٨٥هـ وجاور ودخل مصر والشام والحرمين والتقى بابن دقيق العيد وسمع من القطب القسطلانى. ولي الخطابة بجامع غرناطة الأعظم .

مصنفاتة: صنف رحلة سماها (ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة)، قال ابن حجر: فقيه من الفوائد شيء كثير، وقفت عليه وانتخبت منه .ومن كتبه (تلخيص القوانين) نحو، و(السنن الأبين، والمورد الأمعن، في المحاكمة بين الإمامين – البخاري ومسلم – في السند المعنعن –) و(إفادة النصيح – بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح –) كلاهما بتونس، و(إيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب) و(ترجمان التراجم) على أبواب البخاري، لم يتمه.، "الصراط السوى فى اتصال جامع الترمذى"، "المقدمة المعرفة فى علو المسافة والصفة"، وله خطب وقصائد وكتب صغيرة كثيرة.

ظاهريته: قال المقرى: "ذكر بعضهم أن الإمام ابن رشيد كان ظاهرى المذهب والمعروف أنه كان مالكيا والله أعلم "(١).

قلت: ما ذكره المقرى لا يمكن الأخذ به لأمور :

أولها: أنه مالكى ودوما ما يصدر أحكامه لصالح المالكية، وهذا وقع منه مرارا عبر النفح ومنها على سبيل المثال لا الحصر حسمه المناظرات بين ابن حزم والباجى لصالح الباجى المالكى، مع أنه نفسه قدم ما يفيد إفحام ابن حزم للباجى وقد فصلنا القول عن ذلك ونحن بصدد الحديث عن ابن حزم .

ثانيها: أن ابن رشيد كان من أهل الحديث، فى حين ان جل المالكية كان ينقصهم المعرفة بالحديث وعلله، ومعروف أن الظاهرية مذهبهم من جملة مذاهب أهل الحديث وابن حزم ردد ذلك مرارا فقال "ولنا على مذهبنا الذى تخيرناه من مذاهب أهل الحديث كتاب المجلى..." .

ثالثا: أن المالكية أنفسهم عملوا محضرا لابن رشيد ذكروا فيه أنه ليس بمالكى لتاليب السلطان عليه، وذلك أنه لما ولى خطابة غرناطة خالف مذهبهم فكان يسكت هنيهة لدعاء الاستفتاح، ويسر بالبسملة.

(١) أنظر: أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض، ٢٢١/١.

٤٨- الأمير ناصر الدين بن جنكلي بن البابا(ت ٧٤١هـ) أحد أمراء الدولة الناصرية بالقاهرة سبق ذكره فى الأمراء.

٤٩- المحدث تقى الدين المقريزى (ت٨٤٥هـ) سيذكر فى المؤرخين.

٥٠- أبو العباس أحمد بن عثمان بن عيسى بن حسن نجم الدين الياسوفى الدمشقى (٧٨٧هـ). ذكر فى الفقهاء.

٥١- الحافظ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبى الوفاء الياسوفى (ت ٧٨٩هـ): ولد سنة ٧٣٩هـ وسمع الكثير وعنى بالحديث واشتغل بالفنون وحدث وأفاد وخرج مع الخط الحسن والدين المتين والفهم القوي والمشاركة الكثيرة.

أوذي في فتنة الفقهاء – الفتنة الظاهرية- القائمين على الملك الظاهر فسجن حتى مات في السجن مع أنه صنف في منع الخروج على الأمراء تصنيفا حسنا وكان مشهورا بالذكاء سريع الحفظ دأب في الاشتغال ولازم العماد الحسباني وغيره وفضل في مدة يسيرة وتنزل في المدارس ثم تركها وقرأ في الأصول على الأخميمي وترافق هو وبدر الدين بن خطيب الحديثة فتركا الوظائف وتزهدا وصارا يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر أوذيا بسبب ذلك مرارا.ثم حبب إلى الصدر الحديث فصحب ابن رافع وجد في الطلب وأخذ عن ابن البخاري كثيرا ورحل إلى مصر وسمع بها من جماعة ودرس وأفتى واستمر على الاشتغال بالحديث يسمع ويفيد الطلبة القادمين وينوه بهم مع صحة الفهم وجودة الذهن.

وكان قبل أن ينتحل القول بالظاهر شافعيا متعصبا حتى أنه كان يعتقد الكفر لمن يخطىء الإمام النووى .

وكان رحمه الله يعير الكتب النافعة بسهولة كثير الإطعام للناس .

ظاهريته وفتنته: قال الشهاب ابن حجي: كان جيد الفهم مشهورا بالذكاء قال وكان في أواخر أمره قد أحب مذهب الظاهر وسلك طريق الاجتهاد وصار يصرح بتخطئة جماعة من أكابر الفقهاء على طريقة ابن تيمية ولما دخل الشيخ شهاب الدين ابن البرهان الشام بعد حبس الملك الظاهر الخليفة المتوكل داعيا إلى القيام على السلطان التف عليه ونوه به وصار يتعصب له ويعينه فاتفق لهم تلك الكائنة فأخذ فيمن أخذ فمات في سجن القلعة مبطونا

شهيدا في شعبان سنة ٧٨٩ واستراح من المحنة التي أصابت أصحابه .

وقال نور الدين علي بن يوسف بن مكتوم: كنت عند الشيخ صدر الدين الياسوفي وكان أحمد الظاهري يتردد إليه فاتفق أنه طلب فجاء قوم إلى الشيخ صدر الدين فأخذوه وأصعدوه إلى القلعة وكان السبب في ذلك أن خالدا العاجلي الحلبي كان ممن وافق أحمد الظاهري على دعوته وكان يعرف ابن الحمصي نائب قلعة دمشق منذ كان ابن الحمصي بحلب فتردد إليه فأكرمه فتوسم فيه أنه يجيبهم الى مطلوبهم وخدعاه فأظهر له الميل إليه وأصغى له إلى أن أطلعه على سرهم فاغتنم ابن الحمصي الفرصة في بيدمر فكاتب الظاهر بأن قوما صفتهم كذا دعوا إلى الخروج على السلطان وأجابهم بيدمر وفلان وفلان وأنهم دعوني فأظهرت الميل إليهم وطالعت السلطان فجاء الجواب بالقبض على بيدمر وعلى أحمد الظاهري وأتباعه قال فاتفق أنهم وجدوا أحمد بالجامع مع شخصين من طلبة الياسوفي فقبضوا عليهم فتبرأ الرجلان من أحمد وقالا إنما مشينا معه لأنه يتردد إلى شيخنا ونسمع معه وعليه فأمرهم ابن الحمصي بالقبض على الشيخ صدر الدين قلت وذكر لي ابن البرهان وهو أحمد الظاهري المذكور أن الشيخ صدر الدين لما قبض عليه حصل له فزع شديد اورثه الاسهال فاستمربه إلى أن مات بالقلعة مظلوما مبطونا شهيدا.

ومن شعر الياسوفي

ليس الطريق سوى طريق محمد ** فهي الصراط المستقيم لمن سلك

من يمشي في طرقاته فقد اهتدى ** سبل الرشاد ومن يزغ عنها هلك (١)

٥٢- أبو حفص القرشى عمر بن مسلم بن سعيد بن عمر بن بدر بن مسلم بن سعيد الكتانى البلخى القبيباتى (ت ٧٩٢هـ) سبق ذكره فى الفقهاء .

٥٣- أبو بكر بن أبي المجد بن ماجد بن أبي المجد بن بدر بن سالم السعدي الدمشقي المصري (ت ٨٠٤هـ) ولد عام ٧٣٠هـ كان محدثا، عارفا بالحديث وعلله ورجاله سمع من المزي والذهبي وابن عبدالهادى وابن القيم، وحدث عن الذهبي بترجمة البخاري بسماعه، سكن مصر قبل الستين فقرر في طلبة الشيخونية ولم يزل بها حتى مات، ذكره

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ١/٣٤١، ٣٤٠.

الحافظ ابن حجر في أنبائه وقال اجتمعت به وأعجبني سمته وانجماعه وملازمته للعبادة، .

وقال المقريزى: دأبه النظر فى كتب الحديث ...والعمل بها فى أنواع القرب والطاعات ...دائم الخشوع إذا قام للصلاة كأنما تعاين السلف الأول من حسن سمته وهديه لا يبرح فى عبادة إما تخريج أحاديث ليعمل بها أو أداء ما أمر به من فرائض العبادات وندب إليه من فرئضها .... وكذلك اجتنب كل ما نهى الله عنه فى القرآن والسنة الصحيحة .. وانفرد بأشياء منها وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح، وأن يقول لا إله إلا الله فى أذانه مرتين، ويقول فى الإقامة قد قامت الصلاة مرة ويستدل على ذلك بقوله "أمر بلال أن يشفع الاذان ويوتر الإقامة "، وينتف شعر شاربه لقوله عليه السلام "وأنهكوا الشارب "قال ومعنى أنهكوا استأصلوا ولا يكون الاستئصال إلا بالنتف، ويرى أنه لا تجوز قراءة القرآن بجماعة من الناس لقوله تعالى "وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له "... ولذلك كان العبد الصالح أحمد بن البرهان يقول: "صاحبنا الشيخ العماد ليس بفقيه النفس إلا أنه رحمه الله كان مجتهدا لنفسه غير متعرض لأحد ولعمرى ما وقعت عينى على أتبع لسنة رسول الله منه فى قوله وعمله وعقده (١).

قلت: من كلام المقريزى السابق يتضح الآتى :

أولا: أن التزام أبو بكر بن أبي المجد بن ماجد باتباع السنة وتخريج الحديث والعمل بما فى الكتاب والسنة والتعويل على اللغة فى تفسير النص هو دأب أهل الظاهر فى كل عصر ومكان .

ثانيا: أن وصف المقريزى لأحمد بن البرهان بالعبد الصالح يؤكد على ظاهرية المقريزى، وكذا على الصلة التى جمعت أهل الظاهر بعضهم ببعض .

من تصانيفه جمع الأوامر والنواهي من الكتب الستة فجوده وكان مواظباً على العمل بما فيه وسماه تجريد الأوامر والنواهي من الكتب الستة، واختصر تهذيب الكمال.

(١) أنظر: درر العقود، ١/١٥٠، ١٤٩.

ظاهريته: قال المقريزى: كان يبالغ فى تعظيم أبى محمد بن حزم ويعتنى بكلامه ([1])

وفاتة: مات يوم الخميس آخر جمادى الأولى سنة ٨٠٤هـ رحمه الله رحمة واسعه.

٥٤- المحدث أبو زيد علي بن زيد بن علوان بن صبرط بن مهدي بن حريز الردماوي الزبيدي (ت٨١٣هـ) سبق ذكره فى الفقهاء.

٥٥- شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن خليفة الحسبانى الدمشقى (ت ٨١٥هـ) ولد سنة ٧٤٩هـ طلب الحديث فأكثر من الأجزاء والمسانيد، وشارك فى الفقه والأصول والعربية، وولى تدريس الحيث بالأشرفية وغيرها، وناب فى الحكم، وولى القضاء أياما فى دولة الخليفة المستعين ([2])، وكان الحافظ البلقينى يحبه ويعظمه، وشهد أنه من

أحفظ أهل دمشق للحديث، وكان صاحب كرم يصل إلى الإسراف، وفيه شجاعة وإقدام.

ظاهريته: شارك مع العبد الصالح أحمد البرهان الظاهرى فى الثورة على الظاهر برقوق وكان اسمه من جملة الأسماء التى وردت فى مرسوم السلطان من أهل الظاهر.

٥٦- العلامة المحدث الرحالة المُعَمَّر أبو سالم عبد الله بن إدريس بن محمد بن أحمد السنوسي الفاسي إمام أهل الظاهر بالمغرب فى القرن الماضى (ت ١٣٥٠هـ) ([3]):

نزيل طنجة، من بني سنوس من البربر من كومية وتعرف قديما بصطفورة بطن من بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زجيك. قال ابن خلدون: "ولهم ولاء في بني كمين بالاصطناع والتربية، ولما فصل بنو كمين إلى المغرب اتصلوا ببني يغمراسن وكان منهم يحيى بن موسى

---

(١) نفسه، ١٤٩/١.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ٢/ وفيات عام ٨١٥هـ.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن علامة المغرب راجع رياض الجنة – معجم القاضي عبد الحفيظ الفاسي وفي مواضع من فهرس الفهارس وفي العروة الوثقى للحجوي وفي اعلام الزركلي. ومن المصادر الموسعة لترجمة العلامة السنوسي رحمه الله تعالى: "رياض السلوان فيمن لقيته أو اجتمعت به من الإخوان"، و"قدم الرسوخ في ما لي من الشيوخ"، كلاهما للعلامة الأديب أحمد بن العياشي سكيرج.

الذي اتصل بأبي تاشفين ثم بالسلطان أبي الحسن". ا.هـ

وبنو سنوس من برابرة تلمسان، وانتقلت أخيرا فرقة منهم إلى المغرب الأقصى، فنزلت مع عامر والشجع ومن ثلاثتهم تتكون قبيلة شراكة قرب فاس، ومن بني سنوس الذين بتلمسان الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي... وهم ليسوا من قرابة السنوسيين الذين بجغبوب الليبية إلا أنهم ينتسبون للشرف الحسني، ولهم حيازة تلك النسبة الطاهرة، وبيتهم بفاس بيت علم ومجد ووجاهة .

وأول من اشتهر منهم العلامة المحدث المقرئ أبو عبد الله محمد بن أحمد شيخ جماعة القراء بفاس بعد شيخه ابن عبد السلام الفاسي، وكانت وفاته رحمه الله عام ١٢٧٥هـ؛ ومنهم العلامة المحدث أبو العلاء إدريس–ولد المتقدم–. وهو يروي صحيح البخاري عن والده، وعن محمد صالح الرضوي وغيرهما. وكانت وفاته بالمدينة منتصف ربيع الثاني

سنة ١٢٩٥هـ. ومنهم أخ المترجم العلامة السياسي الشهير أبو إسحاق إبراهيم الذي كان مستوطنا بالإسكندرية.

كان العلامة أبو سالم عبدالله رحمه الله عالما مشاركا محدثا ملازما لتلاوة القرآن الكريم، حسن النطق به، دءوبا على نشر الحديث وتدريسه، سلفي العقيدة، أثري المذهب، عاملا بظاهر الكتاب والسنة، نابذا لما سواهما من الآراء والفروع المستنبطة، منفرا من التقليد، متظاهرا بمذهبه، قائما بنصرته، داعيا إليه، مجاهرا بذلك على الرؤوس، لا يهاب فيه ذا سلطة، شديدا على خصمائه من العلماء الجامدين، وعلى المبتدعة والمتصوفة الكاذبين، مقرعا لهم، مسفها أحلامهم، مبطلا آراءهم، مبالغا في تقريعهم. لم يرجع عن ذلك منذ اعتقده، ولا فل من عزمه كثرة معاداتهم له، وتلك عادة من ذاق حلاوة العمل بظاهر الكتاب والسنة.

وكان رحمه الله جيد الحافظة، فصيح العبارة، حسن الإشارة، عظيم الهمة، أَبِيَّ النفس، مليح الدعابة، مستطاب الفكاهة، منور الشيبة، مهاب النظرة، حسن النضرة. وكان ذا

جود وسخاء وكرم مفرط. لا يملك شيئا إلا بذله، ولا يخشى من ذي العرش إقلالا .شاهدت منه في هذا الباب العجب العجاب والحق تعالى يرزقه من حيث لا يحتسب. وتلك سنة الله في أهل الحديث في القديم والحديث.

وقال جعفر الكتانى على موقع دارة أهل الظاهر عن أبى سالم الظاهرى: له – رحمه الله تعالى – ترجمة جيدة ومطولة في "قدم الرسوخ فيما لي من الشيوخ" للعلامة أحمد بن العياشي سكيرج..وفيها فوائد ..ووقفت على ثناء على دروسه في بعض رسائل مولانا الجد الإمام محمد المنتصر بالله الكتاني – رحمه الله - التي أرسلها لابن عمه جدنا كذلك الإمام عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني، مؤرخة بـ: ١٣٧٢/٣/١٧ قائلا: في وصف دروس نفسه التي كان يلقيها بطنجة "..يحضرها الآلاف من علماء فمن دونهم، ولقد سمعت – والله – تفضيلها على دروس أحمد ابن الصديق، وعلال والناصري، وأن أهل طنجة منذ زمان من أيام عبد الله السنوسي لم يروا مثلها.."

وقال أيضا: وممن أخذ عنه: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي الزرهوني، وقفت على إجازته للعلامة محمد المهدي بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، فذكر روايته عن السنوسي وأخذه عليه، وأثنى عليه ثناء كبيرا ...وكذا أخذ عنه الإمام الرباني أبو الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، وأثنى عليه في كتابه: "سبيل الجنة في الاعتصام بالسنة..." .

وقال أبوالإسعاد خالد المغربى اكتفي بهذه الشذرات مما علق ببالي عنه مما رويته عن مشايخي المسندين فاخبرنا شيخنا العلامة محمد الحسن المصمودي المغربي شافاه الله وعافاه ان الشيخ المذكور كان من اوائل من دعى للسنة في القرن المنصرم في اول العشرينات الهجرية من القرن المنصرم على عهد المولى الحسن الاول ووقع بينه وبين علماء عصره مناظرات ومناطحات فمن ذلكم ان الشيخ جعفر الكتاني الفاسي(١) احد كبار علماء

(١) قال حمزة الكتانى: بارك الله فيك الأخ أبا الإسعاد؛ غير أن ما نقلته عن الشيخ جعفر الكتاني غير محقق ولا صحيح، واسم كتابه: "القمر المشرق المفلق في رد ثرثرات المتمشدق المتفيهق"، وعندي نسخة منه، ولم يسم المردود طول الكتاب، ولا وصفه باليهودي...

المغرب كتب فيه كتابا قال فيه بعد المقدمة ما معناه اما بعد فقد نبغت طائفة من اليهود تقلد ابن حزم وتدعي العمل بالكتاب والسنة الخ ثم ذكر فصول ومنها فصل في تحريم العمل بالكتاب والسنة وكان الشيخ المذكور مهاب الجانب واسع الاطلاع محترما بين العلماء وان خالفوه وعادوه الا انه ملجاهم في علوم الحديث والسنة وكان يصلي بنعاله في القروين في زمن من يفعل ذلك يعتبر مرق من الدين وكانت عنده لحية طويلة جدا فلما زار الاسكندرية اراد احد اعيانها ان يكرمه بتزويجه من ابنته لعلمه وفضله ووجاهته فلما دخل عليها فجعت منه وبدات تصرخ الى ان اغمي عليها ؟؟؟ فطلقها، وقال أبو الاسعاد خالد المغربي واخبرني الشيخ محمد العمراني قال اخبرني الشيخ جمال الدين عبد العزيز الغماري رحمه الله قال عجيب امر مدينة طنجة مع علم الحديث فان الشيخ عبد الله السنوسي هو الذي حبب الى الشيخ احمد شاكر الحديث وعلومه وهو شيخه الاول في السنة وعلومه والشيخ احمد شاكر هو باعث النهضة الحديثية بالمشرق.

رحلاته ودفاعه عن مذهبه الظاهرى: قال عبدالحفيظ الفاسى: رحل من فاس بعد ١٢٩٠هـ، فحج وزار، وشد للطواف الإزار، وحمل الحديث في رحلته عن فرسان كتيبته، ولم يزل بعد ذلك ينتقل في أطراف البلاد، هاجرا للمهاد. ثم عاد إلى المغرب مملوء الوطاب، عامر الجِراب، وكان السلطان الشهم الحسن الأول رحمه الله تعالى إذ ذاك بمراكش الحمراء، فوفد على بابه، وتعدى أوشال البلاد إلى أعتابه، وكان السلطان المذكور يعرف لذوي الأقدار أقدارهم، ويقضي أوطارهم، فعرف مَجَادَته، وأكرم وِفادته، وعيَّنَهُ من جملة العلماء الذين يحضرون مجلسه في صحيح البخاري. وبعد ذلك أقطعه دارا بثغر الجديدة، فانتقل إليها بأهله. ثم بعد رجوع السلطان إلى فاس، استقدمه للحضور في مجلس الصحيح أيضا، كان يحضر فيه جمع من أعيان فاس كالعلامة المحقق أبي العباس أحمد بن الطالب بن سودة، والعلامة الحافظ أبي سالم عبد الله الكامل الأمراني الحسني، فأعلن السنوسي في ذلك الجمع بما تحمله في الشرق عن شيوخه الأعلام من الرجوع إلى الكتاب والسنة والعمل بهما دون الأقيسة والآراء والفروع المستنبطة، ومِن رَفْضِ التأويل في آيات وأحاديث الصفات والمتشابهات وإبقائها على ظاهرها كما وردت ورد علم المراد بها إلى الله تعالى مع اعتقاد

التنزيه كما كان عليه سلف الأمة، وغير ذلك من المسائل، فقام بينه وبين أولئك العلماء خلاف كبير من أجل ذلك، وتناظروا في مجلس السلطان، ولمزوه بالاعتزال والتمذهب بعقائد أهل البدع والأهواء وإنكار الولاية والكرامات، وألف فيه بعضهم المؤلفات المحشوة بالسب والسخافات الخارجة عن الأدب، مع لمزه بنزعة الاعتزال ونَقَلَ ما قال الناس في المعتزلة والخوارج وما طعنوا به من الأقوال البعيدة عن الإنصاف في الإمام ابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى .إلا أن السلطان لم يكن متعصبا ولا ذا أذن فيسمع الوشايات، فلم ينحز لفريق منهما بل ألقى حبلهما على غاربهما، ولعل ذلك كان يريده باطنا ليظهر كل فريق ما عنده من العلم ويتمحص المحق من المبطل، والجاهل من العالم .ثم بعد ذلك عاد المترجم أيضا إلى المشرق، فتجول في بلدانه، واستوطن دمشق الشام والأستانة العلية، ودرس في كل بلد، وأفاد وهرع الناس للرواية عنه والإسناد كحامل راية الرواية والإسناد في الشرق الشيخ أحمد أبي الخير العطار الهندي أصلا المكي دارا، والسيد أحمد صنو الأمير عبد القادر الجزائري، والشيخ يوسف النبهاني رئيس محكمة الحقوق ببيروت، وفضيلة العلامة الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت، وغيرهم من الأعلام. ثم رجع إلى المغرب بعد جلوس السلطان عبد العزيز على أريكة الملك، فقصد بابه، وأم أعتابه، فاقتفى فيه فعل والده، وأقره على ما كان بيده وساعده على التحول إلى طنجة، فاتخذها قرارا وموطنا بعد طول جولانه، ثم رحل إلى المشرق أيضا ورجع في سنة ١٣٢٣هـ، وفي سنة ٢٤ بعدها شد المطي إلى السلطان عبد العزيز بفاس، فنوه بقدره أكثر من الأولى، وغمره بإحسانه، وأفاض عليه وابل جوده .ثم سافر إلى مقره بطنجة، وحين تأخر السلطان عبد العزيز عن أريكة الملك واستوطن طنجة، بقي مصادقا له ومنفقا عليه، وسافر صحبته إلى مصر، وسوريا سنة ١٣٢٨هـ، وما زال بطنجة إلى أن لقي ربه في هذه السنةرحمه الله رحمة واسعة.

شيوخه: قرأ بمدينة فاس على :والده أبي إدريس .وأبي عيسى محمد المهدي ابن سودة .وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن العلوي .والقاضي حميد بناني .وأبي الفضل جعفر الكتاني .وغيرهم، وأجازه والده، وأبو عيسى بن سودة.

وحج فأجازه :أبو المعالي البرهان السقا .وأبو عبد الله عليش .والشمس محمد بن

محمد بن صالح البنا الإسكندري .والشيخ عبد الغني الدهلوي المدني، وهو آخر من حدث عنه بالمغرب.ولقي بمكة الإمام المحدث الأثري محمد نذير حسين بن جواد علي الرضوي العظيمابادي الدهلوي .ومحمد بن عبد الرحمن الأيوبي الأنصاري الهندي نزيل مكة .وأجازوه عامة عدى الأيوبي ونذير حسين فبالكتب الستة خاصة وزيادة الموطأ من الثاني حسبما رآه الشيخ عبدالحفيظ الفاسى بخطهما في إجازتهما له.

قال تلميذه عبد الحفيظ الفاسي: لما علمت بورود المترجم إلى فاس سنة ١٣٢٤ قصدته زائرا وطالبا لما كنت أسمع من حديثه ولما بين آبائنا من الاتصال المكين والمحبة الصادقة وكان اجتماعي به في ٢١ محرم الحرام فاتح السنة المذكورة بجامع القرويين، فسلمت عليه وتعرفت به وطلبت منه أن يُسمعني الحديث المسلسل بالأولية فأسمعنيه حقيقة ثم طلبت منه الإجازة العامة فامتنع إلا بعد القراءة وطول الملازمة، وهو يتحرى في ذلك كثيرا، فرجعت إليه بعد ذلك وابتدأت بالسماع عليه، فقرأت بلفظي :كتاب الأربعين لأبي زكرياء النووي، وبعد ختمها قرأت :كتاب الرد على الجهمية لشيخ أهل السنة ومقتداهم الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه .وكتاب الأدب المفرد للبخاري إلا يسيرا من آخره وكذلك متاب العلو للذهبي، وهو كتاب حفيل عجيب ثم سمعت عليه أول الموطأ . وصحيحي البخاري ومسلم.وسنن أبي داود .والترمذي .وابن ماجة .ومسند أبي حنيفة، رواية الحصفكي.

ولازمته مدة إقامته بفاس، وتمكنت الرابطة بيني وبينه، وأدركت عنده منزلة عظيمة لما كان يرى من حرصي على سماع الحديث وروايته، فأجازني إجازة عامة وهو ضنين بها، ولقد طلب منه بعض إخوة السلطان عبد العزيز الإجازة فامتنع وكان يقول لي: أنت عندي بمنزلة الولد.

وبسبب هذا الاتصال أمكن لي أن أحقق كل ما نسب إليه من الاعتزال والبدع والأهواء، فوجدته مباين للمعتزلة في كل شيء، وبريئ من كل ما نسب إليه، بل عقيدته سالمة على أن ما خالف فيه الفقهاء من الرجوع للكتاب والسنة ونبذ التأويل في آيات الصفات شيء لم يبتكره ولا اختص به دون سائر الناس بل ذلك هو مذهب السلف الصالح

من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ومن بعدهم من الهداة المهتدين...

وفاته: مات رحمه الله ليلة الأربعاء ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ بطنجة بعد ما عمر نحو من ٩٠ سنة قضاها في الدفاع عن علم الحديث والعمل به، غفر الله لنا وله.. (١).

٥٧- الحافظ الفقيه المجتهد أحمد بن محمد الصديق الغمارى (ت ١٣٨٠هـ) شهاب الدين أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن عبد المؤمن التجُكاني المنصوري، الإدريسي الحسني. ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. ونسبه من جهة أمه ينتهي أيضا إلى إدريس الأكبر، فهي حفيدة أحمد بن عجيبة الإدريسي الحسني.

ولادته ونشأته: ولد يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠١ م) بقبيلة بني سعيد، في بيت عمته، حيث كان والده في زيارتها. وبعد شهرين من ولادته عاد به والده إلى طنجة. وعندما بلغ الخامسة من عمره أدخله والده الكُتَّاب لحفظ القرآن الكريم على يد تلميذه ((العربي بن أحمد بودرة))، ثم حفظ جملة من المتون العلمية المتداولة في المغرب آنذاك، فحفظ ((المقدمة الآجرومية)) والألفية بشرح ابن عقيل في النحو، والمرشد المعين للضروري من علوم الدين لابن عاشر، مختصر خليل في الفقه المالكي، و((أم البراهين)) للسنوسي، و((جوهرة التوحيد))للقاني في التوحيد، و((البيقونية)) في المصطلح، و((بلوغ المرام من أدلة الأحكام)) للحافظ ابن حجر.

ثم اشتغل بدرس تلك المتون، فحضر دروس شيخه العربي بودرة في النحو والصرف والتوحيد والفقه، ودروس والده محمد بن الصديق في الجامع الكبير بطنجة في النحو والفقه والحديث وغيرها، وكان والده كثيرا ما يحدثه بقصص وتراجم العلماء يشحذ بذلك همته.

ولما بلغ من العمر تسع سنوات اصطحبه معه والده لأداء فريضة الحج، وبعد عودته استكمل حفظ القرآن الكريم. ومنذ بلغ الخامسة عشر من العمر حبب الله إليه علم الحديث، فأقبل على قراءة كتبه، وكتب التخريج والرجال.

(١) عبدالحفيظ الفاسى، رياض الجنة، مطبعة فاس، ١/٨١-٩٥.

طلبه العلم ورحلاته العلمية: تلقى أحمد بن الصديق مبادئ العلوم في بلده على يد والده وتلامذته، ثم توجه إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف سنة ١٣٣٩ هـ، وذلك بأمر من والده الذي عين لَه كيفية التلقي وما ينبغي أن يقدمه من العلوم، ووصف له العلماء الذين ينبغي الأخذ عنهم وحضور دروسهم.

وبعد سنتين عاد إلى المغرب لحضور جنازة والدته. ثم رجع إلى القاهرة، واعتكف في بيته يدرس كتب الحديث، حتى إنه بقي سنتين لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة، ولا ينام حتى يصلي الضحى، اغتناما للوقت، وسهرا في المطالعة والحفظ.

وفي سنة ١٣٤٤هـ قدم والده القاهرة لحضور مؤتمر الخلافة، فسافر برفقته لدمشق قصد زيارة محمد بن جعفر الكتاني المقيم إذ ذاك بها، ثم رجع ووالده إلى المغرب، حيث قام برحلة موسعة قصد فيها لقاء علماء المغرب.

وبقي بالمغرب حوالي أربع سنوات، أقبل فيها على الاشتغال بالحديث حفظا ومطالعة وتصنيفا وتدريسا، فدرَّس ((نيل الأوطار)) و((الشمائل المحمدية)) وفي هذه الفترة كتب شرحا موسعا على الرسالة، يذكر لكل مسألة أدلتها، سماه ((تخريج الدلائل لما في رسالة القيرواني من الفروع والمسائل))، كتب منه مجلدا ضخما إلى كتاب النكاح، ثم عدل إلى التطويل إلى الاختصار، وسمى المختصر ((مسالك الدلالة على متن الرسالة)).

وفي سنة ١٣٤٩ هـ عاد إلى مصر بصحبة أخويه: عبد الله ومحمد الزمزمي ليدرسا بالأزهر، وفي هذه الفترة كتب العديد من مصنفاته في علم الحديث، وتردد عليه علماء الأزهر للاستفادة من علومه، وطلب منه جماعة – رغم صغر سنه –أن يقرأ معهم فتح الباري سردا، ويشرح لهم مقدمة ابن الصلاح.

وجلس للإملاء في المسجد الحسيني ومسجد الكيخيا إلى أن اضطر للرجوع إلى المغرب بسبب وفاة والده سنة ١٣٥٤هـ، فاستلم الزاوية وقام بالخلافة عن والده، واعتنى بتدريس كتب السنة المطهرة، وأملى مجالس حديثية بالجامع الكبير بطنجة، فكان يملي أكثر من خمسين حديثا في المرة الواحدة بأسانيدها من حفظه بلا تلعثم، حتى إذا فرغ منها رجع للأول، فتكلم على سنده وغريبه وفقهه، ثم الثاني وهكذا.

واشتغل في هذه الفترة للتأليف، وأخذ يعلن عن أفكاره الداعية إلى تقديم العمل بالحديث، ونبذ التقليد والتمذهب.

وذكر عن نفسه أنه خطط لثلاث ثورات ضد الاستعمار الإسباني، انتهت الثالثة منها بالسجن مدة ثلاث سنوات ونصف، مع غرامة فادحة، وبعد خروجه من المعتقل أحاطت به فتن الاستعمار، ومحاولة إيذائه من الاستعمار تارة، ومن الحزبيين والمقلدين تارة أخرى، فاضطر إلى ترك المغرب سنة ١٣٧٧هـ إلى القاهرة حيث استقر بها، وخلال هذه الفترة دخل الحجاز حاجا ومعتمرا مرتين، وزار دمشق وحلب والسودان.

وفي أخريات حياته أصابته وأخاه عبد الله محنة كبيرة، إذ احتدت الأزمة بين الإخوان المسلمين والحكومة المصرية، فاتهم أخوه عبد الله بالعمالة لدولة أجنبية، وحكم عليه بالسجن أحد عشر عاما، فمرض الشيخ أحمد مرضا شديدا، وذلك بمرض القلب، ألزمه الفراش، ويقي على ذلك ثمانية أشهر إلى توفته المنية متأثرا بذلك يومه الأحد أول جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ تعالى.

وقد كان – كما يصفه تلاميذه ومحبوه – جميل الصورة، بهي الطلعة، بشوش الوجه، سخي اليد، كريم النفس، مرضي الخلق، يتواضعا مع الضعفاء والمساكين، ويساعدهم بماله وجاهه، زاهدا في الدنيا وعرضها، مع أنه صاحب ثروة عريضة بحكم رياسته للزاوية الصديقية الشاذلية.

وكان يكره التشبه بالكفار في اللباس والهيئة والشكل، ولا يرى النظر في الجرائد، ويكره الوظائف الحكومية.

شيوخه: تتلمذ الغماري على شيوخ كثيرين من أبرزهم:

– والده محمد بن الصديق بن أحمد الغماري الإدريسي الحسني: شيخ الزاوية الصديقية الشاذلية، توفي سنة ١٣٥٤ هـ، وقد خصه ابنه بمؤلفين ((التصور والتصديق بأخبار الشيخ أحمد ابن الصديق)) و((سبحة العقيق في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن الصديق)). حضر عليه دروسه في المسجد الكبير بطنجة، في الفقه والتفسير والحديث والتوحيد وغيرها.

– محمد إمام بن إبراهيم السقا الشافعي: فقيه شافعي، درَّس بالأزهر، توفي سنة ١٣٥٤هـ.
أخذ عنه ((المقدمة الآجرومية)) و((الألفية بشرح ابن عقيل)) في النحو، و((شرح التحرير)) لشيخ الإسلام زكريا في الفقه الشافعي، و((السلم المنورق ((للأخضري في المنطق، و((جوهرة التوحيد)) في العقيدة، وسمع عليه ((مسند الشافعي)) و((الأدب المفرد)) وغير ذلك.

وكان يتعجب من ذكائه وسرعة فهمه، وشدة حرصه على التعليم، ويقول لَه:"لا بد وأن يكون والدك رجلا صالحا للغاية، وهذه بركته، فإن الطلبة لا يصلون إلى حضور الأشموني بحاشية الصبان إلا بعد طلب النحو ست سنين، وقراءة))الآجرومية)) و((القطر)) وغيرهما، وأنت ارتقيت إليه في مدة ثلاثة أشهر ."وكان يذيع هذا بين العلماء.
وكان أحيانا يقول لَه لما يرى من حرصه على قراءة الكتب التي تدرس في أقرب وقت:" أنت تريد أن تشرب العلم."

– محمد بن سالم الشرقاوي الشهير بالنجدي: شيخ الشافعية ومفتيهم بمصر، توفي سنة ١٣٥٠هـ.

أخذ عنه ((الإقناع بشرح متن أبي شجاع)) للخطيب الشربيني في الفقه الشافعي، ومختصر خليل في الفقه المالكي إلى كتاب النكاح، وحضر عليه ((شرح مشكاة المصابيح)) في الحديث.

- محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي الصعيدي :مفتي الديار المصرية ومفخرتها وشيخ مشايخنا، توفي سنة ١٣٥٤هـ. أخذ عنه التفسير وصحيح البخاري، ولازمه سنتين في ذلك، وحضر بعض دروسه في ((شرح الهداية)) للمرغيناني، و((شرح الإسنوي على المنهاج))، وسمع منه مسلسل عاشوراء بشرطه.

-محمد بن إبراهيم السمالوطي القاهري المالكي: أحد كبار علماء الأزهر المالكيين، توفي سنة ١٣٥٣ هـ.حضر عليه) تفسير البيضاوي وموطأ مالك، ولازمه نحو سنتين، وقرأ عليه ((التهذيب)) في المنطق، ثم أجازه إجازة عامة.

-أحمد بن نصر العدوي: شيخ المالكية بمصر. قرأ عليه صحيح مسلم بشرح النووي وأوائل سنن أبي داود.

-عمر بن حمدان المحرسي التونسي المالكي: شيخ شيوخ الإسناد بالحجاز، توفي سنة ١٣٦٨ هـ. قرأ عليه وقت قدومه القاهرة)) صحيح البخاري ((و((الأذكار)) للنووي، و((عقود الجمان)) للسيوطي في البلاغة.

وله مشايخ في سماع الحديث والإجازة:

-السيد المحدث محمد بن جعفر الكتاني، المتوفى سنة ١٣٤٥ هـ. رحل إليه الغماري لدمشق، وسمع منه حديث المسلسل بالأولية، وقرأ عليه كثيرا من مسند أحمد وغيره من كتب السنة.

-المحدث محمد بن إدريس القادري، شارح ((سنن الترمذي))، المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ.

-أحمد بن الخياط الزكاري، المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ.

-أحمد رافع الطهطاوي الحنفي، المتوفى سنة ١٣٥٥هـ.

-بدر الدين البيباني، المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ.

-وصاحب التصانيف العديدة الشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهري، المتوفى سنة ١٣٤٥هـ.

وغيرهم من الشيوخ، وقد ذكرهم في أثباته ((البحر العميق في مرويات ابن الصديق)) و((صلة الوعاة بالمرويات والرواة)) و((المعجم الوجيز للمستجيز)).

تلاميذه: ترك العديد منهم، أشهرهم إخوته: عبد الله ومحمد الزمزمي وعبد الحي وعبد العزيز والحسن وإبراهيم.

وعبد الله بن عبد القادر التليدي الإدريسي الحسني، المحدث المشارك الفقيه، له معهد إسلامي خاص بطنجة يدرس فيه حسبة لوجه الله، وقد ترجم لشيخه في كتابين ((حياة الشيخ أحمد بن الصديق)) و((تحفة القاري في بعض مبشرات وكرامات أحمد بن الصديق الغماري))

ومحمد المنتصر الكتاني الحسني، محدث فقيه مؤرخ، درس بالقرويين والأزهر، وكان رئيس قسم الكتاب والسنة بجامعة دمشق، عمل مستشارا لرابطة العالم الإسلامي، ثم للملك

فيصل، توفي سنة ١٤١٩هـ، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحنفي، المحدث الفقيه الأصولي، صاحب التصانيف المتعددة، توفي سنة ١٤١٧هـ. وغيرهم.

مذهبه وعقيدته ومشربه: تفقه أولا على المذهب السائد في بلده وهو المذهب المالكي، ولكنه لما دخل مصر تركه، وانتسب شافعيا. ثم تركه وادعى الاجتهاد.

يقول: "كنت في بداية أمري مالكيا، وضاع من عمري عامان كاملان في مختصر خليل !!، قرأته فيهما من أوله إلى كتاب النكاح بشرح الدردير وحاشية الدسوقي، وما كنت أذهب إلى الدرس إلا وأنا أعلم به من الأستاذ، لأني كنت أحفظه شرحا، وأحيط بجميع ما في الحاشية من الأقوال، وكنت دائما أتحرج من تلك الأقوال المجردة عن الدليل، ولا تكاد نفسي تسلم منها شيئا دون معرفة دليلها، إلى أن زار مصر شيخنا أبو حفص عمر بن حمدان المحرسي المدني، وصرت أقرأ عليه الحديث، فقلت لَه يوما: إني متضجر من كتب المالكية لعدم ذكرهم دليل الفروع، فقال: إذا أحببت أن تقف على أدلة المسائل فعليك بمطالعة كتب الشافعية ولو أصغرها كشرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، فبادرت إلى ذلك متعطشا إليه، فلما رأيت الشافعية لا يذكرون مسألة إلا بدليلها، وعرفت أن مذهب مالك مخالف للدليل في كثير من فروعه انتقلت إلى مذهب الشافعي...ثم بعد هذا مَنَّ الله علينا فبنذنا التقليد جملة وتفصيلا، وما بقينا نعتبر مذهبا من المذاهب أصلا!!، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"(١)

وقال :" ومذهبه في الفروع الاجتهاد المطلق والعمل بالدليل سواء وافق الجمهور، فضلا عن الأربعة، فضلا عن وأحد منهم، أو خالفهم ما لم يخرق الاجماع المعتبر شرعا" (٢) وأما عقيدته فقد كان ينسبها إلى السلف الصالح ومحققي الصوفية. وكان ينبذ تأويل الصفات، ويرى التفويض مع التنزيه، ويحكم على ما عداه بأنه بدعة وضلالة، وفي هذا يقول:

ما هكذا التوحيد في إيماننا **** كلا ولا التأويل دين المسلم

آمنت بالله العظيم كما أتى **** وتركت تأويل الصفات لمن عمى

(١) أنظر: جؤنة العطار ٢/٧-٩ بتصرف.

(٢) أنظر: البحر العميق ١/٤٠

ونبذت للجهمي بدعة رأيه **** علنا وما باليت لوم اللوم
وتركت للتيمي خبث مقاله **** وأخذت بالدليل الحنيف القيم (١)

وأما في السلوك: فقد كان صوفي المنزع، شاذلي المشرب، خلف أباه على الطريقة الصديقية، يحب الصوفية الصادقين منهم ويعتقدهم، ويدافع عنهم بلسانه وقلمه، فم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية في اعتقاده، بما وهبهم الله من أذواق ومعارف وأسرار، ولهذا كان شديد الوطأة على من يخالف نحلتهم، أو يطعن في منهجهم.

موقفه من القياس: يقول الشيخ أحمد الغمارى رحمه الله وعفا عنه فى رسالة له إلى أحد تلاميذه حول القياس:فالحق ما قاله ابن حزم وقد أطال فى تقريره أيضاً ابن العربي الحاتمى فى الفتوحات المكية ويكفى من ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم "إن الله افترض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها ".. والقياس ما هو إلا البحث عما سُكِتَ عنه بطرق مخزية مضحكة مؤدية إلى تحريم الحلال وتحليل الحرام وتشريع ما لم يأذن الله بتشريعه والغلو فى الدين وتخطئة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإظهار تقصيرهما بالفعل..كأن أهل القياس يقولون: يا الله ويا رسول الله إنكما ما أحسنتما التشريع فى هذه المسألة وبقى عليكما كذا وكذا، وهكذا هو القياس فى الحقيقة محاربة لله ورسوله وجرأة عليهما وكفر بهما .. ومع هذا فإنهم يعدون نفاة القياس مبتدعة غير معتبرين من أهل الحق ولا من أهل العلم!! حتى إنهم لا يعتبرونهم فى الإجماع لا وفاقاً ولا خلافاً!! (٢).

موقفه من العلل: يقول رحمه الله عن التعليل فى الشريعة ناصحاً أحد تلاميذه فى رسالة "إنى أحبك أن لا تتبع المغفلين من خلق الله تعالى من الأولين والآخرين فى طلب علة التحريم والإباحة فإنه من الفضول والجهل بالدين .. فالعلة هى أمر الله فقط، فإن بينها لك فذاك، وإلا فكل من زعم أنها كذا ... فهو كاذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ... فآمن بها بما أمرك به مولاك، ولا دخل لك فى العلة"

(١) أنظر: جؤنة العطار ٢/٥٢.
(٢) نقلا عن: عبد الله التليدي، در الغمام الرقيق برسائل الشيخ السيد أحمد بن الصديق .

ويقول فى رسالة أخرى من نفس الكتاب "...فإن البحث عن علل التشريع من الفضول والبحث الضائع، بل قد يكون من الكذب على الله تعالى حيث قال "إنه تعالى أوجب كذا لأجل كذا ولحكمة كذا " (١)

مكانته العلمية: يعد أحمد بن الصديق الغماري من المحدثين الذين برزوا في القرون المتأخرة. يقول:" ومنها – أي من نعم الله عليه – بلوغه في الحديث إلى درجة الحفاظ الأقدمين أهل النقد والتجرير والاجتهاد والتحقيق فيه، ما لم يصل إليه أحد من المحدثين بعد الحافظ ابن حجر والسخاوي، بل وفي بعض المسائل لَه اليد المطلقة أكثر منهما وإن لم يصل إلى درجة الحفظ والإطلاع إلى درجتهما لعدم وجود الأصول التي وقفا عليها، ولو تيسرت لَه الأصول التي تيسرت لهما لما انحطت رتبته عنهما، ولله الحمد" (٢) والذي يدل على تأهله لذلك أنه صحح أحاديث حكم عليها الحفاظ المتقدمون بالوضع بله الضعف، وضعف أحاديث أو حكم ببطلانها إذ حكموا هم عليها بالصحة أو الحسن.

وقد شهد بنبوغه وتفوقه في علم الحديث شيوخه الذين احتاجوا إليه في حياتهم، كالشيخ بخيت، واللبان، والخضر حسين، وعبد المعطي السقا، والمسند الطهطاوي، وعمر حمدان، ويوسف الدجوي، وغيرهم. وأخباره مع مشايخه المذكورين سطرها في ((البحر العميق في مرويات ابن الصديق)).

كما شهد له بذلك العديد ممن ترجموا له وعرفوه. يقول ابن الحاج السلمي:" فقيه، علامة، صاحب مشاركة في كثير من العلوم الإسلامية، وضروب الثقافة العربية الرصينة الأصيلة، إلا أن لَه تخصصا وتبريزا وتفوقا في حلبة علوم الحديث على طريقة الحفاظ الأقدمين، متنا وسندا، ومعرفة تراجم الرواة، وطرق الجرح والتعديل، وقد كون فيها نفسه بنفسه، دون أن يتتلمذ لأحد"(٣)

(١) أنظر: در الغمام .
(٢) أنظر: البحر العميق، ص:٦٥.
(٣) أنظر: إسعاف الإخوان الراغبين، ص٣٨

ويقول عنه الشيخ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة تعالى:"يعد من أكبر المحدثين اليوم بالديار المغربية" (١)

وقال عنه الشيخ أحمد بن محمد مرسي النقشبندي المصري تعالى :" أنه بلغ درجة إمارة المؤمنين في علم الحديث "(٢)

ويقول شقيقه المحدث عبد الله بن الصديق عند تعداده شيوخه: "أخي أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق، العلامة الحافظ، كان يعرف الحديث معرفة جيدة، وصنف فيه التصانيف العديدة، وانقطع لَه، فأخرج لنا مصنفات ذكرتنا بالحفاظ المتقنين، ك ((المداوي لعلل الجامع وشرح المناوي)) في ستة مجلدات ضخام، و((هداية الرشد في تخريج أحاديث ابن رشد)) في مجلدين، واستخرج على ((مسند الشهاب)) وعلى ((الشمائل المحمدية))، وكتب أكثر من خمسين جزءا حديثيا، لا يعرف أن يكتبها أحد في عصرنا، خاصة ((فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي))، و((درء الضعف عن حديث من عشق فعف))، وله غير ذلك من المصنفات في الحديث والفقه وغيرهما" (٣).

ويقول شقيقه المحدث عبد العزيز بن الصديق في ((تذكرة المؤتسي في ترجمة نفسي)) :"أحمد بن محمد بن الصديق، شقيقي أبو الفيض، صاحب التآليف الكثيرة المفيدة، الحافظ الذي ألقت إليه علوم الرواية بالمقاليد، وحاز قصب السبق في مضمارها، وأتقن فنونها، فلا يوجد لَه نظير في مشرق الأرض ومغربها في الإحاطة بأصولها، وأقوال أئمتها، الحق أنه ابن حجر هذا العصر من غير منازع ولا مخالف، وتآليفه شاهدة بهذا لمن قرأها وسبر غورها" (٤)

ويقول المحقق محمود سعيد ممدوح – حفظه الله: - وهو مستحق للوصف بالحفظ، وقد وصفه بذلك جمع من أعيان شهوده من ذوي الخبرة بالحديث وعلومه، فقد اشتهر بالطلب والأخذ من أفواه الرجال، وكان على معرفة بالجرح والتعديل، وبطبقات الرواة، مع

(١) أنظر: سل النصال للنضال، ص١٨١.
(٢) أنظر: مقدمة كتاب الكنز الثمين، ص: د.
(٣) أنظر: سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق، ص٦٢.
(٤) نقلا عن: محمود سعيد ممدوح، فتح العزيز بأسانيد عبد العزيز، ص ٧-٨.

تمييز لصحيح الحديث من ضعيفه، وكان حفظه للحديث قويا، وزاد على ما سبق أمرين:

أولهما: أماليه الحديثية. وثانيهما: كتابته المستخرجات، فاستخرج على ((مسند الشهاب)) للقضاعي، وجاء المستخرج في مجلدين ضخمين، ولم يكتف بالاستخراج على المسند فقط، بل يأتي بما في الباب بشرط إيراده مسندا ليكون الكتاب كله على منوال واحد.ووضع مستخرجا على ((شمائل الترمذي))، فصارت في مجلد ضخم بعد أن كانت في جزء، كما استخرج على ما أسنده السهروردي في ((عوارف المعارف)) (١).

مؤلفاته:

١ - إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، أو المرشد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي.

٢ - إتحاف الأديب بما في تعليق إعلام الأريب

٣ - إتحاف الأذكياء بإثبات نبوة خالد بن سنان بين عيسى وبين سيد الأنبياء، أو إعلام الأذكياء بنبوة خالد بن سنان بعد المسيح وقبل خاتم الأنبياء .

٤ - إتحاف الحفاظ المهرة بأسانيد الأصول العشرة، وهي: موطأ مالك، ومسند الشافعي، ومسند أبي حنيفة، ومسند الإمام أحمد، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

٥ - إتحاف الفضلاء والخلان بالكلام على حديث الممسوخين من النجوم والحيوان

٦ - الإجازة للتكبيرات السبع على الجنازة

٧ - الأجوبة الصارفة عن إشكال حديث الطائفة.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الحافظ أحمد الغمارى أنظر: الحافظ احمد بن الصديق ومنهجه في النقد الحديثي من خلال كتابه الهداية في تخريج أحاديث البداية؛ أحمد بن الصديق، البحر العميق في مرويات ابن الصديق – مخطوط ؛.سبحة العقيق في ترجمة سيدي محمد بن الصديق – مخطوط ؛.عبد الله بن الصديق، سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق، .عبد السلام بن سودة، سل النصال للنضال بذكر الشيوخ وأرباب الكمال ؛إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، ابن الحاج السلمي، إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، عبد الله التليدي، حياة الشيخ أحمد بن الصديق.تحفة القاري في بعض مبشرات وكرامات أحمد بن الصديق الغماري.محمود سعيد ممدوح، تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع، تزيين الألفاظ بتميم ذيول تذكرة الحفاظ، مسامرة الصديق ببعض أحوال أحمد بن الصديق.

٨ - الأحاديث المسطورة في القراءة في الصلاة ببعض السورة.
٩ - إحياء المقبور بأدلة بناء المساجد والقباب على القبور.
١٠ - الأربعون البلدانية للطبراني، استخرجها من المعجم الصغير.
١١ -الأربعون المتتالية بالأسانيد العالية.
١٢ - إرشاد المربعين إلى طرق حديث الأربعين، أي (من حفظ على أمتي أربعين حديثا...) الحديث .
١٣ -إزاحة الخطر عمن جمع بين الصلاتين في الحضر من غير مرض ولا مطر، أو إنالة الوطر برفع الحرج عمن جمع بين الصلاتين في الحضر من غير مرض ولا مطر.
١٤ - أزهار الروضتين فيمن يؤتى أجره مرتين.
١٥ - الأزهار المتكاثفة في الألفاظ المترادفة.
١٦ -الاستعاذة والحسبلة ممن صحح حديث البسملة، أي حديث: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع).
١٧ - الاستعاضة بحديث وضوء المستحاضة.
١٨ - الاستنفار لغزو التشبه بالكفار.
١٩ - الاستئناس بتراجم فضلاء فاس.
٢٠ - الأسرار العجيبة في شرح أذكار ابن عجيبة.
٢١ - إسعاف الملحين ببيان وضع حديث (إذا ألف القلب الإعراض عن الله ابتلي بالوقيعة في الصالحين).
٢٢ - الإسهاب في المستخرج على مسند الشهاب.
٢٣ - الإشراف على طرق الأربعين المسلسلة بالأشراف.
٢٤ - إظهار ما كان خفيا من بطلان حديث (لو كان العلم بالثريا). وهو رد على الشيخ زاهد الكوثري في كتابه "تأنيب الخطيب ."
٢٥ -الإعلان بالبراءة من حديث(من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة)
٢٦ - اغتنام الأجر من حديث"الإسفار بالفجر". حكم فيه بعدم تواتر هذا الحديث، الذي

عده السيوطي متواترا في "الأزهار المتناثرة"، ومحمد بن جعفر الكتاني في "نظم المتواثر."

٢٧ - الإفضال والمنة برؤية النساء لله في الجنة.

٢٨ -إقامة الدليل على حرمة التمثيل.

٢٩ - الإقليد بتنزيل كتاب الله على أهل التقليد .

٣٠ - الإقناع بصحة صلاة الجمعة خلف المذياع.

٣١ - الإلمام بطرق المتواتر من حديثه عليه الصلاة والسلام. ألفه المؤلف بطلب من شيخه عمر حمدان المحرسي، في إطار تخريج أحاديث "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" كما صرح بذلك في البحر العميق .

٣٢ -الأمالي الحسينية. وهي مجالس كان يمليها "بالمشهد الحسيني" بمصر كل يوم الجمعة.

٣٣ - الأمالي المستظرفة على الرسالة المستطرفة في أسماء كتب السنة المشرفة. وهو تعقيبات على "الرسالة المستطرفة" لمحمد بن جعفر الكتاني، كتبها في مجلس واحد بمعتقله بآزمور.

٣٤ - إياك من الاغترار بحديث (اعمل لدنياك). وهو أصل كتاب "سبل الهدى".

٣٥ - الائتساء في إثبات نبوة النساء.

٣٦ - إيضاح المريب من تعليق أعلام الأريب .

٣٧ - البحر العميق في مرويات ابن الصديق، وهو هذا الكتاب.

٣٨ - بذل المهجة، منظومة تائية في ستمائة بيت في التاريخ.

٣٩ -البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي.

٤٠ -بعر النعجة في أخبار طنجة.

٤١ - بلوغ الآمال في فضائل الأعمال.

٤٢ - بيان الحكم المشروع بأن الركعة لا تدرك بالركوع

٤٣ - بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري

٤٤ - بيان غربة الدين بواسطة العصريين المفسدين .

٤٥ -البيان والتفصيل لوصل ما في الموطأ من البلاغات والمراسيل.

٤٦ -بيصرة المقلعين في شرح طوائف المبتدعين

٤٧ -تبصرة المخلصين على سيرة المقنعين

٤٨ - تبيين البله ممن أنكر حديث (ومن لغا فلا جمعة له). وهو رد على الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "عقد اليواقيت والزبرجد في أن (ومن لغا فلا جمعة له) مما نقب عنه في الأخبار فلم يوجد". إذ أنكر فيه وجود هذا الحديث. والحديث باللفظ المذكور خرج في وآله: (من تكلم يومpتاريخ واسط لبحشل من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله الجمعة، والإمام يخطب فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له)

٤٩ -تبيين المبدأ بتواتر حديث (بدأ الدين غريبا وسيعود كما بدأ) .

٥٠ -تحسين الخبر الوارد في الجهاد الأكبر. وهو رد على سؤال ورد عليه من والده حول حديث "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر."

٥١ - تحسين السمعة بتعيين موقف المؤذن يوم الجمعة. ويسمى أيضا "تزيين السمعة بتعيين موقف المؤذن يوم الجمعة."

٥٢ - تحسين الفعال بالصلاة في النعال.

٥٣ - تحفة الإشراف بإجازة الحبيب محمد بن عبد الهادي السقاف. وهو نص إجازة الشيخ الحبيب محمد عبد الهادي السقاف.

٥٤ - تحفة المريد بما ورد في حلة أهل التجريد.

٥٥ - تحقيق الآمال في إخراج زكاة الفطر بالمال.

٥٦ - تخريج أحاديث الشفا.

٥٧ - تخريج الدلائل لما في رسالة القيرواني من الفروع والمسائل. كتب منه مجلدا إلى كتاب النكاح، ثم عدل عن التطويل فشرع في آخر مختصرا، وسماه "مسالك الدلالة على مسائل الرسالة."

٥٨ - تذكرة الرواة.

٥٩ - ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، أو مفتاح مسند الإمام أحمد.
٦٠ - تسهيل سبيل المحتذي بتهذيب وترتيب سنن الترمذي.
٦١ - تشنيف الآذان باستحباب ذكر السيادة عند اسمه عليه الصلاة والسلام في الأذان.
٦٢ - التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق .
٦٣ - تعريف الساهي اللاه بتواتر حديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)
٦٤ - التعريف لما أتى به حامد الفقي في تصحيح الطبقات من التصحيف والتحريف.
٦٥ - تعريف المطمئن بوضع حديث (دعوه يئن) .
٦٦ - التقييد النافع لمن يريد مطالعة الجامع الصغير.
٦٧ - التنكيل والتقتيل لمن أباح التمثيل.
٦٨ -تنوير الأبصار والبصائر بتكفير ما تقدم وما تأخر من الكبائر والصغائر.
٦٩ - تنوير الحلبوب في مكفرات الذنوب. وهو أول كتاب شرع فيه المؤلف، استدرك فيه على "شفاء الأسقام" لشيخة محمد بن جعفر الكتاني. وقد رتبه على الأبواب الفقهية.
٧٠ - توجيه الأنظار إلى توحيد العالم الإسلامي في الصوم والإفطار.
٧١ - جزء في الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء .
٧٢ - الجمع بين الإيجاز والإطناب في المستخرج على مسند الشهاب.
٧٣ -جمع الطرق والوجوه لتصحيح حديث (اطلبوا الخير عند حسان الوجوه)، أو نيل الطالب ما يرجوه من جمع الطرق والوجوه لحديث (اطلبوا الخير عند حسان الوجوه)
٧٤ - جهد الأيمان بتواتر حديث (الإيمان يمان)
٧٥ - الجواب المفيد للسائل والمستفيد.
٧٦ - جؤنة العطار في طرق الفوائد ونوادر الأخبار.
٧٧ - الحسبة على من جوز صلاة الجمعة بلا خطبة.
٧٨ - الحسن والجمال والعشق والحب من الأحاديث المرفوعة خاصة.
٧٩ -حصول التفريج بأصول التخريج أو كيف تصير محدثا.

٨٠ - الحنين بوضع حديث الأنين.
٨١ - درء الضعف عن حديث (من عشق فعف).
٨٢ - دفع الرجز بإكرام الخبز وهو في طرق حديث (أكرموا الخبز) .
٨٣ - الرغائب في طرق حديث (ليبلغ الشاهد منكم الغائب)
٨٤ - رفض اللي بتواتر حديث (من كذب علي)
٨٥ -رفع المنار بطرق حديث (من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار)
٨٦ -رفع شأن المنصف السالك وقطع لسان المتعصب الهالك بإثبات سنية القبض في الصلاة على مذهب مالك.
٨٧ - رياض التنزيه في فضل القرآن وفضل حامليه.
٨٨ -زجر من يؤمن بطرق حديث (لا يزني الزاني وهو مؤمن)
٨٩ - الزواجر المقلقة لمن أنكر التداوي بالصدقة. ألفه بسبب أسئلة واردة عن والده حول حديث "داووا مرضاكم بالصدقة ."
٩٠ - سبحة العقيق في أخبار والده الشيخ سيدي محمد بن الصديق. وقد ألفه في ترجمة والده، ثم اختصره في كتابه "التصور والتصديق" وهو مطبوع ومتداوله.
٩١ - سبل الهدى في بيان حديث (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا). وهو اختصار لكتابه "إياك من الاغترار بحديث اعمل لدنياك."
٩٢ - سير الركائب النجيبة بأخبار الشيخ ابن عجيبة، عرف فيه بالشيخ أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الشهير(ت١٢٢٤هـ/١٤٠٩م)
٩٣ - السيف القلمي لإبادة جهل العمرتي والعلمي.
٩٤ - شد الوطأة على منكر إمامة المرأة.
٩٥ - شرف الإيوان في حديث "الممسوخ من الحيوان"
٩٦ -شرح الترغيب والترهيب، شرع فيه ولم يتمه.
٩٧ -شرح سنن أبي داود، شرع فيه ولم يتمه.
٩٨ - شرح مسلم، شرع فيه ولم يتم.

٩٩ -شرح منظومة الزرقاني فيمن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله.

١٠٠ -شمعة العنبر ببدعة آذان الجمعة على المنارة وعند المنبر، أو شن الغارة على بدعة الآذان عند المنبر وعلى المنارة.

١٠١ -شهود العيان بثبوت حديث (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)

١٠٢ -شوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجيذ الشريفة.

١٠٣ -صدق اللهجة في أخبار طنجة.

١٠٤ -صرف النظر عن حديث(ثلاث يجلين البصر).

١٠٥ -صفع التياه لإبطال حديث (ليس بخيركم من ترك دنياه). ألفه ردا على الشيخ عبد الحي الكتاني كما صرح بذلك في البحر العميق. وقال في "صفع التياه": (ذكر بعضهم في كتاب له في السيرة النبوية مقدمة في فضل الدنيا ومرحها والحث عليها...).

١٠٦ -صلة الوعاة بالمرويات والرواة، وهو معجمه الكبير كما صرح بذلك في البحر العميق. وهو من الكتب التي ألفها بالسجن. قال: كتب منه نحو عشرين كراسا وهو في فهرسة له مرتبة على رواة الكتب مع اتصاله بهم.

١٠٧ -الصواعق المنزلة على من صحح حديث البسملة، وهو رد على "الرحمة المرسلة" للشيخ عبد الحي الكتاني.

١٠٨ -طباق الحال الحاضرة بخبر سيد الدنيا والآخرة.

١٠٩ -الطرق المفصلة لحديث أنس في قراءة البسملة.

١١٠ -العتب الإعلاني لمن وثق صالحا الفلاني، وهو رد أيضا على الشيح عبد الحي الكتاني.

١١١ -العقد الثمين في الكلام في حديث "إن الله يبغض الحبر السمين."

١١٢ -عواطف اللطائف من أحاديث عوارف المعارف. وهو يتناول أحاديث "عوارف المعارف" لأبي حفص عمر بن محمد السهروردي. وهو عمل لم يسبق إليه إذ أنه تخريج ومستخرج في آن واحد كما قال الشيخ محمود سعيد ممدوح.

١١٣ -غنية العارف بتخريج أحاديث "عوارف المعارف" ، وهو مختصر كتابه "عواطف اللطائف ."

١١٤ -فتح الملك العلي في صحة حديث "باب مدينة العلم علي."

١١٥ -فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب.

١١٦ -فصل القضاء في تقديم ركعتي الفجر على الصبح عند القضاء.

١١٧ -فك الربقة بتواتر حديث الثلاث والسبعين فرقة

١١٨ -فهرسة محمد بن الصديق(والد المؤلف)

١١٩ -قطع العروق الوردية من أصحاب البروق النجدية.

١٢٠ -كتاب في استيعاب الأحاديث الواردة عن، كتب منه مجلداء.الرسول

١٢١ -الكسملة بتحقيق الحق في أحاديث الجهر بالبسملة.

١٢٢ -كشف الخبي بجواب الجاهل الغبي.

١٢٣ -كشف الرين بطرق حديث "مر على قبرين"

١٢٤ -لب الأخبار المأثورة في مسلسل عاشوراء

١٢٥ -لثم النعم بنظم الحكم لابن عطاء الله

١٢٦ -ليس كذلك في الاستدراك على الحفاظ

١٢٧ -المثنوني والبتار في نحر العنيد المعثار الطاعن فيما صح من السنن والآثار.

١٢٨ -مجمع فضلاء البشر من أهل القرن الثالث عشر. قال الشيخ عبد السلام ابن سودة: رتبه على حروف المعجم، ذكر فيه جل المشاهير في هذه المائة بالمغرب وغيره، يقع في مجلدين.

١٢٩ -مختصر الزهد للبيهقي سماه "طرفة المنتقي."

١٣٠ -مدارك الاستقالة من ضعيف مسالك الدلالة.

١٣١ -المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي.

١٣٢ -مد الموائد لبسط ما في سنن البيهقي من الفوائد.

١٣٣ -مسالك الدلالة على مسائل الرسالة.

١٣٤ -مسامرة النديم بطرق حديث دباغ الأديم.
١٣٥ -المستخرج على الشمائل، مجلد كبير.
١٣٦ -المسك التبتي في طرق حديث (نضر الله امرءا سمع مقالتي) .
١٣٧ -مسند الجن.
١٣٨ -المسهم بطرق حديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم)
١٣٩ -مسند المجالسة، وهو ترتيب أحاديث كتاب "المجالسة" للدينوري على مسانيد الصحابة.
١٤٠ -المشيخة المجردة.
١٤١ -مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البشرية.
١٤٢ -مطالع البدور في جوامع أخبار البرور.
١٤٣ -معجم الشيوخ.
١٤٤ -المعجم الصغير
١٤٥ -المعجم الوجيز للمستجيز .
١٤٦ -مغني النبيه عن المحدث والفقيه.
١٤٧ -المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير.
١٤٨ -مفتاح الترتيب لأحاديث تاريخ الخطيب .
١٤٩ -مفتاح المعجم الصغير للطبراني .
١٥٠ -مناهج التحقيق في الكلام على سلسلة الطريق، مجلد متوسط
١٥١ -المناولة بطرق حديث المطاولة. وهو حديث "أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا."
١٥٢ -المنتده بتواتر حديث"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "
١٥٣ -المنتقى من مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، أو اختصار مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا .
١٥٤ -المنحة بما اختلف فيه من الوضع إلى الصحة.
١٥٥ -المنح المطلوبة في استحباب رفع اليدين في الدعاء بعد الصلوات المكتوبة، ألفه

ردا على من يدعي أن رفع اليدين في الدعاء بعد الصلوات بدعة مذمومة.

١٥٦ -منية الطلاب بتخريج أحاديث الشهاب، مجلد كبير، ألفه وهو لا زال في بداية الطلب.

١٥٧ -موارد الأمان بطرق حديث (الحياء من الإيمان).

١٥٨ -المؤانسة بالمرفوع من أحاديث المجالسة للدينوري.

١٥٩ -المؤذن في أخبار جده سيدي أحمد بن عبد المؤمن.

١٦٠ -الموضوعات، كتب منه مجلد ضخم.

١٦١ -الميزانيات، وهي الأحاديث التي أسندها الذهبي في الميزان.

١٦٢ -نصب الجرة لنفي الإدراج عن حديث إطالة الغرة. وهي حول حديث "إن أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل."

١٦٣ -نفث الروع بأن الركعة لا تدرك بالركوع، وهو اختصار كتابه "بيان الحكم المشروع" تقدم في حرف "ب" مع زوائد أخرى.

١٦٤ -نيل الحظوة بقيادة الأعمى أربعين خطوة.

١٦٥ -نيل الزلفة بتخريج أحاديث التحفة المرضية. وهو من مؤلفاته التي ألفها في بداية الطلب كما صرح بذلك في هذا الكتاب "البحر العميق."

١٦٦ -هداية الرشد لتخريج أحاديث بداية ابن رشد .

١٦٧ -الهدى المتلقى في طرق حديث (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)

١٦٨ -هدية الصغراء بتصحيح حديث (التوسعة على العيال يوم عاشوراء).

١٦٩ -وسائل الخلاص من تحريف حديث(من فارق الدنيا على الإخلاص)

١٧٠ -وشي الإهاب في المستخرج على مسند الشهاب، في ثلاثة مجلدات.

وفاته: توفي في شهر جمادة الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ الموافق سنة ١٩٦٠ م بمصر ودفن في مقابر الغفير بالعباسية. قال أخوه السيد عبدالله الغمارى: وحصلت له كرامة كبيرة عند وفاته، فقد كان في زيارته الشيخ أحمد مرسي والحاج اسماعيل تمام وأرادا أن ينصرفا فاستمهلهما وقال اني في حاجة اليكما، وبعد هنيهة قام من جلسته وهو ماد يديه يقول :"يا

رسول الله يا رسول الله" مرتين أو ثلاثا كأنه يستقبله، ثم وقع على سريره فاذا هو ميت، رحمه الله ونفعنا ببركته" (١)

٥٨- العلامة عبد الحي بن محمد بن الصديق الغماري الإدريسي الحسني الطنجي (ت ١٤١٥هـ): ولد في حدود عام ١٣٣٧، وأخذ عن جمع؛ منهم: والده الإمام العارف أبو عبد الله، وشقيقه الحافظ أحمد الغمارى الظاهرى، ورحل إلى المشرق، وأخذ عن أعلام الأزهر، وترك مذهب مالك، وتأثر بالظاهرية.

قال صاحبنا الدكتور محمد حمزة الكتانى: كان – رحمه الله ورضي عنه – سلفي الاعتقاد، وصوفي المشرب، على غير اتزان في تصوفه، بل يرد على الجهابذة، وكان شديدا في مذهبه، ذابا منافحا عن رأيه، لا يعير اهتماما لقول زيد ولا عمرو، وله كتاب في عدم إحاطة أحد من الأيمة الأربعة للسنة .وكان – رحمه الله – حسن الخلق، مكرما لضيفه، محبا للكتانيين، وكان شديد المحبة في جدنا أبي هريرة المذكور، وفي نجله الآتي ذكره من بعد: خالنا الشيخ بدر الدين الكتاني، دائم الزيارة له .وكان قويا في الأصول خاصة، يثبت لك الحديد خشبا، والعود صخرا، طويل القامة، قصير اللحية، يخضبها بالسواد، جميل الهيئة، أبيض اللون.

توفي – رحمه الله ورضي عنه – فجأة بطنجة عام ١٤١٥ للهجرة، وكانت جنازته كبيرة حافلة

٥٩- بديع الزمان السندي (ت ١٤١٦هـ). الْشَّيْخ الْعَلِامَة الْمُحَدِّث الْفَقِيْه الْفَهَّامَة، مُفِيْد الْطَّلَبَة، عَالِي الْرُّتْبَة: الْسَّيِّد الْشَّرِيف أَبُو مُحَمَّد بَدِيْع الْدِّيْن شَاه بْن الْسَيِّد شَاه إِحْسَان الْلَّه بْن رُشْد الْلَّه شَاه بْن الْسَيِّد الْشَّرِيف رَشِيْد الْدِّيْن شَاه بْن الْسَيِّد الْشَّرِيف مُحَمَّد يَاسِيْن شَاه بْن الْسَيِّد الْشَّرِيف مُحَمَّد رَاشِد شَاه الْرَّاشِدِي الْحُسَيْنِي.

وِلَادَتِه وَنَشْأَتُه: وُلِد عَام (١٣٤٢)هـ بِقَرْيَة "بِيْرْجُنْدِه "مِن قُرَى الْسَّنَد، وَهِي مَوْطِن آبَائِه، وَانْتَقَل وَالِدُه الْشَّرِيف إِحْسَان الْلَّه شَاه مِنْهَا، وَأَسَّس قَرْيَة جَدِيدَة تُسَمَّى "دُرَغَاه شَرِيْف "وَأَقَام بِهَا مَدْرَسَة الْتَحَق بِهَا الْشَّيْخ أَبُو مُحَمَّد - صَاحِب الْتَّرْجَمَة –، فَتَلَقَّى فِيْهَا بَعْض

(١) عبدالله الغمارى، الدرر النقية في أذكار و آداب الطريقة الصديقية، ترجمة أحمد الغمارى.

الْشُّيُوخ مَبَادِيْء الْعَرَبِيَّة، وَغَيْرِهَا مِن الْعُلُوم، وَلَا تَزَال الْمَدْرَسَة مَوْجُوْدَة إِلَى الْآن، وَلَقَد مُن اللَّه الْشَّيْخ بِجَوْدَة الْحِفْظ، فَحَفِظ الْقُرْآن الْكَرِيْم بِنَفْسِه فِي أَقَل مِن أَرْبَعَة أَشْهُر، وَكَان حِيْنَئِذ ابْن ثَلَاث وَعِشْرِيْن سَنَة، وَمِن غَرِيْب مَا وَقَع لَه أَنَّه حَفِظ سُوْرَة الْنُّوْر ظُهُوْر الْجِمَال فِي بَعْض أَسْفَارِه. شُيُوْخِه :تَلَقَّى الْعِلْم وَالْرِّوَايَة عَن كَثِيْر مِن أَهْل الْعِلْم، بَعْضُهُم بِالْقِرَاءَة عَلَيْهِم، وَبَعْضُهُم بِالْإِجَازَة فَمَن شُيُوْخِه بِالْقِرَاءَة :الْشَّيْخ الْحَافِظ أَمِيْن الْكَشِّي .الْشَّيْخ بَهَاء الْدِّيْن خَان الْجَلَال أَبَادِي ت (١٣٦٥هـ) .الْشَّيْخ مُحَمَّد شَفِيْع المُنكِيُو السْكُرَنْدي .عَبْد اللَّه الكَدَهْري . الْشَّيْخ عَبْد الْكَرِيْم الْنُّوَّاب شَامِي .الْشَّيْخ قُطْب الْدِّيْن الَهَالِيَجوّي .الْشَّيْخ مُحِب الْدِّيْن شَاه الْرَّاشِدِي، وَهُو أَخُوْه الْأَكْبَر، وَكَان مُحَدَّثا عَلَامَة .الْشَّيْخ مُحَمَّد إِسْمَاعِيْل الْبِنْت عَرَبِي .الْشَّيْخ مُحَمَّد الْسِّنْدِي الهالَّائِي، ثُم الْمَدَنِي، ثُم الْكَرَاتشْوِي .الْشَّيْخ مُحَمَّد نُوْر عِيْسَى خَيْلِي.

أَمَّا شُيُوْخِه بِالْإِجَازَة، فَهُم كثر إِذ كَان حَرِيْصَا عِلْم الْإِسْنَاد، فَأَخَذ الْإِجَازَة مَع الْقِرَاءَة مِن عِدَّة شِيُوْخ ذَكَرَهُم فِي "ثَبَّتْه "، مِنْهُم :الْمُحَدِّث أَبُو الْوَفَاء ثَنَاء اللَّه الآمْرِتَسِري .الْمُحَدِّث أَبُو مُحَمَّد عَبْد الْحَق بْن عَبْد الْوَاحِد بْن مُحَمَّد بْن هَاشِم الْهَاشِمِي الْمُتَوَفَّى (١٣٩٣هـ) الْشَّيْخ مُحَمَّد خَلِيْل بْن مُحَمَّد سَلِيْم الْخَيَرَبُوْري.

تلاميذه: الشيخ ربيع المدخلى الذى قال عنه: إِنِّي قَد عَرَفْت الْشَّيْخ بَدِيْعَا – رَحِمَه اللَّه – بِذَكَائِه الْمُتَوَقِّد وَقُوَّة حَافِظَتُه وَاسْتِحْضَارِه لِنُصُوص الْكِتَاب وَالْسُّنَّة، وَجَالَسْتُه مِرَارَا وَّتِكَرَارَا فِي مَكَّة وَالْمَدِيْنَة وَفِي الْمَسْجِد الْحَرَام وَغَيْرِه، وَذَاكَرْتُه فِي عَدَد مَن الْمَسَائِل وَقَرَأْت عَلَيْه فِي "سُبُل الْسَّلام" وَشَيْء مِن "صَحِيْح مُسْلِم "فَأَجَازَنِي إِجَازَة عَامَّة بِكُل مَقْرُوْءاتِه وُمَسْمُوْعَاتِه وَفِيْمَا أُجِيْز فِيْه مِن مَصَادِر فِي مُخْتلف الْفُنُوْن.

هِجْرَتُه إِلَى مَكَّة الْمُكَرَّمَة وَرَحَلَاتُه: بَلَغَت شُهْرَة الْشَّيْخ الْآفَاق، وَذَاع صِيتُه، وَحِرْص الْطُّلَاب تُلْقِي الْعِلْم عَنْه، وَأَتُوْه مِن كُل حَدَب وَصَوْب، وَقَد تَصَدَّى لِلْتَّدْرِيس بِبَلَدِه، فَأَخَذ عَنْه جَمَاعَة، ثُم هَاجَر إِلَى مَكَّة الْمُكَرَّمَة فِي أَوَاخِر سَنَة (١٣٩٥هـ)، وَجَاوَر بَيْت اللَّه الْحَرَام أَرْبَع سَنَوَات، وَدَرَس فِيْه الْكُتُب السِّتَّة، وَالْمُحَلَّى لِابْن حَزْم، وَكَان فِي كُل سَنَة يَذْهَب إِلَى بِلَادِه وَذَلِك لِلْوَعْظ وَالْإِرْشَاد، وَزَار الْكُوَيْت عَام ١٤١٤هـ، وَقَرَأ عَلَيْه الْطَّلَبَة كِتَابِي الْتَّوْحِيْد، وَالاعْتِصَام بِالْسُّنَّة مِن "صَحِيْح الْبُخَارِي "وَكِتَاب "الْبَاعِث الْحَثِيْث "لِابْن كَثِيْر، و" الْوَرَقَات فِي

أُصُوْل الْفِقْه "لِإِمَام الْحَرَمَيْن الْجُوَيْنِي مَع شَرْحِهَا. وَاسْتِجَازِه الْنَّاس مِن بِلَاد السِّنْد، وَالْهِنْد، وَالْشَّام وَالْعِرَاق، وَجَزِيْرَة الْعَرَب وَبِلَاد الْمَغْرِب. وَكَان يَقْتَنِي مَكْتَبَة ضَخْمَة عَامِرَة بِأُمَّهَات الْكُتُب، وَنَوَادِرِهَا مِن مَخْطُوْطَات وَمَطْبُوْعَات، مِن ذَلِك كِتَاب "مُسْنَد الْشَّامِيِّيْن "لِلْطَّبَرَانِي، فَقَد كَان لَدَيْه نُسْخَة مَنْقُوْلَة عَن نُسْخَة مَكْتَبَة عَارِف حِكْمَت بِالْمَدِيْنَة الْمُنَوَّرَة، ثُم لَمَّا فَقَد الْأَصْل صَارَت نُسْخَتِه هِي الْوَحِيدَة فِي الْعَالَم، وَعَلَيْهَا اعْتَمَد الْشَّيْخ حَمْدِي عَبْد الْمَجِيْد الْسَّلَفِي فِي إِخْرَاج الْكِتَاب وَتَحْقِيْقُه.

مُؤَلَّفَاتِه :لِلْشَّيْخ يَد طُوَلَى فِي الْتَّأْلِيْف، وَلَه أَكْثَر مِن (٨٠) كِتَابا أَغْلَبُهَا لَا يَزَال مَخْطُوْطَا، وَقَد تَنَاوَلَت مُؤَلَّفَاتِه وَتَحْقِيْقَاتِه فُنُوْنَا عَدِيْدَة، وَمَسَائِل شَتَّى، تُعَالَج كَثِيْرا مِّن الْقَضَايَا الْشَّرْعِيَّة، مِنْهَا:

١- الْإِجَابَة مَع الْإِصَابَة فِي تَرْتِيْب أَحَادِيْث الْبَيْهَقِي مَسَانِيَد الْصَّحَابَة.
٢- مُقَدِّمَة الْتَّفْسِيْر، وَتَفْسِيْر الْقُرْآن الْمُسَمَّى "الِاسْتِنْبَاط الْعَجِيْب."
٣- الْفَتَاوَى البَدِيعِيّة.
٤- جُزْء مَنْظُوْم فِي أَسْمَاء الْمُدَلِّسِين.
٥- الْصَّرِيْح الْمُمَهِّد فِي وَصْل تَعْلِيْقَات مُوَطَّأ الْإِمَام مُحَمَّد.
٦- تَرَاجِم شُيُوْخ الْإِمَام الْبَيْهَقِي.
٧- مُسْنَد الْسُّنَن الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِي.
٨- الْتَّبْوِيْب لِأَحَادِيْث تَارِيْخ الْخَطِيْب.
٩- غَايَة الْمَرَام فِي تَخْرِيْج جُزْء الْقِرَاءَة خَلْف الْإِمَام.
١٠- الْقَوْل اللَّطِيْف فِي الاحْتِجَاج بِالْحَدِيْث الْضَّعِيف.
١١- رَفْع الِارْتِيَاب عَن حُكْم الْأَصْحَاب، ثُم ذَيَّل عَلَيْه.
١٢- تُحْفَة الْأَحْبَاب فِي تَخْرِيْج أَحَادِيْث قَوْل الْتِّرْمِذِي: "وَفِي الْبَاب."

وفاتة: وَبَعْد حَيَاة حَافِلَة بِالْعَطَاء الْعِلْمِي، قَضَى الْشَّيْخ – رَحِمَه الْلَّه – يَوْم ١٧ شَعْبَان عَام (١٤١٦)هـ بَعْد مَرَض أَقْعَدَه –رَحِمَه الْلَّه (١)

(١) أنظُر: تَرْجَمَتَه فِي مُعْجَم الْمَعَاجِم وَالْمَشْيَخَات لِلْدُّكْتُوْر يُوَسُف عَبْد الْرَّحْمَن الْمَرْعَشْلِي، ٣/٩٦-٩٨.

٦٠- العلامة الدكتور محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي (ت شوال ١٤٠٧هـ الموافق ٢٢ يونيو ١٩٨٧م) سبق ذكره فى الفقهاء .

٦١- الشيخ العلامة الظاهرى المحدث مقبل بن هادي الوادعى (ت ١٤٢٢هـ) العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي، رحمة الله عليه .الذي رحل إليه طلاب العلم من سائر الديار، ينهلون من علوم القرآن والسنة والآثار، فاظهر الله على يده خيرا عظيما، اغاظ أهل البدع والأهواء والضلالات .

من مقبل بن هادي الوداعي ؟ يقول الشيخ رحمه الله: انا مقبل بن هادي بن مقبل بن قائدة –اسم رجل – الهمداني الوادعي الخلالي، من قبيلة آل راشد. وشيباتنا يقولون: ان وادعة من بكيل. أنا من وادعة التي هي شرق صعدة من وادي دماج، ووادعة في بلاد شتى من البلاد اليمنية، وأكبرها فيما اعلم الساكنون بلواء صعدة، فهم يسكنون بدماج شرقي صعدة، وبصحوة في اعلى دماج تحت جبل براش، وبالدرب، وآل حجاج، والطلول بين شرقي صعدة وجنوبها. وبشمال صعدة الزور، وآل نائل، وآل رطاس، والرزمات في وادي نشور .وبحاشد غربي الصنعانية ويسمون وادعة حاشد لانهم يسكنون في بلاد حاشد. ووادعة في نجران في أعلى وادي نجران، ووادعة في ظهران الجنوب. وقبائل وادعة كغيرهم من القبائل اليمنية التي لم تؤت حقها من التوعية الدينية، وفيهم مجموعة طيبة قدر أربعين شابا ملازمين للدروس سنذكر بعضهم إن شاء الله في جملة الطلاب.وإني أحمد الله، فغالب وادعة الذين هم بجوار صعدة يدافع عني وعن الدعوة، بعضهم بدافع الدين، وبعضهم بدافع التعصب القبلي، ولولا الله ثم هم لما أبقى لنا أعداء الدعوة صوصا شيعة صعدة عينا ولا أثرا.

ولد الشيخ العلامة رحمه الله سنة ١٩٤٤ ونشا يتيما في حجر أم تنهاه عن العلم، وترغبه في الدنيا، ومع ترعرعه في بيئة زيدية طغى عليها الجهل، حتى انه ليحرم فيها القبيلي من امثال الشيخ من اتقان القراءة والكتابة، ويعاب عليه ذلك فضلا عن طلب العلم، ومع طلبه المتأخر للعلم الشرعي –فقد طلب العلم في ارض الحرمين وعمره خمسة وثلاثون عاما تقريبا، ومع هذا قيض الله على يديه خيرا كبيرا بالمقارنة مع بعض الائمة المعاصرين الذين نشئوا في اول امرهم في بيئة علمية –، ومع تكالب الاعداء عليه من كل مكان، ومع حالته

الصحية المتردية. مع كل هذا وذاك فقد اقام الله به اليمن دعوة ملات الارجاء قي غضون عشرين سنة، لاتكاد تسمع لهذه الدعوة نظيرا في اليمن بعد عصر الامامين معمر وعبد الرزاق.

ومع انشغاله رحمه الله بالدعوة والتدريس ورث الامة اكثر من خمسين مؤلفا منه (الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، الذي يساوي وحده الدنيا باسرها، اذ هو تتمة للصحيحين. دراسته ومشايخه :يقول الشيخ: درست في الكتب حتى انتهيت من منهج المكتب، ثم ضاع من العمر ما شاء الله في غير طلب علم، لأنه ما كان هناك من يرغب أو يساعد على طلب العلم، وكنت محبا لطلب العلم، وطلبت العلم في جامع الهادي فلم أساعد على طلب العلم، وبعد زمن اغتربت إلى ارض الحرمين ونجد، فكنت اسمع الواعظين ويعجبني وعظهم، فاستنصحت بعض الواعظين ماهي الكتب المفيدة حتى اشتريها ؟ فارشد الى ((صحيح البخاري))، ((وبلوغ المرام))، و((رياض الصالحين))، و((فتح المجيد شرح كتاب التوحيد))، وأعطاني نسيخات من مقررات التوحيد، وكنت حارسا في عمارة الحجون بمكة، فعكفت على تلك الكتب، وكانت تعلق بالذهن لان العمل في بلدنا على خلاف ما فيها، خصوصا ((فتح المجيد)). وبعد مدة من الزمن رجعت الى بلدي انكر كل ما رايته مخالف ما في تلك الكتب من الذبح لغير الله، وبناء القباب على الاموات، ونداء الاموات، فبلغ الشيعة ذلك، فانكروا ما انا عليه، فقائل يقول منهم :من بدل دينه اقتلوه، وآخر يرسل الى اقربائي يقول ان لم تمنعوه فسنسجنه، وبعد ذلك قرروا أن يدخلوني (جامع الهادي) من أجل الدراسة عندهم لإزالة الشبهات التي قد علقت بقلبي، ويدندن بعضهم بقول الشاعر:

عرفت هواها قبل أن اعرف الهوى **** فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وبعد ذلك دخلت الدراسة عندهم في جامع الهادي ومدير الدراسة القاضي (مطهر حنش)، فدرست في (العقد الثمين)، وفي (الثلاثين المسالة وشرحها) لحابس، ومن الذين درسونا فيها (محمد بن حسن المتميز) وكنا في مسألة الرؤية فصار يسخر من ابن خزيمة وغيره من ائمة اهل السنة، وانا اكتم عقيدتي، الا اني ضعفت عن وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة وارسلت يدي، ودرسنا في (متن الأزهار) الى النكاح مفهوما ومنطوقا،

وفي شرح الفرائض كتاب ضخم فوق مستوانا فلم استفد منه. فلما رايت الكتب المدرسة غير مفيدة، حاشا النحو فاني درست عندهم (الآجرومية)و(قطر الندى)، ثم طلبت من القاضي (قاسم بن يحي شويل) ان يدرسني في(بلوغ المرام)، وانكر علينا ذلك ثم تركنا، فلما رايت ان الكتب المقررة شيعية معتزلية قررت الإقبال على النحو فدرست (قطر الندى) مرارا على (اسماعيل حطبة)رحمه الله في المسجد الذي اسكن فيه ويصلي فيه وكان يهتم بنا غاية الإهتمام، وفي ذات مرة اتى الى المسجد (محمد بن حورية)فنصحته ان يترك التنجيم فنصحهم ان يطردوني من الدراسة، فشفعوا لي عنده وسكت، وكان يمر بنا بعض الشيعة ونحن ندرس في(القطر) ويقول: (قبيلي صبن غرارة) بمعنى ان التعليم لا يؤثر في وانا اسكت واستفيد في النحو. حتى قامت الثورة وتركنا البلاد ونزلنا الى نجران ولازمت (ابا الحسين مجد الدين المؤيد) واستفدت منه خصوصا في اللغة العربية ومكثت بنجران قدر سنتين، فلما تاكدت ان الحرب بين الجمهورية والملكية لأجل الدنيا عزمت على الرحلة الى الحرمين ونجد، وسكنت بنجد قدر شهر ونصف في مدرسة تحفيظ القرآن التابعة للشيخ (محمد بن سنان الحدائي)حفظه الله، ولقد كان مكرما لي لما راى من استفادتي وينصحني باستمرار مدة حتى يرسلني الى (الجامعة الإسلامية)، فتغير علي الجو بالرياض، وعزمت على السفر الى مكة، فكنت اشتغل ان وجدت شغلا، واطلب العلم في الليل احضر دروس الشيخ (يحي بن عثمان الباكستاني) في (تفسير ابن كثير)، والبخاري، ومسلم. وأطالع في الكتب والتقيت بشيخين فاضلين: احدهما :القاضي (يحي الاشول)صاحب معمرة، فكنت ادرس عنده في (سبل السلام) للصنعاني ويدرسني في أي شيء اطلب منه الثاني: الشيخ (عبد الرزاق الشاحذي المحويتي) وكان ايضا يدرسني فيما اطلب منه. ثم فتح معهد الحرم المكي وتقدمت للاختبار مع مجموعة من طلبة العلم، فنجحت والحمد لله، وكان من ابرز مشايخنا فيه الشيخ (عبد العزيز السبيل)، ودرست مع بعض طلبة المعهد عند الشيخ (عبد الله بن حميد) رحمه الله في (التحفة السنية) بعد العشاء في الحرم، فكان رحمه الله ياتي بفوائد من (شرح ابن عقيل) وغيره، وكانت فوق مستوى زملائي فتملصوا، فترك رحمه الله الدرس. ودرست مع مجموعة من الطلاب عند الشيخ (محمد السبيل)حفظه الله شيئا من الفرائض.

وبعد الخروج من المعهد خرجت للإتيان بأهلي من نجران فأتيت بهم وسكنا بمكة مدة الدراسة في المعهد ست سنين والدراسة في الحرم نفسه، وبركة دراسة المساجد معلومة، ولا تسال عن انس وراحة كنا فيها، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول :(وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم الانزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده). النهار في دراسة المعهد، والدروس كلها تخدم العقيدة والدين، ومن بعد العصر الى بعد العشاء في الحرم نشرب من ماء زمزم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه:(انه طعام طعم وشفاء سقم) ونسمع من الواعظين القادمين من الآفاق لأداء حج أو عمرة ومن المدرسين في الحرم بين مغرب وعشاء الشيخ (عبد العزيز بن راشد النجدي) صاحب تيسير الوحيين في الاقتصار على القرآن والصحيحين) فازددت يقينا ببطلان كلامه رحمه الله، وكان رجل التوحيد وله معرفة قوية بعلم الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه. ومن مشايخي في الحرم المكي الذين استفدت منهم الشيخ (محمد بن عبد الله الصومالي)فقد حضرت عنده حوالي سبعة اشهر أو أكثر، وكان رحمه الله آية في معرفة رجال الشيخين، ومنه استفدت كثيرا في علم الحديث، على إني بحمد ربي من ابتدائي في الطلب لا أحب إلا علم الكتاب والسنة. وبعد الانتهاء من معهد الحرم من المتوسط والثانوية، وكل الدروس دينية، انتقلنا إلى المدينة إلى الجامعة الإسلامية، فحول أكثرنا إلى كلية الدعوة وأصول الدين، وابرز من درسنا فيها الشيخ (السيد محمد الحكيم) والشيخ (محمود عبد الوهاب فائد)المصريان. وعند إن جاءت العطلة خشيت من ذهاب الوقت وضياعه فانتسبت في كلية الشريعة، لأمرين :احدهما :التزود من العلم .الثاني إن الدروس متقاربة وبعضها متحدة، فهي تعتبر مراجعة لما درسناه في كلية الدعوة وانتهيت بحمد الله من الكليتين، وأعطيت شهادتين وأنا بحمد الله لا أبالي بالشهادات، المعتبر عندي هو العلم. وفي عام انتهائنا من الكليتين فتحت في الجامعة دراسة عالية ما يسمونه بالماجستير، فتقدمت لأخبار المقابلة ونجحت بحمد الله وهي تخصص في علم الحديث، وبحمد الله حصلت الفائدة التي احبها، وكان من ابرز من درسنا الشيخ (محمد امين المصري) رحمه الله، والشيخ (السيد محمد الحكيم المصري) وفي آخرها الشيخ (حماد بن

محمد الانصاري) وكنت احضر بعض الليالي درس الشيخ (عبد العزيز بن باز) في الحرم المدني في صحيح مسلم، واحضر كذلك مع الشيخ (الألباني) في جلساته الخاصة بطلبة العلم للاستفادة. ومنذ كنت في الحرم المكي وأنا ادرس بعض طلبة العلم في (قطر الندى) وفي (التحفة السنية)، وعندما كنت بالمدينة كنت ادرس بعض اخواني بالحرم المدني في (التحفة السنية) ثم وعدت اخواني في الله بدروس في بيتي بعد العصر في (جامع الترمذي)، و(قطر الندى)، و(الباعث الحثيث)، واتشرت دعوة كبيرة من المدينة ملأت الدنيا في مدة ست سنوات، بعض اهل الخير هم الذين يسعون في تمويلها، و(مقبل بن هادي) وبعض اخوانه هم الذين يقومون بتعليم اخوانهم، واما الرحلات للدعوة الى الله في جميع انحاء المملكة فمشتركة بين الإخوان كلهم، طالب العلم للتزود من العلم ولإفادت الآخرين، والعمي للتعلم، حتى استفاد كثير من العامة واحبو الدعوة. ولما وصلت الى اليمن عدت الى قريتي ومكثت بها اعلم الاولاد القرآن، فما شعرت الى بتكالب الدنيا، فكاني خرجت لخراب البلاد والدين والحكم، وانا آنذاك لا اعرف مسؤلا ولاشيخ قبيلة فاقول: حسبي الله ونعم الوكيل، واذا ضقت اذهب الى صنعاء او الى حاشد، او الى ذمار، وهكذا الى تعز وإب والحديدة، دعوة وزيارة للإخوان في الله. وبعد هذا مكثت في مكتبتي –بعد مشقة ومساعدة بعض الإخوان في استردادها –وما هي الا ايام وفتحت دروسا مع بعض الإخوة المصريين في بعض كتب الحديث وبعض كتب اللغة، وبعد هذا مازال طلبة العلم يفدون من مصر، ومن الكويت ومن ارض الحرمين ونجد ...وكثير من البلاد الإسلامية وغيرها. ويقدر طلبة الشيخ بحوالي الف طالب، والعوائل نحو خمسمائة عائلة.

الدروس التي تلقى:

تفسير بن كثير بعد الظهر. صحيح البخاري بعد العصر. صحيح مسلم، وبعده مستدرك الحاكم بين مغرب وعشاء. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين قبل الظهر. الصحيح المسند من دلائل النبوة. الجامع الصحيح في القدر. وقال الشيخ رحمه الله : ((كنت ادرس في (شرح ابن عقيل) ثم مرضت فتركت. اما اخواني في الله فانهم قائمون بدروس لاخوانهم في جميع المجالات العلمية على مستوى الطلاب في: التوحيد، والعقيدة،

والفقه واصوله، والحديث واصوله، والفرائض، والنحو، والخط والاملاء وجميع ما يحتاج اليه الطالب من العلوم الدينة ووسائلها، واذا ضاق المسجد والسكنات، ففي الوادي وتحت الشجار، وتلقى هناك الدروس، علم طيب وهواء طيب. والفضل في هذا لله وحده.

ظاهريته: قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله : الذي أنصح إخواننا إذا أرادوا الراحة لأنفسهم والسلامة من تبلبل الأفكار فأنصحهم أن يأخذوا بالظاهر، ولكن ليس بظاهرية أبي محمد ابن حزم، لكن بظاهرية النصوص، أمّا أن تأخذ بظاهرية أبي محمد ابن حزم وتقول (البول نجس والغائط ليس بنجس) وهكذا من هذه الأمور فهذه ظاهرية مرفوضة، ولا نقبلها، ثم بعد ذلك أيضاً تهجّمه على العلماء لا نقبله . (١)

قلت: قول الشيخ مقبل بشأن ابن حزم لا يعنى رفضه لمنهج ابن حزم وإنما نبه على أمور هى عين الظاهرية والتى ترفض التقليد وتدعو لتقديس النصوص وتعزيزها، وهذا التنبيه

من الشيخ هو هو عين ما قاله ابن حزم "ما نسر بمن ينصر أقوالنا وإنما نسر بمن ينصر الحق".

وتأكيدا لما قلناه نرى الشيخ مقبل يمدح مصنفات ابن حزم بقوله :" المحلّى" يُعتبر كتاب فقه، وكتاب تفسير، وكتاب جرح وتعديل، وكتاب تصحيح وتضعيف، وكتاب رد أباطيل، وكذلك كتابه "إحكام الأحكام" لعلّه لم يؤلَّف مثله في أصول الفقه، وكان رحمه الله بحراً لم يستطع خصومه أن يقفوا أمامه للمناظرة، حتى أغروا به السلطان وأحرق كتبه، ... فهو إن زلَّت قدمه في العقيدة ولا يجوز أن يُتابَع فيها، ولكن أنصح كل طالب علم أن يقتني كتاب "المحلّى" وكتاب "إحكام الأحكام" ويستفيد منهما غير مقلِّدٍ لأبي محمد بن حزم وغير متأثّرٍ بهجومه على مَن تقدَّمه، لكن يتأثّر به في الصلابة على الحق وإن خالف الناس كلّهم لا يبالي، وإنه ليُشكر على ذلك، والله المستعان (٢)"

وفى سؤال رقم ٣٢٠ من كتاب الشيخ إجابة السائل يقول .ابن حزم في المحلى معروف أنه ظاهري المذهب فهل يؤخذ بكل كلامه لأن فضيلتكم توصون به أي المحلى؟

(١) أنظر: إجابة السائل على أهم المسائل، ص٣١٠.
(٢) أنظر: غارة الأشرطة، ١/١٧٢.

فأجاب الشيخ بقوله "كتاب المحلى لابن حزم يعتبر كتاب جرح وتعديل وكتاب تصحيح وتضعيف وهذا ما لا يوجد في كتب الفقه فأنت إذا نظرت إلى – المغني – أو نظرت مثلا إلى– شرح الأزهار – من كتب الزيدية أو نظرت إلى كتب الحنفية وهكذا حتى إلى– المجموع – للنووي الذي يعتبر من أحسن كتب الفقه ماتجد هذا التصحيح والتضعيف والتخريج والتوثيق والتزييف لما يرى أنه باطل أما أراء ابن حزم التي تخالف الكتاب والسنة أو تهجمه على بعض الأئمة فنحن برءاء وأما المذهب الظاهري فالذي ننصح به كل مسلم أن يكون ظاهريا كما قال الشوكاني رحمه الله تعالى في ترجمة أبي حيان صاحب البحر المحيط فإنه ذكر عنه أن من عرف المذهب الظاهري لا يستطيع أن يتركه وأن يتخلص منه فال الشوكاني لأنه حق لا يمنعني الجمود على مذهب أبي محمد بن حزم رحمه الله تعالى فلسنا ندعوا إلى تقليده ..ثم ذكر رحمه الله أنه لو جاز التقليد لقلدنا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ..(١)

وقال عن كتاب حجة الوداع : "كتاب حجّة النبي صلى الله عليه وسلّم" لابن حزم من أحسن الكُتب التي كُتِبَت في حجّة النبي صلى الله عليه وسلّم . (٢).

قلت: وقد نسبه العلامة أبو محمد بن على الكتانى فى وصف المحلى إلى أهل الظاهر ونفاة القياس فقال: "وفي اليمن أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي الذي كان زيدياً ثم انتمى إلى السنة وأخذ بالظاهر ونفى القياس وله جماعة يتبعونه(٣).

وقد ذهب بعض المتنطعين إلى عدم ظاهرية الشيخ فقال "يا إخواني الشيخ رحمه الله لم يكن ظاهريا ولا شوكانيا بل كان سلفيا أثريا على طريقة أهل الحديث بل كان يصرح بتخطئة ابن حزم في بعض المسائل وله ردود على الشوكاني والشيخ لم ينكر القياس بل يرى أنه داخل في الاجتهاد الذي يؤجر صاحبه عند عدم الدليل لكنه ينكر الإلزام به ".

قلت: الاحتجاج بتخطئة الشيخ مقبل لابن حزم على أن الرجل ليس بظاهرى أمحل

(١) أنظر: إجابة السائل على أهم المسائل، ص٥٦٢.
(٢) نقلا عن: أحمد العديني، الإمام الألمعي، ص ٢٨٦.
(٣) أنظر: وصف المحلى، ص١٧٩.

من المحال ولطالما خطأ ابن حزم داوودا، وكل ظاهرى لا يرى قديسة لأحد من أهل الظاهر صغيرهم وكبيرهم، فهل يا ترى لأجل قاعدة هذا الطاعن نجعل كل ظاهرى خطأ غيره من أهل الظاهر فى زمرة غير زمرة الظاهرية.

وأما احتجاجه على عدم ظاهريته بردوده على الشوكانى فتالله إن هذه لآبدة الأوابد إذ إن الشوكانى اصلا لم يكن من أهل الظاهر إنما هو من المتأثرين والمحبين لهم .

وأما زعم هذا الزاعم بأن الشيخ لم ينكر القياس فيكفيه رد الشيخ مقبل نفسه على سؤال هذا نصه: هل قول من قال إن من أنكر القياس فقد فاته ثلث الشريعة صحيح؟ فأجاب الشبخ قائلا: الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)) ويقول عز وجل – وقد فصل لكم ما حرم عليكم – فقد فصل الله سبحانه وتعالى كل شيء ثم بعد ذلك في شأن القياس هم أنفسهم أي أهل القياس يجعلون _ قياس النبيذ على الخمر بجامع الإسكار، وأنت إذا قرأت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كل مسكر خمر وكل خمر حرام)) عرفت أنه ما بقي لهذا القياس حاجة، يأتي الدليل من عموم الشريعة، وربما دليل ما اطلع عليه أصحاب القياس، والله المستعان وأنصح بقراءة ما كتبه أبو محمد بن حزم في كتابه (إحكام الإحكام) حول القياس .إهـ

بعض مؤلفاته:

–الطليعة في الرد على غلاة الشيعة.

–تحريم الخضاب بالسواد.

–شرعية الصلاة في النعال.

–الصحيح المسند من أسباب النزول.

–حول القبة المبنية على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

–الشفاعة.

–رياض الجنة في الرد على أعداء السنة.

–الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين.

-السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة.
-المخرج من الفتنة.
-الإلحاد الخميني في ارض الحرمين.
-قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد.
-إجابة السائل عن أهم المسائل.
-أحاديث معلة ظاهرها الصحة.
-تحفة الشاب الرباني في الرد على الإمام محمد بن علي الشوكاني.
-غارة الفصل على المعتدين على كتب العلل.
-إيضاح المقال في أسباب الزلزال.
-إعلان النكير على أصحاب عيد الغدير.
-إقامة البرهان على ضلال عبد الرحيم الطحان.
-فضائح ونصائح.
-البركان لنسف جامعة الإيمان.
- إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبد الله القرضاوي.
-تحفة المجيب عن أسئلة الحاضر والغريب.
- الزنداني ومجلس الشورى للشيخات في اليمن.
-صعفة الزلزال لنسف أباطيل أهل الرفض والاعتزال.

وفاتة: كانت وفاته مع غروب شمس السبت ٣٠ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م في مدينة جدة بعد رحلة علاجية دامت أكثر من سنة. ([1]) .

٦٢- أبو تراب الظاهرى، سبق ذكره فى الفقهاء .

٦٣- العلامة الحسن بن محمد بن الصديق الغمارى (ت ١٤٣١هـ) ولد العلامة الشيخ

(١) من كتاب ترجمة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -بتصرف- أبو حاتم الطبني موقع الشيخ http://www.muqbel.net/

"الحسن بن الصديق" بمدينة طنجة سنة ١٣٤٥ هـ – ١٩٢٦ م، وكانت البداية بزاوية والده، حيث تعلم المبادئ الأولية للقراءة والكتابة، وحفظ القرآن على يد الفقيه "محمد المصوري" رحمه الله، قرأ عنه خمس ختمات باللوح، وعليه أخذ القرآن الكريم إخوانه: عبد الله والزمزمي وعبد الحي وعبد العزيز رحمهم الله، وأتم حفظ القرآن مع بعض المتون العلمية المعروفة وعمره لم يتجاوز ١٣ سنة .ثم تفرغ لدراسة العلوم الشرعية، فجالس شيوخ العلم والإقراء بمدينة طنجة، والتحق بالمعهد الديني التابع للمسجد الأعظم بطنجة، وهم بالذهاب إلى فاس التي كانت في ذاك العهد زاخرة بالعلماء الأفذاذ، ومقصد طلبة العلم من جميع الأصقاع، غير أن الظروف لم تكن مساعدة (فترة اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ م)، وبعد انتهاء الحرب مباشرة التحق بجامع القرويين، وتخرج منه متوجا بما يعادل الشهادة العالمية، وفي فاس جلس إلى كبار شيوخها وعلمائها واستجازهم وانتفع بهم كثيرا .

شيوخه ومقروءاته عليهم :-

في مدينة طنجة

-*أخوه الأكبر "الحافظ السيد أحمد بن الصديق" رحمه الله، قرأ عليه نخبة الفكر في المصطلح، وسمع عليه أجزاء من سنن "البيهقي"، وحضر عليه دروسا في "بلوغ المرام ونيل الأوطار"، و"صحيح الإمام مسلم ."

-*أخوه العلامة الأصولي السيد "عبد الله بن الصديق" رحمه الله، كانت دروسه عليه: مذاكرة في موضوعات علمية متنوعة دامت مدة من الزمن .قال يحيى الغوثانى: وقد تشرفت بالأخذ عن الشيخ عبد الله والقراءة عليه وملازمته ولقائه مراراً كان أولها عام ١٤٠٤ للهجرة في المدينة المنورة وأجازني رحمه الله.

-*أخوه العلامة "محمد الزمزمي" رحمه الله، قرأ عليه الألفية وابن عاشر، والسلم بشرح البناني، والقوانين الفقهية، وجزءا من مختصر خليل، والتفسير بالنسفي، والجزء الأخير من التحفة وفرائضها، وانتفع بأخيه "الزمزمي" كثيرا .

-*الفقيه "العربي بوعياد" رحمه الله، قرأ عليه الأجرومية .قال يحيى الغوثانى: والفقيه الشيخ العربي بو عياد وكذلك ابنه شيخنا عبد السلام بو عياد كلاهما من كبار تلاميذ والد المترجم السيد محمد بن الصديق وقد تشرفت بزيارة الشيخ عبد السلام واستجازته وهو على أبواب المائة وهو من آخر تلاميذ الوالد

-*الفقيه "عبد الرحمن الجزيري"، قرأ عليه الأجرومية والسلم في المنطق وبعض أبواب المختصر، وأبوابا من التلخيص .

-*الفقيه "محمد التجكاني" رحمه الله، قرأ عليه في بيته لامية الأفعال وكتاب النكاح من مختصر خليل .

-*الفقيه "محمد البقالي"، قرأ عليه الزقاقية .

-في مدينة فاس

-*الفقيه "بن عبد السلام الطاهري" رحمه الله، قرأ عليه السنوسية في التوحيد، وحضر عليه دروسا في صحيح البخاري .

-*الفقيه "لغريسي" رحمه الله، قرأ عليه التفسير بالجلالين .

-* الفقيه "عبد السلام البناني" رحمه الله، حضر عليه في المختصر .

-*الفقيه "بوبكر جسوس" رحمه الله، قرأ عليه أجزاء المختصر .

-*الفقيه "جواد الصقلي" رحمه الله، قرأ عليه المعاملات في المختصر وبداية المجتهد .

-*الفقيه "العباس البناني" رحمه الله، قرأ عليه النطق بالبناني، والأصول بجمع الجوامع .

-*الفقيه "الزروالي" رحمه الله، قرأ عليه كتابا في النحو .

-*الفقيه "العربي الشامي" رحمه الله، قرأ عليه النصف الأخير للتحفة .

-*الفقيه "محمد بلحسن الزرهوني" رحمه الله، حضر عليه دروسا في الفقه، خارج الدراسة النظامية بجامع القرويين، وكانت حلقة دروسه مشهودة ومقصودة .

-*الفقيه "الإدريسي" رحمه الله، قرأ عليه الأدبيات .

-*الفقيه "حسن مزور" رحمه الله، قرأ عليه التفسير .

-*الفقيه "عبد العزيز الخياط" رحمه الله، قرأ عليه التلخيص في البلاغة .

-*الفقيه "الشركي" رحمه الله، قرأ عليه الفرائض .
-*الفقيه "الصقلي" رحمه الله، قرأ عليه المنطق .
-*الفقيه "كنون"، حضر عليه في النحويات والفقهيات والمنطق .
-*الفقيه "الشريف العلوي" رحمه الله، أخذ عنه التاريخ .
-مصنفاتة: التبيان لحجة عمل الإخوان في توحيد صوم رمضان (مطبوع) -سلسلة دروس ومحاضرات – الجزء الأول (مطبوع)، ويشتمل هذا الجزء على الموضوعات الآتية:
-* التصوف وأثره في نشر العلم والمعرفة،
-*تكريم الإسلام للمرأة،
-*فضل ليلة القدر،
-*الشفاعة الكبرى - .ديوان خطب الجمعة (مخطوط) مجموعة من الفتاوى والنوازل في مختلف الموضوعات كانت ترد عليه من داخل المغرب وخارجه .

الوظائـف: عين معلما، ثم أستاذا بالثانوية في كل من طنجة وتطوان، ثم مرشدا تربويا إلى أن أحيل على التقاعد وذلك سنة ١٩٨٩م .

النشاط العلمي والتربوي : -مرشد تربوي لإذاعة طنجة لمدة عشر سنوات (من ١٩٥٣ إلى ١٩٦٣)- .عضو بالمجلس العلمي الأول بطنجة لعدة سنوات- .مدرس العلوم الشرعية في زاوية والده، وفي معهد الجامع الأعظم، وفي الجامع الجديد، ومسجد بنجلون، وفي بيته. وتتلمذ عليه جماعة من رجال العلم والمعرفة في المنطقة، ولقد لقيت دروسه القبول والاستحسان، ومازال تلامذته حتى يومنا هذا يثنون على دروسه ويشيدون بطريقته في التلقين التي تميزت بالتحقيق والتدقيق- .مفتي بالتلفزة المركزية في البرنامج المشهور "ركن المفتي" لعدة سنوات .

الوعظ والإرشاد : -خطبة الجمعة: مارس مهمة الخطابة لعدة سنوات من (١٩٥٥م إلى ١٩٨٩م) مع توقف طفيف - .الدروس الوعظية: ألقى دروسا وعظية في السيرة النبوية لعدة سنوات بزاوية والده، وفي مساجد مختلفة كالمسجد الأعظم، والمسجد الجديد بطنجة،

وختم بالمسجد الأعظم الهمزية ثم البردة، ولأول مرة تختم الهمزية بتمامها في حفل بهيج حضرها المنشدون والطلبة وعامة الناس، وكان ذلك بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .كما أنه كان يتفرغ في شهر رمضان للوعظ والإرشاد، فيلقي دروسا في التفسير والحديث في الجامع الأعظم والجامع الجديد يوميا ولعدة سنوات .

رحلة الشيخ إلى بلجيكا ومقامه بها: في سنة ١٤٠٧ هـ، توجه إلى بلجيكا في رحلة للدعوة والإرشاد، بطلب من المغاربة المقيمين بها، وبإلحاح من مدير المركز الأستاذ "عبد الله الأهدل "رحمه الله، فاشتغل أستاذا في الفقه وأصوله والسيرة النبوية بالمعهد الإسلامي بالمركز، وخطب لفترات بمسجد المركز، وفي مساجد أخرى، إضافة إلى إلقاء محاضرات ودروس وعظية تربوية ألقاها في بلجيكا وهولندا .

وكانت مهمته الأولى في هذا المركز هي الفتوى، حيث كانت تخصص أياما للإفتاء، غالبا ما تكون أيام السبت والأحد والأربعاء .يترأس اللجنة التنفيذية للمسلمين ببلجيكا التي تتولى مهام - :الدعوة إلى الله،

-الإجابة عن الفتاوى كتابة،

-إلقاء الدروس في المناسبات،

-الإشراف على الإعلان بثبوت الأهلة .

رجع إلى الوطن بعدما عين رئيسا للمجلس العلمي بطنجة، وعين بقرار ملكى نقيبا للشرفاء الصديقين وبني عبد المومن، وبمزاولة الإشراف على الزاوية الصديقية.

ظاهريته: قال ابن تميم: وسأضيف أيضاً قول كل من: عبد الحي الغماري، والحسن الغماري، فقد تحقق عندي أنهما من الظاهرية.

وفاتة: توفى يوم الأحد ٢٣ جمادى الثانية ١٤٣١ هـ نبأ وفاة شيخنا العلامة الكبير بقية آل الغماري السيد الحسن بن الصديق الغماري على إثر غيبوبة في المستشفى استمرت عدة أيام .

٦٤-الشيخ القاضي الفقيه المحدث التقي بن محمد عبد الله الشنقيطي (ت ١٤٣٢هـ) سبق ذكره فى القضاة.

٦٥- ابن عقيل الظاهرى متعه الله بالصحة والعافية، سبق ذكره فى الفقهاء .

٦٦- العلامة محمد بوخبزة متعه الله بالصحة والعافية: كتب ترجمته لنفسه فقال: محمد بن الأمين بن عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الحاج أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن سعيد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن سعيد بن يحيى بن محمد بن الولي الصالح أبي الحسن علي بن الحسن الحسني الإدريسي العمراني المكنى (بوخبزة) دفين مجشر (أَغْبالو) -بقبيلة بني عروس- داخل ما يسمى -زُوراً- بالحَرَمِ العَلَمِي التي عين حدودَه ابن زاكور الفاسي في كتابه "الإستشفاء من الألم، بذكرى صاحب العَلَم"، والعلم اسم جبل يوجد به ضريح الصوفي الشهير عبد السلام بن مَشِيش، وينتهي نسبي إلى عبد الله بن إدريس مرورا بعمران (وإليه النسبة "العمراني") بن خالد بن صفوان بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومن العلماء من ينسبنا (عَلَمِيِّين) حسب اصطلاح نسّابةِ المغرب، وهذا غير صحيح إلا من حيث الأم، وممن ذهب إلى هذا -وهو خطأ- شيخي أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق فقال في مساجلة منظومة:

أَطَلْتَ فيها أدام الله مجدكمُ * أنت فخر الهداة من بني العَلَمِ

وأصل سلفي من هناك، وكان منهم من يتردد على تطوان لقرب المسافة، وهكذا سكنها والدُ جدي الفقيه السيد أحمد الذي كان معدَّلاً وأستاذا مقرئا، وأخوه الفقيه النحوي السيد علي الذي أخذ عنه العلم كثير من علماء تطوان منهم الفقيه العلامة القاضي السيد محمد بن علي عَزِّيمان وقد ترجم له أبو العباس أحمد الرَّهوني في تاريخه الحافل: "عمدة الرَّاوين في تاريخ تطَّاوين."

ولدت بتطوان بمنزلنا بدرب الجُعَيْدي (نسبة لساكنه الصوفي الشهير أبي الحسن بن علي بن مسعود الجعيدي أحد كبار أصحاب أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري دفين تطوان قبالة الدرب المذكور) بحي العيون، في زوال يوم السبت ٢٦ ربيع الأول ١٣٥١هـ (واحد وخمسين وثلاثمائة وألف) موافق ٢٠ يوليوز سنة ١٩٣٢م من تاريخ النصارى، كما وجدت بخط والدي رحمه الله في كناشته (وما في أوراقي الرسمية من تقديم ذلك بسنة

فخطأ غير مقصود)، وأنا رابع إخوة لي أشقاء: عبد الله (توفي صغيرا)، وعائشة، ومصطفى، ومحمد، وعبد الله، وبعد خمس سنوات خُتِنْتُ، خَتَنَنِي المعلِّم محمد الحَسْكي التطواني في الدكانة الذي كانت داخل الباب الغربي لجامع العيون من تطوان، وفي السنة التالية أُدْخِلْتُ الكُتَّاب(الْمسِيدْ) فتلقيتُ مبادئ القراءة والكتابة والحساب والدين وبعضَ قصار المفصّل على الفقه المجوِّد السيد الحاج أحمد بن الفقيه المقرئ المعدَّل الأستاذ السيد عبد السلام الدُّهْرِي (كان هذا السيد يختار للإمامة بالحجاج في البواخر التي كانت ترسلها إسبانيا في أول حكم (فرَانْكُو) للحج دعايةً وسياسة، فإذا ذهب أَنَابَ عنه الفقيه الشريف الأشيب السيد عبدالله شقور (الذي ما زال على قيد الحياة إلى الآن عام ١٤٠٦هـ، وقد تجاوز المائة، ثم توفي رحمه الله عام ١٤١٢هـ)، وبعد وفاة الفقيه الدُّهري واصلت على الفقيه الخَيِّر السيد محمد بن الراضي الحسّاني، وبعده على الفقيه البركة الزاهد السيد محمد بن عمر بن تَاوَيْت الودراسي والد الفقيه القاضي السيد أحمد وشقيقه الكاتب والأديب النابغة المؤلف السيد محمد رحمهما اللهّ، وعليه أتممتُ حفظ القرآن وسَرَدْتُه كلَّه أمامه على العادة الجارية، وبعد وفاته استمررت في القراءة على خَلَفه الأستاذ السيد محمد زيان، ولم أمكث معه إلا قليلا حيث أتممتُ حفظ بعض المتون العلمية كالآجرومية، والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، والخلاصة وهي ألفية ابن مالك، وبعض مختصر خليل في الفقه المالكي، ثم التحقت بالمعهد الديني بالجامع الكبير ومكثتُ فيه نحوَ عامين تلقيتُ خلالها دروساً نظامية مختلفة على ضَعف المستوى العام في التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو البلاغة، على مدرسيه المشهورين الأساتذة: محمد بن عبد الصمد التُّجكاني، ومحمد بن عبد الكريم أَقَلعي الشهير بالفحصي (القاضي في ما بعد رحمه الله)، ومحمد بن عبد الله القاسمي (خليفة القاضي)، والعربي بن علي اللُّوهْ (الوزير في الحكومة الخليفية)، وقد ألف عدة كتب طُبع بعضها في الأصول والمنطق العقائد وتاريخ المقاومة في شمال المغرب، ومحمد بن حمو البقالي الأحمدي، والشيخ محمد المصمودي، والتهامي المؤذن الغرباوي، ومحمد الزكي الحراق السَّرِيفي، وأحمد القْصِيبي الأَنجري، وعمر الجَيّدي الغُماري وغيرهم (وقد توفي هؤلاء إلى رحمة الله في مُدد متفاوتة)، وكنت قبل التحاقي بالمعهد أخذتُّ عن والدي رحمه

الله النحو بالآجومية والألفية إلى باب الترخيم حيث توفي، وكانت طريقتُه في التدريس من أنفع الطرق للمبتدئ، حيث كان يأخذني بحفظ المتن فقط، ثم يشرحه لي، ويلقنني الأمثلةَ والشواهد ويأخذني بحفظها ويبين لي محل الشاهد، ويمتحنني كل أسبوع، كما أخذتُّ دروسا في الفقه المالكي بالمرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر، على الفقيه القاضي (بعد الاستقلال) السيد عبد السلام بن أحمد علال البَختي الوذْراسي، ودروسا أخرى في النحو على الأستاذ السيد المختار الناصر الذي كان مدرسا للبنات بالمدرسة الخيرية بتطوان، وكنا نقرأ عليه لأول عهدنا بالطلب بالزاوية الفاسية بالطَّرَنْكَات، وكان يطيل الدرس إلى أن ينام أغلب الطلبة رحمه الله، وعلى الأديب الكاتب الشاعر الناثر الفقيه المعدَّل السيد محمد بن أحمد علال البَختي المدعو ابن علال، وقبل هذا وبعده حضرتُ دروسا في الحديث والسيرة على الفقيه المؤرخ وزيد العدلية السيد الحاج أحمد بن محمد الرَّهوني، وكان هذا في الغالب في رمضان قبل أن ينتقل بسكناه إلى جِنانِهِ بِبُوجَرَّاح، وكان يسرُد له السيد محمد بن عزوز الذي تولى القضاء بإحدى قبائل غُمارة وبِها توفي، وكان يسرُد له أحيانا صحيح البخاري السيد عبد السلام أَجْزُول لجمال صوته، وعلى الفقيه المدرس النفّاعة السيد الحاج محمد بن محمد الفَرْطاخ اليَدْرِي، كما نفعني الله تعالى جدا بدروس الدكتور محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني السجلماسي الذي قدم تطوان حوالي ١٣٦٥ هـ في أعقاب الحرب العالمية الثانية، من أوربا وأقام بين ظهرانينا نحوَ ست سنوات تلقيتُ عليه خلالها دروسا في التفسير والحديث والأدب، وكان يلقي هذه الدروس بالجامع الكبير، وكان يسرد عليه محمد ابن فريحة، ويدرس بالدر المنثور للسيوطي والاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، وأحدث بتطوان نهضة أدبية، وشغل الناس بآرائه وأفكاره، وأثار الفقهاء والصوفية بانتقاداته فلَمَزوه وآذوه فهجاهم أقذع الهجو رحمهم الله، كما انتفعت كثيرا بتوجيهات العلامة الأديب الوزير السيد محمد بن عبد القادر بن موسى المنبهي المراكشي منشأ التطواني دارا ووفاة، فكان يملي علي قصائده وأشعاره، ويذاكرني بلطائف المعاني وطرائف الآداب، وقد جمعت ديوانه في مجلد لطيف (توجد صورة منه بخزانة تطوان)

وفي فاتح رجب ١٣٦٧ هـ توفي والدي رحمه الله ففُتّ في عضدي، وخمدت جذوة

نشاطي، وتأخرت عن كثير من دروسي انشغالا بالعيش وحل المشاكل المخلفة، وسعيا على الوالدة والإخوان، ولم أنقطع قط عن الدراسة والمطالعة واقتناء الكتب ومدارسة إخواني الطلبة الأدبَ والعلمَ، وفي نحو عام ١٣٧٠ هـ زرتُ مدينة فاس ومكثت بها أياما أخذت فيها دروسا على الفقيه الشهير محمد بن العربي العلَوي بالقرويين في أحكام القرآن لابن العربي، وبعد ذلك عرض علي الفقيه القاضي الحاج أحمد بن تاوَيْت رحمه الله العمل معه كاتبا بعد أن عينته وزارة العدل قاضيا ثانيا عند اتساع العمران، وازدحام السكان، فأنشأت محكمة شرعية أخرى بحي العيون غربي الجامع، فقبلت وعملت معه كاتبا، وفي فاتح جمادى الأولى ١٣٧٤ هـ في ٢٧ /١٢/١٩٥٤م أصدرت مجلة" الحديقة" أدبية ثقافية عاشت خمسة أشهر؛ إذ توقفت في رمضان عامه، وكانت مجلة جميلة كنت آمل– لو عاشت– أن تكون مجلة الطلبة الوحيدة في شمال المغرب، حيث كان ينشر فيها نجباء الطلبة وكتابهم وشعراؤهم وقصاصوهم، وكنتُ قبل ذلك أصدرت بالمعهد الديني أول مجلة خطية باسم "أفكار الشباب" كنا نكتب منها نسختين أو ثلاثة يتداول الطلبة قراءتها، وبعد خروجي من المعهد اتصل بي جماعة من الطلبة وعرضوا علي المشاركة في نشاطهم الثقافي، وكان يتولى إدارة المعهد يومئذ أستاذ متعاون مع الإدارة الإسبانية، فأوجس خيفة من نشاطنا، وبث حولنا عيونه، وكنت أصدرت جريدة "البرهان" خطية لانتقاد سياسة الاستعمار الإسباني في التعليم واضطهاد الطلبة، والتضييق عليهم، ولم يصدر منها إلا عدد أول، فكتب مدير المعهد رسائل إلى رئيس الاستعلامات الإسباني (بِلْدا) يُخبره فيها باستفحال نشاط الطلبة السياسي وصدور الجريدة وما يكتُب فيها فلان - يعنيني– وهو غير طالب بالمعهد ومتهم بالوطنية! من مقالات تمس سياسية إسبانيا ... إلخ، فاستدعِيتُ ونالني من السب والشتم والتهديد والأذية ما قرت به عين سيادة المدير للمعهد الديني الإسلامي! وأذنابه، ولما أيِسَ هذا المدير "الأمين التمسماني" من انتقام الإدارة الإسبانية منا كتب إلى الباشا "اليزيد بن صالح الغُماري" بمثل ما كتب به إلى "بِلدا" فسألني الباشا عن التهمة فأجبته بأن رئيس الاستخبارات الإسباني سبقه إلى التحقيق في هذه القضية ولم يجد شيئا، فغضب الباشا واحتدّ، وأمر بنا إلى السجن لولا تدخلُ بعض الناس، ومن عجيب صنع الله أن هذا الباشا اضطُرّ إلى الوقوف بباب مكتبي

بالمحكمة بعد عزله في أول عهد الاستقلال فلم أعامله بالمثل، ثم تنبهت إلى أن مكتبه الذي هددني وهو خلفه هو المكتب الذي خاطبته من ورائه بعد أن احتاج إليّ، ولله في خلقه شؤون ثم انقطعت عن كل نشاط من هذا القبيل وأكببتُ على التدريس والكتابة، ونشرت مقالات كثيرة في عدة صحف ومجلات كمجلة" لسان الدين" التي كان يصدرها الدكتور"الهلالي" بتطوان، وبعد سفره "عبد الله كنّون "ومجلة "النصر" و"النبراس"، وأخيرا جريدة "النور" وغيرها، ونظمت قصائد وأنظاما كثيرة معظمها في الإخوانيات ضاع أكثرها؛ لأني كنت أضمنها رسائل وأجوبة للإخوان ولا أحتفظ بنسخها، ولدي كنانيشُ فيها تقاييد ومختارات ومقطوعات لا يجمعها نظام ولا يضمها باب. وقد أصهرت إلى الأستاذ المحدث الكبير، بل كبير علماء الحديث بالشمال الإفريقي الشيخ "أحمد بن محمد ابن الصّدّيق التجكاني الغُماري الطنجي" وكنت أعرفه من قبل، فأعجبت بسعة اطلاعه ورسوخ قدمه في علوم الحديث، فكاتبته وجالسته واستفدت منه علما جما، وأعطاني من وقته وكتبه ما كان يضِنّ به على الغير، وأجازني إجازة عامة بما تضمنه فهرسه الكبير والصغير، كما أجازني مشافهة كثير من العلماء من أشهرهم الشيخ "عبد الحي الكتاني" عند زيارته لتطوان واعتذر عن الكتابة ووعد بها فحالت دونها مواقفه السياسية، كما أجازني الشيخ "عبد الحفيظ الفاسي الفهري" مشافهة بمصيف مرتيل، والشيخ "الطاهر بن عاشور" بمنزله بتونس عام ١٣٨٢هـ، واعتذر عن الكتابة بالمرض والضعف، وهذا الأخير من شيوخ شيخي ابن الصديق، ولم تكن لي عناية بالإجازات، والشيخ "أحمد بن الصديق" هو الذي أجازني ابتداء دون طلب مني، ولم أكن معه على وفاق في الاعتقاد بالتصوف الفلسفي والصوفية والمبالغة في ذلك، كما لم أكن أرضى تخبطه في السياسة وتورطه في أوحالها، مما شوّه سمعته وسود صحيفته، وأصابني برشاش، كما ندمت بالغ الندم وتُبت إلى الله منه لما طوّح بي إليه الشيخ من التشيع المقيت والرفض المُردي، فتورطت في الحملة على كثير من الصحابة ولعن بعضهم كمعاوية وأبيه وعمرو بن العاص وسمرة وابن الزبير وغيرهم، متأثرا بما كنت أسمعه مرارا وأقرؤه من أحاديث مما عملت أيدي الروافض، كان الشيخ يمليها علينا مبتهجا مصرحا أنها أصح من الصحيح، فكنا نثق به ونطمئن إلى أحكامه، ويحكم على كل ما يخالفها من

الأحاديث بأنها من وضع النواصب، ومن الطريف في هذا الباب: أنه كان يُبغض الشام وأهله ويصفهم بالشؤم على الإسلام وأهله، ويبطل ما ورد في فضله من أحاديث صحيحة، وظل كذلك إلى أن فر من المغرب إلى مصر، ثم زار الشام فأكرمه اهلها، وأقام له صوفيتها المآدب، فكتب إلى أخيه السيد حسن يقول بأنه رجع عن اعتقاده في الشام وأهله، وأن ما ورد في ذلك صحيح، ومما كان له الأثر الكبير في حياتي، ويعد وصلا لما كان انقطع من انتهاجي منهج السلف الصالح بعيدا عن تيارات التصوف الفلسفي والتشيع المنحرف اتصالي بالشيخ المحدث السلفي الحق "محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني الأرناؤوطي ثم الدمشقي" نزيل عمّان البلقاء الآن مهاجرا بدينه مضيقا عليه بعد أن أخرج من دمشق ظلما وعدوا، فقد اجتمعتُ به بالمدينة المنورة في حجتي الأولى عام ١٣٨٢هـ بمنزله وأعطاني بعض رسائله، فاعتبرتها مناولة فاستأذنته في الرواية عنه بها فأنعم، وزارني بتطوان مرتين: قرأت عليه في إحداهما أبوابا من "السنن الكبرى" للنسائي المخطوطة بخزانة الجامع الكبير، واجتمعت به بطنجة، بمنزل الشيخ الزمزمي ابن الصديق، وسمعت من فرائده وفتاواه الكثير، وبعث إلي من رسائله وكتبه المستطابة ما أحيا في قلبي كامن الشوق إلى تتبع هذا المهيع المشرق والعناية بآثاره ومعالمه، والاستمساك بعراه، وما زلت إلى الآن لاهجا بفضله، داعيا إليه.

وقد تزوجتُ باكرا وأنجبت أولادا بكرهم أوّيس، وهو الآن أستاذ بإحدى ثانويات تطوان، ويعد أطروحته لإحراز دكتوراه الدولة في الأدب، وله شعر حسن ومقالات منثورة، نسأل الله تعالى أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة آمين.

وتوجد نماذج من نظمي ونثري عند الإخوان وضمن مذكَّراتي المسمات: "جراب السائح" كما أنني صححت جزءا من تمهيد ابن عبد البر طبع وزارة الأوقاف في المغرب، وأكثر من النصف من كتاب الذخيرة في الفقه المقارن للقرافي المالكي، والأربعين حديثا في الجهاد لعلي بركة الأندلسي، وسراج المهتدين لابن العربي المعافري، وتحت يدي الآن الجزء الثامن والتاسع من النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني، وسيصدر إن شاء الله عن دار الغرب الإسلامي، وكلفتني منظمة" الإيسيسكو" للتربية والثقافة والعلوم بمراجعة: معجم

تفاسير القرآن الكريم الذي صدر عنها مؤخرا والاستدراك عليه، وقد تم المستدرك في حجم أصله، وتم طبعه وسيصدر قريبا بإذن الله، كما طبع لي جزء الأربعين حديثا في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وتم توزيعه بتطوان، كما أخذ بعض الإخوة هنا مجلدا في خطب الجمعة لطبعه، يسر الله ذلك بمنه، وللأخوين الكريمين الدكتور حسن الوراكلي الأستاذ بجامعة أم القرى، وصديقه الأخ الداعية محمد المنتصر الريسوني كلام عني وعن أدبي نشر بمجلة دعوة الحق، كما صدرت لي ترجمة ضمن مادة التعريف بأسرة: "بوخبزة" في "معلمة المغرب" التي تصدر تباعا بالمغرب بإشراف الدكتور محمد حَجي.

هذه ترجمة كتبتها بطلب من الأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية، ليدرجها في موسوعته "أعلام المغرب العربي" التي صدر منها للآن ٦ مجلدات، وأذكر أنني اعتذرت للأستاذ المذكور عن كتابة ترجمة بأنني تلميذ محب للعلم ولست من الأعلام حتى أترجَم ضمنهم، فأجابني أن كثيرا جدا ممن تضمهم معاجم التراجم وكتب الطبقات والتواريخ عوام أو في حكمهم، لا يستحقون أن يكونوا تلامذة بمعنى الكلمة، ومع ذلك فقد أضفيت عليهم الألقاب والأوصاف، وأسدلت عليهم أردية التعظيم والاحترام، فكيف تكِعُّ أنت – يخاطبني– عن التعريف بنفسك، وقد انتفع الناس بك، وأنا أعتمد على إشاراتك وتنبيهاتك كلما زودتَّني بها في كلام من هذا القبيل أملاه عليه تواضعه المشكور، وهو العالم المؤرخ المشهور، فشجعني كلامُه هذا على كتابة ما تقدم، وأرجو أن أكون قد أصبتُ الحقيقة، وأستغفر الله على كل حال، وقديما قيل:

لعمر أبيك ما نسب المعلى * إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقشعرت * وصوح نبتها رعي الهشيم.

وهذا نص كلام الشيخ بوخبزة عن رحلته للمشرق وتسميته لها: السير والسرى، إلى طيبة وأم القرى (ملامح من رحلاتي الحجازية)

بسم الله الرحمن الرحيم :قال الشيخ بعد الحمدلة والصلاة والسلام على النبي المصطفى:

كانت رحلتي الأولى بَرّاً عام ١٣٨٢ هـ ق ١٩٦٢م ضمن وفد من بني بلدي في

سيارة مشتركة، زرنا خلالها الجزائر وتونس وليبيا ومصر، ثم امتطينا طيارة لضيق الوقت إلى جدة، وبعد انتهاء الحج عدنا بحرا إلى الأردن ثم زرنا سورية ولبنان، ومنه بحرا إلى الإسكندرية فبرشلونة فالمغرب.و كانت رحلة طيبة طالت ثلاثة أشهر ونصف لولا ما شابها من ضياع سيارتنا بمصر حيث استولى عليها المصريون بميناء الإسكندرية ظلما وعدوانا بحيلة مفتعلة، وتفصيل ماجريات الرحلة ووصف المنازل والديار والأخلاق والعادات والمشاهد يطول جدا، ويحتاج إلى وقت، والمقصود الآن الإشارة إلى ما تم لنا من لقاء بعض أهل العلم، وما استفدناه من هذا اللقاء، وزيارة بعض مشاهد مشاهير أهل العلم للاتعاظ والاستذكار.

فأول ذلك بعد خروجنا من المغرب زيارة مدينة تلمسان الجميلة الوادعة، وقد صلينا بها صلاة الجمعة بالجامع الكبير الذي هو أثر من آثار المغاربة بصحنه ونافورته وصومعته المربعة المزخرفة بالزليج المغربي، ومن كتابة منقوشة على الجدار القبلي من المسجد علمت أن بمقصورته خزانة كتب وضريح أحد ملوك تلمسان المشهورين من بني زيان؛ أظنه: يغمراسن، لم يتح لي الوقوف على الكتب ولا القبر، وكان خطيب الجمعة الشيخ العربي الحصار (و للتاريخ فإن أولاد الحصار هؤلاء هجر منهم إلى المغرب فكان منهم بتطوان إلى عهد قريب وانقرضوا[1]، ومازال منهم إلى الآن بسلا)، وكان الرجل يخطب ويُطَعِّم كلامه باللهجة الدارجة للإفهام، وربما عبر خلالها باللغة الفرنسية لزيادة البيان؛ أننا لاحظنا أول ما لاحظنا أن الجزائريين حتى المتعلمين منهم يخللون كلامهم بالفرنسية، وهذا من أثر الاستعمار الفرنسي الذي طال واستطال قرابة قرن ونصف، ولولا ما من الله به عليهم من قيام جمعية العلماء المسلمين بهمة وعناية العالمين الشيخين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي الذين إليهما بعد الله تعالى يرجع الفضل في بقاء القرآن واللغة العربية بينهم ولا سيما في بعض المدن والمراكز التي كان نشاط العلماء جديا بها رغم اضطهاد الفرنسيين لهم ومحاربة التعليم الإسلامي واللغة العربية، إضافة إلى الصوفية وزواياهم الجادة في تخدير أعصاب الشعب وأمره بالاستسلام للحكام وعدم مناهضة سياستهم، ثم صعدنا جبل العباد مارين

(١) انظر عمدة الراوين ١٢٦/٣.

بمقبرة به ضريح الشيخ محمد بن يوسف السنوسي صاحب العقائد، وبمصلى الجبل –و هو عامر بالمباني والسكان– تقع مدرسة أبي عنان المريني ومسجده الذي بناه قرب ضريح أبي مدين الأندلسي رحمه الله، وقد دخلنا المسجد وهو مغربي في هندسته وصومعته التي تضارع صوامع فاس.

وقد زرنا بالجزائر مدنا كثيرة منها: ابن العباس، وتلمسان، وقسنطينة والجزائر العاصمة، وسطيف، وعنابة، وغيرها. ومكثنا أياما جميلة بالعاصمة، زرت خلالها ضريح الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الفقيه المشهور صاحب التآليف العديدة كتفسيره "الجواهر الحسان"، و"العلوم الفاخرة"، وغيرها، وكضريح مولاي محمد، وقد لاحظت من مظاهر التغريب الغريبة اللافتة للنظر: كتابة الرخامات على القبور بالفرنسية مع صورة المقبور بشكل كتاب مفتوح، وكان نزولنا بفندق قريب من جامع كتشاوة القريب من ساحة الشهداء حيث الجامع الحنفي الشهير الذي تحمل صومعته المغربية ساعة كبرى وسطه، وهو مبني على الطراز التركي، وقريبا منه يقوم الجامع الكبير الذي هو من بناء المرابطين، وما زال شكله وهندسته وصومعته المربعة القصيرة، أما جامع كتشاوة فقد كان من المساجد التي حولها الفرنسيون إلى كنائس، فلما نصر الله الجزائريين عليهم وأجلوهم عن الوطن أعادوا هذه المساجد إلى وضعها الإسلامي، وأزالوا الصلبان من أبوابها وقبابها وأبراجها، وكانت أول جمعة أقيمت بعد إعلان الاستقلال بهذا المسجد الفخم، وخطب به فيها الشيخ البشير الإبراهيمي خطبة نارية بأسلوبه العجيب ولهجته الصادقة. وما زالت نبراته ترن في آذاننا وقد أذيعت يومها بالراديو. ولذلك كان من أهم مقاصد الرحلة الاتصال بمثل هذا الشيخ والأخذ عنه. فسألت عنه كثيرا، ومن عجب أنني لم أجد من يعرفه –و هو أشهر عالم جزائري عم صيته المغرب والمشرق قديما وحديثا، ومواقفه في مناهضة الاستعمار ما زالت ماثلة في آثاره خصوصا جريدة "البصائر" التي كانت تعتبر بالمغرب والجزائر وتونس بمثابة قنبلة قوية المفعول يحاكم ويعاقب من ضبطت عنده، فكان الناس يتواصون بقراءتها، ويبذلون ما شاء الله للحصول عليها خصوصا بعد ظهور طلائع الأزمة السياسية بالمغرب التي انتهت بنفي الملك محمد الخامس وخلفه، فكان الشيخ البشير رحمه الله يتصدى لكشف المخطط

الفرنسي وفضح سياسة فرنسا وعملائها كعبد الحي الكتاني والتهامي الكلاوي، وكان نصيب الكتاني من حملاته كبيرا نظرا إلى مركزه العلمي وشهرته بالمشيخة[1]، ومعرفة الشيخ البشير به– قلت: وظللت أسأل عنه غير يائس إلى أن لمحت شابا وسيما يتأبط كتبا وجرائد فتوسمت فيه المعرفة وسلمت عليه وسألته عن أحوال البلد وما جرت به العادة، ثم سألته عن الشيخ، فأخبرني أنه يعرفه وأن سكناه بحي حيدرة، وهو بعيد وأشار عليّ أن أركب الحافلة رقم كذا، وبعد الوصول إلى الحي وهو كبير واسع اسأل الشرطة، فشكرته وامتطيت الحافلة إلى الحي وقصدت الشرطة فلم أجد عندهم خبرا عنه، ولما رأوا حيرتي وتعجبي أمرني أحدهم أن أتصل بمحطة البنزين قائلا: إن جميع أهل الحي يمرون بسياراتهم عليها وأصحابها يعرفونهم، فقصدتها وسألتهم فأفادوني أن رجلا أشيب أعرج يمر أحيانا قليلة عليهم، وأنه يسكن بمفترق الطرق القريب، وأشاروا إليه، فذهبت ووجدت دكانا للمأكولات ثمة فسألت صاحبه، فأشار إلى فيلا صغيرة فقصدتها وطرقت بابها مرارا إلى أن عزمت على الانصراف آيسا، فإذا بالشيخ يطل ملتفتا خارج الباب فتقدمت وسلمت، فسأل عني فتعرفت إليه فرحب، واستدعاني للدخول خلفه، ولأول مرة رأيت الشيخ عيانا وعلامة الهرم والإعياء بادية عليه، وعاهة العرج كبيرة، فجلسنا في حجرة متواضعة لا أثاث فيها ولا فراش إلا بساطا متواضعا ومنضدة صغيرة جدا عليها جرائد ومجلات وعصا الشيخ، وبعد حديث قصير اعتذر الشيخ عن خلو البيت قائلا بأن أثاثه وكتبه وأهله ما زالوا بالقاهرة، وأن الإخوان (يقصد الحكام من جبهة التحرير: ابن بلة ورفاقه) لم يخصصوا له مكانا مناسبا واسعا يسعه، وتحدث بمرارة عن جفوتهم له، وأنهم لم يمنحوه إذنا بزيارة المغرب للاتصال بإخوانه من معارفه من زعماء المغرب وعلمائه، وسمى لي عددا منهم ما زلت أذكر: ابن العربي العلوي وكنون وداود وعلالا الفاسي وغيرهم، قال: وما زال يطالبهم ويلح عليهم وهم يسوفون، كما تحدث الشيخ عن بعض ذكرياته بالشرق كالحرمين ودمشق والعراق ومصر، وعن نشاطه الصحفي والتعليمي، وكنت أحب أن أدون ذلك لو كان الظرف يسمح، ولم يكن متيسرا إذ ذاك اقتناء آلة

(١) وله كتاب في الرد عليه سماه: نشر الطي من أعمال عبد الحي. ذكره عبد السلام بن سودة في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى ١٥٧.

تسجيل، وأخيرا طلب مني الشيخ أن لا أنساه من دعاء صالح من مظان الإجابة بالحرمين، وأن أزوره في العودة ليأنس بي رحمه الله وجزاه خيرا، ولم يكتب لي أن أزوره لأنني عدت إلى وطني عن طريق إسبانيا، وكنت سألت الشيخ عمن أزوره بتونس فسمى لي شيخا كتبيا بالقرب من جامع الزيتونة؛ لعل اسمه: صالح الثميني، وقد زرته وجلست معه، وهو من علماء الإباضية، ثم ودعت الشيخ البشير وخرجت ناسيا نظارتي الشمسية بمنزله ولم أعد إليها رغم اعتيادي لُبسها، واشتريت أخرى، وذلك لبعد الحي وإعجال السفر، ولم أكن عرفت السبب في إضراب الشيخ البشير عن ذكر علماء تونس كابن عاشور وابنه والشاذلي النيفر وحسن حسني عبد الوهاب، حتى اقتنيت مجموعة آثاره المختارة فقرأت ردوده على الشيخ الطاهر ابن عاشور، ومن سار على نهجه في موقفهم من محنة التجنيس الذي فرضه الفرنسيون على التونسيين فكان مثار أخذ ورد وسبب امتحان عسير لكثير من العلماء والكتاب، وكان موقف الشيخ الطاهر غير مشرف، وهو شيخ الإسلام وكبير علماء الزيتونة، رحمه الله وسامحه، وحاولت الاتصال بالسيد توفيق المدني صاحب "تاريخ الجزائر" فلم أفلح كما سألت عن الشاعر محمد العيد، فقيل بأنه يسكن ببلدة تبعد عن العاصمة بألف كيلومتر، وفي مرورنا بمدينة سطيف دخلت مسجدا على الطريق فوجدت بها حلقة كبيرة ووسطها رجل ملتح كبير فأردت الجلوس بها فنظروني شزرا فخرجت وعلمت بعد ذلك أنهم إباضية؛ أي من بقايا الخوارج ويسمونهم هناك الخوامس؛ أي: أصحاب المذهب الخامس.

وبعد أيام ودعنا الجزائر ودخلنا التراب التونسي، ووصلنا العاصمة ليلا ونزلنا بحي شعبي، وفي الصباح خرجت وسألت عن ضريح كبير ذي قباب ومسجد قريب من الفندق تظهر عليه علامة القدم، فلم أجد من يعرفني كما ينبغي حتى اتصلت بالشيخ الفاضل ابن عاشور رحمه الله فأخبرني بأن الضريح هو لسيدي مُحرز الذي سأل عبد الله بن أبي زيد القيرواني أن يؤلف له رسالته المشهورة في الفقه المالكي لأنه كان مدررا يقرئ الصبيان، فألف له الشيخ الرسالة ليحفظها النساء والصبيان، أما المسجد فيعرف بمسجد (سبحان الله)، قال: وهو من المساجد العتيقة بتونس مر على بنائه نحو ألف سنة، وقضينا بتونس أياما طيبة زرنا فيها عددا من الأحياء وقصور الباي (سلطان تونس) التي حول أحدهما إلى متحف كبير، وصعدنا إلى

تل مشرف على المدينة مكسو بالأشجار الوارفة الظلال وعلى قمة التل بناء غاية في الإتقان والجمال، قيل لنا بأنه منتزه البايات، كما زرنا جامع الزيتونة وصلينا به جمعة وشاهدنا من تقاليدهم المبتدعة في ذلك ما قضينا منه العجب، ومن كيفية خروج الإمام وكان وقتها من الأشراف الذين يتوارثون الخطابة بها)سماه الشيخ الفاضل ونسيت لطول العهد) فخرج من المقصورة نحو أربعة أفراد لابسين ثوبا خاصا مزخرفا يمشون الهوينا وخلفهم الخطيب الذي صعد المنبر بحركات متزنة، وصعد أحدهم معه إلى منتصف درج المنبر وجلس إلى النهاية، وهؤلاء هم الذين يؤذنون ويقيمون الصلاة بصوت واحد بشكل مستغرب منغوم كأنهم يؤدون أغنية، وأخبرني الشيخ الفاضل أن ذلك تقليد من أيام الأتراك وعليه أحباس لا يستطيعون الخروج منه، وزرنا بعد ذلك جامع القصبة حيث القصور السلطانية ودواوين الحكام، وبالقرب منها يرقد علي بن زياد أحد تلامذة الإمام مالك ورواة موطئه، وهو أول من أدخلها إلى إفريقية، ومن ذلك زيارتنا لجامع (مولى الطايع) وهو أمير تركي، وجامعه في غاية الفخامة والجمال وقبره متصل به، وبالقرب منه مدرسة الطلاب، وأذكر أنني وجدت بالجامع حلقا لتلاوة القرآن والتدريب على أدائها ولفت نظري أنهم يقرأون في نفس واحد متصل دون وقف، فوقفنا نستمع مستغربين أنا والفقيه الحاج أحمد ابن تاويت، وأردنا أن ننبههم إلى الخطأ في ذلك فلم يفرغوا من القراءة، وكنا أثرنا هذه المسألة مع الشيخ الفاضل فاعترف بعدم لياقتها إلا أنه اعتذر بحاجة التعليم في التلقين كذلك كما نفعل نحن مع الأطفال فيما نسميه)بالتهجي) في الكتاتيب إلا أن هذا عندنا قاصر على الأطفال أما عندهم فعام، وعند زيارتنا للمدرسة الصادقية للسؤال عن الشيخ ابن عاشور لم نجده ووجدنا أحد كتابه الذي أخبرنا بأنه في رخصة، وأنه لن يحضر إلا بعد أيام، وأبدينا له رغبتنا في زيارته فكلمه بالهاتف فرحب بنا، ونزلنا إليه بسيارتنا مسترشدين بوصف الكاتب إلى أن وصلنا إلى قصره الفخم بحي المرسى مارين بحلق الوادي، فاستقبلنا الشيخ الفاضل ببشاشته المعهودة وأدبه الجم ودخلنا إلى صالون كبير مزدان بستور وثريات ولوحات فنية، ووجدنا به صحافيا مصريا وبعض الأساتذة وبعد التعارف تحدثنا مع الشيخ الفاضل حديثا أنسانا الأهل والأولاد لحلاوة المنطق ودماثة الأخلاق والإلقاء بشكل سليم سريع لا يستطيع الكاتب المتروي أحسن منه، وبعد

هنيهة خرج وعاد مصحوبا بوالده الشيخ الطاهر فشاهدنا شيخا وقورا عليه مهابة العلم والسن تتلى في وجهه آيات الفضل والجد، وقد تبادلنا معه أحاديث كان منها حديث مطول عن مدونة الأحوال الشخصية وما تم فيها من تغيير واختيار مسائل خارجة عن مذهب مالك، وكان منها مسألة الطلاق المجموع في كلمة واحدة، وكيف اعتبر طلقة واحدة بائنة، فأشار الشيخ إلى اجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعلوم في المسألة وأنه أمضاه على الناس لينزجروا، قال الشيخ (و ما زلت أذكر صوته وقد جهر به): ومع ذلك لم ينزجروا. وكنت رأيت بالمكاتب بعض أجزاء مطبوعة بتونس من تفسير الشيخ فهممت بشرائها إلا أني لم أفعل، ولقد ندمت الساعة على ذلك؛ لأنني كنت أستطيع أن أقدمها للشيخ ليناولنيها فأستأذنه في الرواية عنه مناولة، ولكني قلت وقد فاتتني هذه المنقبة: ألا أستأذن الشيخ في الرواية العامة، وإن كان من الصعب أن أكلف الشيخ الكتابة وحالته لا تسمح بها كما أن ظروف الزيارة وحضور الناس يحول دون ذلك، وعند وداعه سلمت عليه وسألته فأنعم وفرحت بذلك لأني بالرواية عنه مشافهة شاركت بعض شيوخي الآخذين عنه كالشيخ أحمد ابن الصديق، وعندما ودعت الشيخ الفاضل بمدخل القصر سألنا عن منزلنا فأخبرناه ولم نعرف مقصوده. وبعد وصولنا إلى الفندق بمديدة حضر الشيخ الفاضل بسيارته الفخمة فعلمنا سبب سؤاله ولقيناه وصعد معنا إلى الغرفة المتواضعة في فندق شعبي غير لائق وصنعنا له شايا مغربيا وحمل إلينا الشيخ تمورا طيبة وحلويات قدمها إلينا معتذرا عن التقصير راغبا ملحا أن يكون مرورنا في العودة علينا أحسن ليتمكن من الإكرام اللازم، يقول هذا بأسلوب تتخلله لطائف التعبير ويضمخه طيب الشمائل والأخلاق رحمه الله وأكرمه، وفي مثل هذا الرجل يحسن إنشاد قول أبي العلاء:

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمال الكتب والسير وفي أثناء الحديث أشار علي الشيخ بزيارة السيد الصاحب)أبي زمعة البلوي رضي الله عنه) بالقيروان، وابن غانم وسحنون وابن أبي زيد والقابسي وأبي عمران الفاسي، وفعلا عند وصولنا إلى القيروان زرنا هذه المشاهد كلها بعد مسجد عقبة بن نافع الذي هو أعظم وأقدم الآثار الإسلامية بشمال أفريقية، وقد طفنا بأبهاء المسجد وبلاطاته الناطقة بجلال القدم والتقوى

وصعدت المنبر الذي هو من آثار بني الأغلب فيما يقال، ونزلنا إلى قبر سحنون وهو في سبخة ووجدنا به ناسا يعملون على مرمات لنسيج البز الذي اشتهرت به القيروان وعلى دربوز القبر ورقة كتب عليها هذا قبر فلان المتوفى سنة كذا، ووقفنا على فِسْقِيّة بني الأغلب، وهي كبيرة مستديرة لتجميع مياه المطر، وشاهدنا بقية تافهة من آثار مدينة رمادة المشهورة، ثم عدنا إلى العاصمة، وصعدنا إلى زاوية للشاذلية بمقبرة الزلاج وهي أقدم مقبرة بها، ورأيت حرص الشيخ أحمد ابن تاويت على الوقوف على قبر الفقيه ابن عرفة وابن عبد السلام التونسي والأُبي وقد دلّه عليهم مرشدنا المتطوع ويسمّى: خُميّس والْباني، ووصلنا الزاوية وهي بأعلى المقبرة ودخلنا وهي متينة البناء ووجدنا بها آثار احتفال من بسط كثيرة وأثاث وأواني طبخ كبيرة وأفادنا المرشد بأن الصوفية يحيون بها ليالي المواسم وكان أحدها قريبا، وهذه الزاوية مبنية على مغارة تحت الأرض ضيقة جدا لا تسع أكثر من شخصين، قيل بأنها متعبد الشيخ أبي الحسن الشاذلي الشيخ الغماري المغربي الشهير النسبة إلى قرية (شاذلة) بتونس، وهو مغربي صميم وإنما أقام طويلا بالقرية المسماة، وما زلت أذكر أن بالمغارة صورة محراب منقور بالصخر، وقد حضر الفقيه ابن تاويت خشوع كبير وجلس ودعا وتأسف كثيرا لعدم وضوئه فكان يصلي ثمة ركعات، وعجبت لصنيعه هذا مع اشتهاره بالسلفية.

وفي رحلة لاحقة لتونس زرت من أعلامها الشيخ الشاذلي النيفر رحمه الله (توفي مؤخرا عام ١٤١٨) بمكتبته بالعاصمة، وهي مكتبة ضخمة فتحها لعموم الباحثين بحفل رسمي، وتضم كتبا قيمة ومخطوطات نادرة، وهي ومكتبة الشيخ الطاهر ابن عاشور يمثلان أنفس وأكبر المكاتب الخاصة بتونس، وتليهما مكتبة حسن حسني عبد الوهاب وقد نقلت إلى المكتبة الوطنية بوصية منه، وعلى ذكر هذا الرجل فإنني كنت حريصا على زيارته وسألت عن منزله فعرفته واستأذنت عليه، فاعتذر لي شاب –لعله من تلاميذه– عنه بأنه مريض لا يستطيع مقابلة أحد، وأذكر أن مما دار بيني وبين الشيخ الشاذلي من حديث حرصه البالغ على اقتناء تاريخ تطوان لمحمد داود الذي طبع منه حتى الآن ثماني مجلدات وهو النصف من الأصل، وكان الشيخ وقف على بعضه، وأعجبه، وحدثته عن كتاب شيخنا وشيخ الأستاذ داود (عمدة الراوين في تاريخ تطاوين) في عشرة أجزاء في خمسة مجلدات للشيخ أحمد بن محمد

الرهوني التطواني، فكان يتعجب من حديثي ولسان حاله ينشد [1]

كَيفَ الوصولُ إِلى سُعاد وَدونَها قُلَلُ الجِبالِ وَدونَهُنَّ حُتوفُ وتواعدنا أن يكاتبني في هذا الشأن لتدبير شأن الإرسال والتصوير، ولكنه لم يفعل، ولعله كان يحب لقائي بالمغرب لإنجاز العمل، ولكن لم تتح له هذه الزيارة إلى أن توفي رحمه الله. وما رأيت من يحاكيه في إيثار الحديث عن الكتب والمخطوطات إلا القليل كشيخينا عبد الحي الكتاني وأحمد ابن الصديق إلا أنه يفارقهم بضنانته بأعلاقه ونوادره فلا يسمح بتصوير ولا إعارة بينما الأولان سخيان بما عندهما، ولله في خلقه شؤون، وكان مما يصب في هذا الاتجاه من حديث الشيخ أنه أخبرني عن والده وغيره من علماء الزيتونة كيف كانوا يتتبعون حركة النشر للكتب بالمطابع الحجرية بفاس ويحرصون على شرائها واقتنائها ويوصون بها وكيف كان الطلبة يتهافتون على آثار الشيخ المهدي الوزاني من شروحه وحواشيه ونوازله الفقهية الكبرى والصغرى مع كتب النوازل والفتاوى الكثيرة التي أخرجتها المطابع الحجرية بفاس.

ومن العلماء والمدرسين الذين لقيتهم وأنست بهم الشيخ عز الدين سلام، وهو خطيب ومدرس بأحد مساجد العاصمة ومتميز بإتقانه علم الحساب والفرائض عرفني به تلميذه الأثير الشاب الصالح العالم المقرئ المتقن الأستاذ فتحي العبيدي أحد أساتذة جامعة الزيتونة في علوم القرآت، الذي عرفته هو الآخر بواسطة شيخه أخينا الفاضل الباحث المعتني الدكتور محمد أبو الأجفان التميمي القيرواني خريج جامع الزيتونة والأستاذ بكلية الشريعة فيها، والذي يعمل حاليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وكان هذا الرجل الفاضل زارني منذ أكثر من عشرين سنة بالمكتبة العامة بتطوان وأهداني من تحقيقاته فهرست المجاري وفهرست القلصادي، ثم توطدت الصلة بيننا من يومئذ ولا أبالغ إذا قلت بأن رسائله إلي تناهز المائتين وكلها تدور على العلم والنشر والكتب والمخطوطات بارك الله في جهوده التي أثمرت الآن ما يجاوز الخمسين عملا بين تأليف وتحقيق.

ثم غادرنا تونس العاصمة ومررنا بمدينة صفاقص التي لم نقف بها طويلا وشاهدنا بها مساجد قديمة وأسواقا تونسية أصيلة بدكاكينها وسيما أهلها وملابسهم وشاراتهم، ووقفنا عند

(١) هذا البيت للإمام الشافعي رحمه الله.

ضريح الإمام اللخمي صاحب التبصرة الشهيرة في الفقه المالكي التي هي من مصادر الشيخ خليل بن إسحاق الجندي في مختصره المشهور، وأشار إليه في خطبته وأنه يعتمد اختياراته على تفصيل له في ذلك، ومعلوم أن اختياراته أثارت جدلا طويلا بين متأخري المالكية، ومن اللطائف قول بعضهم في انتقادها من أبيات:

لقد مزّقت قلبي بسهْم [1]جفونها كما مزّق اللخميّ مذهب مالك وكان من أهداف الزيارة الاتصال بالشيخ محمد محفوظ توفي قريبا فلا تسل عن أسفي لفوت هذه الفرصة، وذلك لما امتاز به الشيخ رحمه الله من اطلاع وتحقيق وهو مؤلف "معجم المؤلفين التونسيين"، وكنت اقتنيت منه نسخة وقرأتها وعلقت على هوامشها ملاحظات كنت سأحاوره في شأنها لو شاء الله لقاءنا في الدنيا ونرجو أن يتحقق لقاءنا في دار كرامته بفضله ومنه، كما كنت أود اطلاع الشيخ على وجود نسخة تامة من كتاب "الأربعين البلدانية" للإمام البكري الذي حققه الشيخ تحقيقا علميا وطبعته دار الغرب للناشر التونسي الحبيب اللمسي عن نسخة سقيمة بها

بياضات، وكنت عثرت على نسخة ثانية جيدة تامة من كتب المكتبة الزيدانية التي أضيفت للخزانة الملكية بالرباط.

ثم خرجنا من مدينة صفاقص إلى مدينة قابس التي توصف بأنها جنة الدنيا ودخلناها في يوم عابس ذي ريح عاصف وغبار كثير ومررنا على قبور لجماعة من الصحابة فيما يقال لا أدري أسماءهم، ولم ألق فيها أحدا من أهل العلم، وغادرناها متجهين نحو الحدود الليبية فدخلناها خائفين من اكفهرار الجو وزمجرة الرياح، وشاهدنا عواصف رملية كنا نقف بسيارتنا بعيدين في انتظار مرورها سوداء في شكل عمود ضخم متحرك، وبعد ساعات عصيبة وصلنا إلى مدينة مصراطة واسترحنا، وكنت أعلم أن بهذه المدينة مرقد الشيخ أحمد زروق الفاسي فسألت عنه فعرفت أنه خارج المدينة، فخرجنا إليه فوجدنا مدرسة بها طلاب يحفظون القرآن وآخرون يتعانون حفظه على الطريقة المعهودة عندنا بكتابته في ألواح خشبية اطلعت على

(١) كذا أثبتها الشيخ، و في نفح الطيب: سهام بالجمع.

بعضها، ووقفت على ضريح الشيخ ومعه آخر[1]. ولم أجد ثمة عالما أسأله. ثم مررنا على مدينة نسيت اسمها (و لعله المرجة أو المرج (كان أصابها زلزال دمر كثيرا منها شاهدنا آثار التدمير بها نسأل الله العافية، ثم زرنا مدينة اطرابلس ومعرضها السنوي وكان لا بأس به والبلد حديث عهد بالاستقلال، ولم يكن البترول ظهر بها. ثم زرنا مدينة بنغازي وهي لا تمتاز عن العاصمة إلا بمزيد من الفقر؛ إلا أنني وقفت بها على قبر الشهيد عمر المختار رحمه الله، وعليه بناء حديث فخم وفوق قبره رسمت بطلاء ذهبي قصيدة أحمد شوقي الشاعر المصري في رثائه وهي بديوانه[2]، وبينما أنا أتجول في شوارعها بعد أن تغدينا بسوق الظلام، وهو سوق طويل مسقف بقبو، في مطعم شعبي ما زلت أذكر صاحبه شيخا يسمى: حمادة الطرابلسي أخبرنا أنهم يعانون من كساد قاتل، وصلت إلى مكان أنكرت ما شاهدت فيه من نساء كثيرات جالسات على أبواب بيوتهن وهن متزينات مكتحلات متنمصات محمرات الشفاه والخدود، وبعضهن يدخن السجاير والكيف، ومنهن من كن ينظرن إلي بشوق فأسرعت الخطى إذ علمت أن المكان (بُرْدِيل) للبغاء والبغايا، نسأل الله العافية. و بعد نحو يومين خرجنا فمررنا على عدد من القرى والمدن منها درنة وبها قبور بعض الصحابة كما رأيت مكتوبا عليها كعبد الله الزلام الأنصاري القاضي (كذا) وقيس بن زهير البلوي وغيرهم إلى نحو سبعين قبرا في بيت مستطيل ولم تذكر أسماؤهم إلا هذين، وهذه المدينة تقع في سفح الجبل الأخضر المشهور الذي كان من معاقل الجهاد وحصون عمر المختار وأصحابه الذين ساموا الطليان به وبغيره سوء العذاب، وقد صعدنا الجبل بعد خروجنا من البلدة فإذا هو أخضر دائما لنبات أشجار لا يسقط ورقها، وزرنا بلد الزاوية البيضاء، وبها ضريح الشيخ السنوسي الكبير جد الملك إدريس السنوسي وعليه قبة فخمة وبالمدينة معهد علمي، وقد رأيت أساتذة وطلبة يلبسون الجباب المصرية كالأزهريين، وأذكر أنني رأيت

(١) لعله خادمه أحمد عبد الرحيم الذي بنى الزاوية بعد رحيل الشيخ زروق، ثم استمرت تحت رعاية أهله و أسرته بعده لمدة ١٥٠ سنة. انظر كتاب أحمد زروق و الزروقية للدكتور علي فهمي خشيم. ١٧٢-١٧٣.

(٢) مطلعها: رَكَزوا رُفاتَكَ في الرِمالِ لِواءَ يَستَنهِضُ الوادي صَباحَ مَساءَ وفيها يقول: يا أَيُّها الشَعبُ القَريبُ أَسامِعٌ فَأَصوغُ في عُمَرَ الشَهيدِ رِثاءَ

بمدخل المدينة مسجدا حديثا ذا منارة مصرية طويلة ووسطه قبة كتب على مدخله أنه ضريح رويفع بن ثابت الأنصاري الصحابي رضي الله عنه، وقرب الضريح مقبرة لفت نظري فيها شواهد قبور بها أسماء البقالي بكثرة، فلا أدري هل هؤلاء الموتى من البقاليين المغاربة، ومما مررنا عليه مدينة أجدابية، وهي صغيرة متواضعة ذكرت باسمها أبا إسحاق ابن الأجدابي العالم اللغوي الشهير صاحب كتيب "كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ" الذي قرأته درسا بالجامع الكبير بتطوان لأنه كان مقررا لطلبة القسم الابتدائي، ولكنني لم أعرف بها أحدا، ولا زرت بها عالما ولا ميتا، وكل ما أذكر أنني صليت بها الجمعة بمسجد متواضع وخطب يومها خطيب أعمى لعله مصري، كما مررت بقرية سرت -هكذا بالسين المهملة- وهي قرية كبيرة نوعا، يقال بأن أولاد الشَّرْتِي [1] التطوانيين ينحدرون منها كما سمعت منهم، ووقفت بها على طلل واطئ قيل لنا بأنه أصل منارة مسجد مغربي بني هناك أيام حكم المرابطين أو الموحدين، ثم مررنا على مدينة طبرق، وهي بليدة عالية طيبة الهواء. ومررنا على قرية سواكن وصلينا بمسجدها الذي علمنا بعد أنه لإباضية إلا أننا كنا صلينا وحدنا لطول انتظارنا للجماعة، وقد علمت بعد ذلك أن هذه النحلة الباقية من الخوارج الذين كان المغرب من مراكزهم الأولى توجد هنا بليبيا بهذه القرية وغيرها، وبتونس بجزيرة جربة، وبالجزائر ببني مزاب. هذا بشمال إفريقية ويوجدون بطانزانيا ومعلوم أن لهم الآن دولة وقوة بسلطنة عمان وبلاد الخليج العربي الغنية بالنفط وغيره من المعادن، ولهم الآن صحف ومجلات ودور نشر تطبع من تراثهم الكثير، وهم مبتدعة معتزلة في العقائد يحطون على علي بن أبي طالب وأهل بيته وبعض الصحابة نسأل الله العافية، ثم انحدرنا في طريق جبلي طويل انتهى بنا إلى قرية السلوم التي هي على الحدود بين ليبيا ومصر، وقد تعبنا في النزول لسوء حالة الطرق في ليبيا؛ لأنها ما زالت محفورة من أثر معارك الحرب العالمية الثانية التي دار كثير منها بها. ودخلنا التراب

(١) قال الرهوني في عمدة الراوين ٣/٣١٦: (اسم عائلة قديمة نبيهة أندلسية ذات ثروة و أملاك داخلية و خارجية ... ولعله منسوب إلى "الشَّرْتَة"، وهي في الأصل: النعل البالية، لكون أحد أجدادهم كان يرقعها أو يلبسها أو نحو ذلك. أو أصله: الشرطي، قلبت الطاء تاءً). ثم عقب شيخنا أبو أويس فقال: لعل الصواب في هذه النسبة أنها لبلدة سِرت، بالسين المهملة، بليبيا، و لا زالت موجودة، و بها أثر للموحدين من المغاربة، فحرفت بالشين، الشرتي، و قد سمعت منهم من يؤيد هذه النسبة، و الله أعلم.

المصري مقتربين من البحر الأبيض حتى وصلنا أول بلد به وهو مرسى مطروح، وهو مصيف جميل تغدينا به، ثم واصلنا السير إلى الإسكندرية التي أقمنا بها أياما بفندق جميل مطل على ميدان نُصب بوسطه تمثال من البرونز لسعد زغلول يشير بيده، والإسكندرية بلد غني عن التعريف ويحتاج من يتعرف عليه إلى أيام عديدة؛ إلا أنه ما لا يدرك كله لا يترك قله، من ذلك زيارتنا لقصر التين وهو قصر عجيب، ومنه حمل الملك فاروق بن أحمد فؤاد الأرناؤط آخر ملوك مصر، معزولا منفيا. وقد تجولنا فيه، وفيه مصعد كهربائي لشهود طبقاته، وكان مازال على الحال التي تركها عليه الملك حتى يومية الشهر ما زالت كما هي وخزائن الملابس المختلفة حتى الأحذية والبرانيط والطرابيش والعصي وأنابيب التدخين، كل هذا محفوظ كما تركه صاحبه في خزائن زجاجية في غاية الإتقان والصون والحفظ، واللوحات معلقة بالجدران تكاد تنطق، ومنها لوحة رسمها للملك رسام أوربي رائعة، لاحظ المرشد المصري طول وقوفنا عندها فقال (شَكْلُو حِلْو مِشْ كِدا). وفي تجولي بشوارع الإسكندرية زرت مسجد أبي العباس المرسي وهو شامخ البناء ذو منارات مصرية الشكل، ووجدت الضريح غاصا بالزائرين والزائرات يتمسحون بالتابوت، ويلصقون به بطونهم وظهورهم ووجوههم ويزمزمون في شكل ينافي أدب الإسلام في الزيارة الشرعية، وبالقرب منه ضريح البوصيري صاحب البردة والهمزية، وكلاهما من أصل مغربي، وأذكر أنني رأيت قصيدته الميمية البردة مكتوبة بخط رائع بالصفر بقبته، وهناك بالقرب قبر يقال إنه لأبي الدرداء الصحابي وهذا غير صحيح، والمتسولون والمعتوهون هناك بالعشرات يلحفون بالسؤال وهم في غاية الفقر والخصاصة، والأسواق غاصة والمدينة مزدحمة، وهناك قلعة قايتباي على البحر لم أصل إليها، وبعد أيام غادرناها في طريق جميل تحفه الحقول الخضراء من اليمين والشمال بخلاف طريق الإسماعيلية والسويس، فإنه طريق صحراوي قاحل. ومررنا في ذهابنا للقاهرة على جرجا وسيدي جابر وطنطا ومنارة مسجد البدوي تظهر من بعيد وعلى رأسها مصباح يضيء ليلا ولم نقف بها ومساءً دخلنا القاهرة وقصدنا عنوان الأخ محمد مولاطو التطواني وهو مثوى متواضع قريب من مسجد الكيخيا. وقد قضينا في القاهرة أكثر من ١٥ يوما، وصادف يوم دخولنا القاهرة مرور موكب جنازة كبيرة فوقفت أنظر فسمعت رنة صوت

لنادبة وعرفت وجوها لعدد من الممثلين المصريين، فسألت فأخبرت أن الجنازة لمامون الشناوي الشاعر الذي كان من أبرز مذيعي إذاعة القاهرة وعرف بأشعار له رقيقة لحنت وغني بها، وكان من أهداف الرحلة كما قلت الاتصال بأهل العلم إلا أننا بعد مضي أيام على إقامتنا بالقاهرة علمنا أن المواصلات مقطوعة بين مصر والسعودية في البر والبحر فسقط في يدنا وأخذنا نبحث عن طريقة للسفر إلى جدة لإنجاز ما رحلنا لأجله وهو الحج، فسافرنا إلى السويس فلم نجد باخرة وعلمنا أنه لا يسمح لا بحرا ولا جوا ولا برا بالسفر إلى السعودية، وإذاعة القاهرة جادة في حملاتها على الملك سعود والثورة المصرية في فجر عهدها.

وفي أول جمعة لنا بمصر رأيت جمال عبد الناصر مارا لصلاة الجمعة بالأزهر مع ضيفه رئيس جمهورية الهند داكر حسين، والطرق مزدانة بالأعلام وغاصة بالناس، وصليت الجمعة بالأزهر، وزرت الكثير من مساجد القاهرة كمسجد الحسين، والمؤيد، والحاكم، وعمرو بن العاص، وابن طولون، ومدرسة السلطان حسن، وزاوية الرفاعي قبالته، ومسجد محمد علي بالقلعة وفيه ضريحه، وزرت متاحف القاهرة كالمتحف الفرعوني والفن الإسلامي ومتحف القلعة، ودار الكتب المصرية، وصعدت برج القاهرة، وزرت حديقة الحيوان، والقناطر الخيرية، والحديث المفصل عن هذا كله يطول، كما زرت ضريح الإمام الشافعي والليث والقرافة والمقطم حيث ضريح عمر ابن الفارض، وزرت ضريح شيخي أحمد بن الصديق، وكان قريب العهد بالوفاة بعد هجرته إلى مصر فارا من الاستقلاليين بالمغرب، كما زرت منزل شقيقه عبد الله الذي كان معتقلا بتهمة الجاسوسية، وحكم عليه بالإعدام، ثم خفف إلى المؤبد، ثم سرح من السجن بشفاعة الملك الحسن الثاني لأنور السادات بعد وفاة جمال.

قلت: وفي غمرة هذه الأحداث اشتغلنا بقضية السفر والوقت ضاق فلم نتمكن من زيارة أحد، فقد دللنا على ترجمان من أصل تركي له وكالة أسفار مهمة ليدبر لنا أمر السفر، فاتصلنا به وأخبرنا بأن هناك طائرة ستسافر قريبا إلى الظهران بالسعودية لنقل بعض العمال والخبراء، فحجز لنا فيها وعلم بذلك عدد من الحجاج الجزائريين ففعلوا مثلنا، وتمت قضية السفر جوا، ولله الحمد، وكان لهذا الترجمان ولد وبنت كان يحضر إليهما يوميا يلقنهما دروسا في العربية والدين الشيخ أحمد الشرباصي الخطيب المشهور، فلقيته في مبنى الوكالة،

وسلمت عليه، وسألني عن بعض العلماء المغاربة منهم البشير الابراهمي، كما لقيت بمكتبة محمد علي صبيح الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد الشهير بتحقيقاته وجالسته قليلا فرأيته يدخن بشراهة، وسألني أسئلة تدل على عدم إلمامه بالمغرب وأهله.

ثم سافرنا بعون الله إلى جدة فوصلناها ليلا، ومنها سافرنا في السيارات إلى المدينة المنورة حيث قضينا أياما تشرفنا خلالها بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه، وزيارة حرمه الشريف والصلاة فيه في معظم الأوقات، ثم زيارة البقيع ومسجد قباء، وتجولنا ما شاء الله بأحياء المدينة وخرجنا لمشاهدة أحد وميدان المعركة والوقوف على قبور شهدائها وعلى رأسهم سيدهم حمزة رضي الله عنهم أجمعين. وكان نزولنا بدار قديمة قريبة من الحرم اكترياها من صاحبها الذي ذكر أنه من أولاد بري المغربي الأصل، وكانت تجاهها دار أخرى يملكها مغربي نزل المدينة قديما وجاور بها وتزوج، ووجدناه طريح الفراش طاعنا في السن وله قرابة بالحاج العياشي الصُغَيَّر كما ذكر ابنه الفقيه العدل السيد محمد، وكان جو المدينة حارا لأننا كنا في شهر يونيه فكنا ندخل الدار للأكل وقضاء الحاجة أما النوم فكنا ننام بالمناخة، وهي ساحة كبيرة يرابط بها الحمالون والمكارون بحميرهم، وبها مقاهي تقليدية ومراحض تحت الأرض، فكنا ندخل بعد صلاة العشاء نسمر وننام بعد أن نَصِفَّ الشِّبْرَيات في شكل مربع ولا ندع لها مدخلا فننام، وأذكر أنني كنت أدخل زعبولتي الجلدية وهي صغيرة في سراويلي عند النوم احتياطا.

وبعد أيام سمعت الفقيه ابن تاويت وقد جاء متأخرا يذكر أنه حضر حفلا كبيرا لإنهاء الدراسة في الجامعة الإسلامية وكانت في عامها الأول أو الثاني ورئيسها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ونائبه الشيخ عبد العزيز ابن باز، وذكر أنه سمع تدخل الشيخ ناصر الألباني ملاحظا على بعض الطلبة المتفوقين الذين ألقوا خطبا بالمناسبة، فاسترعى حديثه انتباهي، ذلك لأنني كنت سمعت بالمغرب ثناء حسنا من شيخي أبي الفيض أحمد ابن الصديق على الألباني قائلا بأنه خير من يشتغل بعلوم الحديث الآن ويتقنها، وهي شهادة قلما يسخو بمثلها الشيخ، ثم كان الفقيه اعجولو التطواني، وكان جاري في السكن، يطلعني على بعض المجلات الشرقية التي كان يطلعه عليها تلميذه محمد الجُحْرَة صاحب مجلة

"الأنيس"، وكانت تصله بحكم التبادل الثقافي، ومنها مجلة "التمدن الإسلامي" التي كانت تصدر بدمشق لصاحبها أحمد مظهر العظمة، فكنت أجد فيها بين الحين والحين مقالات وفتاوى حديثية للشيخ الألباني الذي قدمه للقراء صاحب المجلة في مناسبة بأنه فتى أرناؤطي هاجر مع والديه وأهله إلى دمشق فاستوطنوها، وكان هذا الفتى عصاميا فاعتمد على نفسه على فتاء سنه (٩ سنوات) يعمل في البناء والنجارة والكهرباء، ثم تعاطى صناعة إصلاح الساعات وفتح دكانا لذلك ما زال إلى الآن يعمل فيه ولده عبد اللطيف. وشدا شيئا من النحو والفقه، ثم حبب إليه الحديث فكان يستعير من بعض الكتبيين كتبه ويقرأها بنهم، ثم أخذ يتردد على المكتبة الظاهرية وبمضي الزمن اكتسب ملكة في هذا العلم لفتت أنظار المسؤولين فوضعوا ثقتهم فيه وخصصوا له بيتا، وأذنوا له في البحث وتناول المخطوطات وخدمتها بالترقيم والإصلاح والتعريف والبحث في الخروم لإتمام البتر، فتم على يده من ذلك ما شاء الله مما عم نفعه وعظم وقعه، وهو الذي وضع فهرس مخطوطات الحديث وما إليه.

قلت والحديث ذو شجون: لما سمعت الفقيه ابن تاويت يذكر هذا تاقت نفسي لرؤية الشيخ والاجتماع به فأخبرني الفقيه أنه يصلي بالحرم باستمرار، فاتفقت معه على إرشادي إليه في صلاة العشاء، وهكذا تم اللقاء بحمد الله على باب عبد المجيد، فرأيت كهلا طوالا أصهب كأنه من رجال الإنجليز فسلمت عليه ورحب بي واستدعاني فخرجنا وامتطينا سيارته وقد امتلأت بأطفاله. وأضافنا ببيته على الماء والبطيخ الأحمر (الحَبْحَب (معتذرا بسفر زوجته. وقد قضيت معه ساعات مباركة في المذاكرة، والفقيه ابن تاويت وشقيق الشيخ واسمه منير، نائمان يُهَوِّمان جالسين. وناولني الشيخ في أثناء المذاكرة مخطوطة فهرسه لكتب حديث الظاهرية الذي طبع منتخبه بعد ذلك بدمشق، ورسالته في الصلاة، وأخرى في صلاة التراويح، وكان قال لي بأنه لا رواية له، وأنه يعتبر ذلك شيئا لا طائل تحته، وأن الشيخ راغب الطباخ الحلبي أجازه بدون طلب، فأشرت له بالإذن بالمناولة التي تمت بيننا – وهي من أنواع الرواية والتحمل – فوافق جزاه الله خيرا.

وبعد نحو أسبوع أو عشرة أيام غادرنا المدينة وأحرمنا من ذي الحليفة قاصدين مكة

المكرمة، وكان إحرامي بالتمتع، وأبى الشيخ ابن تاويت إلا الإفراد رغم محاورتي له في لزوم التمتع إلا لضرورة قصوى فلم ينصت.

ونزلنا بمكة بمحلة الشامية عند المطوف عبد المعطي مرداد، وهو من عائلة مكية منها علماء ووجهاء، وكان هو نفسه قاضيا هناك. ولم يكن يومئذ بالحرمين آلات تكييف ولا مراوح كهربائية كافية ولا ثلاجات كثيرة، والمياه طبيعية دافئة تصل إلى البيوت على يد عمال يمنيين وغيرهم، يأتي أحدهم حاملا صطلين كبيرين على كتفيه بخشبة معترضة يسعى بها سعيا لا يتأوه ولا يشكو، وتباع أحيانا قطع ثلج ليست بذاك.

وبالجملة فمن قارن حال الحرمين يومئذ بما آلت اليوم بعد نيف وثلاثين سنة عجب من التطور السريع الذي مرت به، فأصبحت اليوم في فنادقها وعماراتها الشاهقة وأسواقها وشوارعها ومظاهر العمران الآخذة في الارتفاع والاتساع من أحدث البلاد وأرقاها في هذه الماديات، وأشفق مما تستتبعه هذه من مخاطر التقليد والبذخ والتفرنج والاستغراب، وقد بدأت بعض هذه الآثار المدمرة للدين والأخلاق والروح نسأل الله السلامة.

ومن الجدير بالذكر أننا عندما دخلنا مكة وجدنا أعمال البناء قائمة لتوسعة الحرم التوسعة ما قبل الأخيرة، وهي أكبر وأوسع توسعة عرفها الحرم الشريف، وكانت على أيام الملك سعود ابن عبد العزيز الذي استقر في عهده إنتاج البترول بعد اكتشاف حقوله وآباره المتعددة المتدفقة، مما دفع بالبلاد بعد ذلك مع سائر دول الخليج العربي التي كانت أفقر دول الأرض، إلى أرقى درجات الغنا والترف لو عرف أهلها كيف يستغلون هذا الفيء العام لصالح الإسلام والمسلمين ...ومثله ما تم هذه السنوات ١٤-١٥-١٦-١٧-١٤١٨ من توسعة الملك فهد للحرمين فقد حدثني رجل رآني أصعد النظر وأصوبه في القباب العالية والسواري الضخمة والبوابات والأقواس والقواعد والنوافذ الخ بأن الأسطوانية الرخامية الواحدة تكلف اثني عشر ألف دولار، وقال الرجل بعدها: "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"، فذهبت لحالي ولم أقل شيئا لجهلي بالمصير.

وقد مكثنا بمكة نحو عشرة أيام زرنا خلالها مساجد وأسواقا ومكاتبا، وبمكتبة الحرم المكي لقيت رجلا ذا سمت جميل ولحية مهابة فسألته عن شيء نسيته فأخبرني، وبعد مدة

علمت أنه الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليمني، وهو عالم مشهور بتحقيقه وكتبه، وعدت إليه فلم أجده، فندمت على فوات الفرصة.

ومرت أعمال الحج على أحسن ما يرام ورأيت كثيرا من العلماء يملون الدروس بمختلف اللغات على كراسيهم في الحرمين ومنهم من الهند ومصر والشام، ولكني لم أستطع التعرف عليهم لضيق الوقت وزحمة الأشغال، ومما يستحق التدوين أننا وقد أنهينا الوقوف بعرفات في أحسن حال، وأذكر أن الطيب بنونة – ولعله كان يومئذ سفيرا للمغرب في إيران –حج وزارنا في خيمتنا بعرفات وأخذ لنا صورة جماعية، وصورة للفقيه ابن تاويت وهو نائم في لباس إحرامه.

وبتنا بمزدلفة وفي الإسفار دفعنا والتقطنا الجمرات، ورمينا جمرة العقبة، ونزلنا دارا قديمة فلاحظت أن الفقيه ابن تاويت يحتفظ بالجمرات وهي حصيات غليظة نوعا، فراجعته وأريته ما عندي منها وما سألتقطه مما يعدو حصا الخذف كفول الباقلا؛ كما يقول الفقهاء، فقال لي: هذا حصا اللعب.

وفي أيام التشريق وبعد الحلق والذبح وطواف الإفاضة كنا نرمي الجمرات فجاء السيد عبد الكريم أشرقي وعبد الخالق السكيرج وكلاهما من تطوان بلدنا يسألان عن النيابة: الأول عن أمه، والثاني عن عمته، وهما مريضتان في رمي الجمار، فأفتاهما الفقيه بجواز النيابة عنهما إلا أنه لا بد من فدية نسك؛ أي: الذبح، فأجابا بأنه لا يمكنهما ذلك لغلاء الماشية، فقلت لهما: نوبا عن المرأتين المريضتين ولا شيء عليكما، فغضب الفقيه وأخرج من حقيبته ملازم من شرح الدردير لمختصر خليل وكتاب بداية المجتهد، وأخذ يقرأ وهو يقول لي: كيف تقول ما لا علم لك به، وكان المسؤولون بالحرم المكي يوزعون بعض الكتيبات على الحجاج ومنها أحكام الحج والعمرة لعبد العزيز ابن باز، ولم أكن قرأته فتذكرته وأخرجته من قرابي، وسرعان ما وقفت فيه على المقصود، وهو: جواز النيابة في الرمي عن العاجز دون أن يلزمه شيء لقوله تعالى" :[1]فاتقوا الله ما استطعتم". ومثل هذا كان حصل لي مع الفقيه ونحن بمكة عندما ناظرته فيما فعل من إحرامه بالإفراد مع ثبوت الأحاديث الصحيحة

(١) التغابن: ١٦.

الصريحة في أمره صلى الله عليه وسلم من أحرم بالحج وحده أن يفسخه ويجعله عمرة، وسؤال سراقة له عليه السلام على الملأ: هل هذا دائما أو في تلك المرّة فقط ؟ فقال r: بل للأبد، بل لأبد الأبد، وشبك بين أصابعه، وقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة[١]، فقال الفقيه: إنه قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سُقت الهدي ولجعلتها عمرة[٢]، فعجبت منه كيف يرد هذا بهذا مع أنه يؤيده، ثم ذكر فعل الشيخين أبي بكر وعمر، وذكر نصا لابن رشد، فكان الجواب أن لا اجتهاد مع الرسول r، والخليفتان خالفهما علي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهما، أما ابن رشد فليس من أهل الحديث، فغضب الفقيه واحتد والتفت إلي يقول بلهجة شديدة: وهل أنت مثل ابن رشد ؟ فهدأته وخففت من ثورته، والسيد محمد السداتي يثيره بضحكه ويقول له: الحق مع (بو خبزة)

وبالجملة فإنا كنا نسمع ونحن بتطوان أن الفقيه ابن تاويت، وهو النجل الأكبر لشيخنا الذي حفظنا عليه القرآن بكتاب الاترنكات: الفقيه محمد بن عمر ابن تاويت الودراسي رحمه الله، لا يقلد تقليدا أعمى، ولذلك تشجع وأفتى بحرمة الصلاة في المقابر وزوايا تطوان المدفونة، فقامت قيامة فقهاء تطوان، وعلى رأسهم شيخ الجماعة وشيخه الفقيه الزواق، ورد عليه في جريدة النهار، فأخذ الفقيه الجريدة وذهب إلى جامع السوق الفوقي حيث يصلي الفقيه الزواق إماما وجلس على الكرسي وأخذ يقرأ الجريدة ويرد على ما جاء فيها، والفقيه يسمع خلف الاسطوانة المقابلة للمحراب، وكتب بعد ذلك رسالة في بضع صفحات سماها "إخراج الخبايا في تحريم البناء على القبور والصلاة بالزوايا. "

أقول: كنت أظن أن الفقيه ابن تاويت –وقد وقف هذا الموقف وأعلن عن رأيه المخالف لما جرى به العمل عملا بالأحاديث الواردة في الموضوع– أنه ينتهج هذا المنهج السلفي القويم، فإذا به لا يكاد يخرج عن المشهور في المذهب إلا في هذه المسألة فقط، وقد ناظرته في مسائل عدة فتبين لي ما قلته، ولله في خلقه شؤون.

وفي أثناء تلك الأيام زرنا مدينة جدة للاجتماع بعين أعيانها الشيخ محمد نصيف

(١) رواه ابن ماجه في سننه رقم: ٢٩٨٠.

(٢) رواه البخاري ١٥٦٨ و مسلم ١٢١١.

فاجتمعنا بداره الكبرى فرحب بنا وأكرمنا وأعطانا مما كان يطبع أو يساهم في طبعه من الكتب السلفية، وأذكر أنه أعطانا: الفوائد المجموعة للشوكاني، ومجموع السنة في جزئين، وهو مجموع رسائل ومقالات في الرد على الروافض، وسألنا الشيخ عن بعض علماء المغرب، كما سألنا عن كيفية صنع الكسكس فأخبره الحاج أحمد اطوبي –وكان معنا– بذلك. قال الشيخ: إنه يعجبه كثيرا ولا يجد هناك من يتقن صنعه، ورجا منا أن نبعث له أدوات الصنع ففعلنا بعد الرجوع، ووقفنا بعد خروجنا من عنده على القبر الطويل المنسوب لأمنا حواء وكان عليه بناء كبير وقبته عجيبة فهدمت، كما إني سألت الشيخ عن مسجد رأيته في أحد شوارع جدة وعلى بابه كتب الزاوية القنفدية، فدخلته فلم أر فيه شيئا مما يوجد عادة في الزوايا، قال الشيخ: إن ذلك المسجد كان في الأصل زاوية لطريقة صوفية، ولكنه بعد القضاء على الطرق والزوايا وتحويلها إلى مساجد بقيت بعض الكتابات التاريخية كتلك، وكان الواجب إزالتها.

وبعد أيام من إنهاء المناسك عزمنا على الرجوع، فتذاكرنا الوسيلة: هل البر أو البحر أو الجو ؟ فانقسمنا إلى فريقين، ذلك أن الفقيه ومصطفى الشاوي واطوبي فضلوا أن يذهبوا إلى الشام براً ورأوا شاحنات واقفة بساحة في انتظار أصحابها للرجوع بهم إلى الشام عن الطريق الصحراوي، فكلوا أصحابها فوافقوا، واتفق أن علم بعض ضباط الشرطة بذلك فحذروهم من السفر في هذه الشاحنات لخطورة الطريق وهبوب العواصف الرملية علاوة على سوء أحوالها وركابها، وقد شاهدنا ذلك وراجعنا الإخوان فأصروا. ثم حدث ما أوجب الإقلاع عن هذا كله وذلك أننا في رجوعنا إلى مدينة الحجاج ركبنا حافلة صغيرة من تلك الحافلات الحرة التي يقدم بها أصحابها من مختلف أنحاء المملكة للارتزاق بنقل الحجاج في جدة. وكان الوقت ليلا بعد العشاء، ونزلنا من الحافلة وذهب، وعندما وصلنا إلى البيت الذي كنا فيه افتقد الحاج السداتي حقيبته اليدوية، وكان يحمل فيها جوازات السفر لجميع أفراد الجماعة التسعة علاوة على أنواع العملة الصعبة له ولغيره وبعض الهدايا الذهبية، فعلمنا أنها بقيت في الحافلة الذاهبة والوقت ليل ولم نعرف رقم الحافلة ولا سائقها ولا اتجاهها، وسقط في يدنا، وقامت قيامة السداتي، وخرج بعض الجماعة للبحث والسؤال، وترددوا مرارا على إدارات الشرطة دون جدوى، وكلفوني التردد على مستودع الأمانات بين الفينة والأخرى

عسى أن يظهر أثر للضالة، وبتنا شر ليلة.

وفي الصباح استأنفنا العمل بالبحث والسؤال إلى أن يئسنا، واتفقنا على الذهاب إلى سفارة المغرب بجدة، وكان السفير يومئذ الفقيه غازي المكناسي الاستقلالي، وكاتبه الأستاذ الناصري، لاستصدار أوراق السفر فيمكننا الرجوع بها إلى بلدنا، ولم نفكر ساعته في سيارتنا الباقية في القاهرة، ولا في شيء إلا السفر على نفقة الدولة على أن نسدد المصاريف في وطننا، وفعلا ذهبنا إلى السفارة، وهناك حدثت الكرامة، فعند استقبالنا للسيد الناصري بادرنا بقوله: أين كنتم يا إخوان ؟ لقد بحثنا عنكم كثيرا لأن صاحب حافلة خاصة جاءنا بحقيبة قال: إنه وجدها بحافلته، ولما فتحها وجد بها جوازات سفر وأوراقا لمغاربة، فجاء بها إلينا ودفعها لنا بوصل أمانة أحصى فيه كل ما كان بالحقيبة من مال وأوراق وهدايا، وأخذ نسخة الوصل بعدما أدلى بعنوانه الكامل لاستدعائه إذا ضاع شيء، فعجبنا لأمانته وحرصه على رد الحق لأهله مع أن الواقع يساعده على التنكر والهرب والجحود ولا أحد يعرفه، وهذا بلا شك من أثر الحكم الإسلامي وإقامة الحدود الشرعية.

وفي اليوم التالي وجدنا باخرة صغيرة دانماركية راسية في الميناء تجمع الناس للسفر إلى العقبة بالأردن، فاتفقنا على السفر بها لرخص ثمنها ووعد المكلفين بها –وهم نصارى– أن عندهم طعاما وشرابا فلا نحتاج إلى شراء شيء، وركبناها وأقلعت باسم الله مجراها ومرساها، وما هي إلا ساعات –وقد وجدنا الباخرة مكتظة بالحجاج من الأردن وسورية– حتى تغير الجو وأخذ البحر في الاضطراب وكان هذا من عجيب صنع الله، فإنه لم يكن عند القوم أكل ولا شرب إلا زجاجات معدودة من الكوكا كولا، ولكنا لم نفكر في الطعام بعد تزايد اضطراب البحر وإصابة الإخوان كلهم بالدوخة؛ إلا الفقيه ابن تاويت وكاتب الحروف فقد بقينا محتفظين بوعينا، ومرت علينا ثلاثة أيام بلياليها لم نذق فيها راحة ولا نوما ولا طعاما.

وصعدت مرة إلى سطح الباخرة مارا على الحجاج فلم أر إلا طريحا يئن وآخر يقيء ما في بطنه، وآخر فاقد الوعي لا يشعر بما يجري. وشاهدت من عظيم قدرة الله ما قف له شعري وخفت من اكتساح الأمواج العاتية لي والباخرة كقشرة صغيرة تتقاذفها الأمواج، وأيقنت بالخطر، ولجأت إلى الله داعيا ضارعا. وفي صباح اليوم الثالث أخذ البحر يهدأ، والجو

يصحو ويروق، وبعد ساعات أخذت الجبال تظهر من بُعْد، ثم تَبَيَّنا البر.

وبعد منتصف النهار وصلنا بحمد الله ميناء العقبة، وامتطينا حافلة عمومية قديمة تقلنا إلى عمان، فوصلناها مساء وأكلنا واسترحنا وقضينا بها يومين أو ثلاثة، وصلينا الجمعة بالمسجد الحسيني، ورأيت الملك حسين عاهل الأردن جاء المسجد بسيارة واحدة فنزل ومعه عسكري ودخل المسجد وتقدم إلى الصف الأول قرب المنبر، ولم يقم له أحد، ولم تحدث جلبة، وبعد الصلاة خرج وركب سيارته وذهب، وكان إمام المسجد رجلا كبير السن شجي الصوت طيب النغمة بكتاب الله وقد كتب لي زيارة عمان بعد ذلك مرتين فرأيت الفرق العظيم في تغير الأحوال وتطور العمران، فقد كانت البلدة يومئذ متواضعة ومبانيها صغيرة وشوارعها ضيقة، ومساحة البلد أضيق بكثير مما هي عليه الآن، وخرجنا منها إلى دمشق الفيحاء التي قضينا فيها أكثر من أسبوع زرنا فيها معالمها وأسواقها ومنتزهاتها، ونزلنا فندقا قريبا من ساحة المرجة، وغير بعيد عنه تكية السلطان سليم العثماني، وهي مسجد جميل محاط بأشجار وأزهار وورود وصحن كبير بوسط صهريج ونافورة وقرب المسجد شبه مدرسة بها بيوت متراصة، لعلها كانت معدة لسكنى الصوفية، وهذا ما يفهم من لفظ (تكية (التركية التي هي بمعنى الزاوية، ووجدناها اليوم محتلة من الجنود، والتكية تطل على نهر (بَرَدى) الذي هو نهر صغير، ولم أكن أعرف اسمه، ولما سألت عنه تذكرت قول شوقي في رثاء دمشق حينما ضربها الفرنسيون بالمدافع:

سَلامٌ مِن صَبا بَرَدى أَرَقُّ وَدَمعٌ لا يُكَفكَفُ يا دِمَشقُ وتجولت كثيرا بشوارع دمشق ودخلت المسجد الأموي وزرت المدرسة الظاهرية، ودخلت قبة الملك الظاهر المشحونة بالمخطوطات، ووسط القبة قبران محاطان بدواليب خشبية زجاجية عرضت فيها نوادر المخطوطات التي هي بخطوط مؤلفيها ولا سيما منهم أهل دمشق وما حولها، فرأيت فيها خطوط ابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير وابن عساكر وغيرهم كثير، وأصبت في تلك الأيام بمغص حاد ذهبت بسببه إلى حمام الملك الظاهر وهو بالقرب من مدرسته، وهو حمام عجيب، ثم رأيت هناك مشهدا للسيدة رقية بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما وعليه دربوز من فضة، والشيعة يترددون عليه وعلى قبور السيدة زينب وغيرها، ومشهد هذه أفخم،

ويقيمون المناحات عليهم، وزرت خلف المسجد الأموي ضريح صلاح الدين الأيوبي في الكلاسة ومعه قبر آخر، كما زرت البيمارستان النوري ومدرسة نور الدين الشهيد وغيرها من المدارس والمشاهد مما يطول ذكره ووصفه، وصعدت حي الصالحية وزرت بها قبر ابن العربي الحاتمي ومعه قبر الأمير عبد القادر محيي الدين الذي نقل بعد ذلك إلى الجزائر بعد استقلالها.

وسألت عن الشيخ محمد بهجة البيطار فدللت على بيته بحي المهاجرين فذهبت إليه واستقبلني بتواضع جم وجالسني أكثر من ساعة واستفدت منه فوائد، وهو يومئذ أشهر علماء دمشق، وأخبرني أنه مشتغل بتحقيق كتاب جده" :[1]حلية البشر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر" الذي طبع بعد ذلك، وأذكر أنه سألني أول ما لقيته فأخبرته بأنني مغربي من مدينة تطوان قائلا: أظن الشيخ سمع باسم المدينة !؟ فقال: نعم، كيف لا أعرفها، وهي تذكر في أناشيدنا الوطنية، وقرأ:

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان ومن نجد إلى يمن إلى مصر فتطوان

كما كنت أجالس شيخا يؤم بمسجد درويش باشا القريب من فندق بني أمية حيث نزلنا، رأيته ببيت قبالة باب المسجد الذي بالصحن فقصدته وسلمت عليه، فرد ورحب، ووجدت عنده كتبا ويتردد عليه بعض الطلبة والفقراء الصوفية لشرب الشاي والمذاكرة، وربما ترنموا بأشعار الصوفية بنغمة أهل الشام التي سمعتها منهم فأعجبني سماعها، ووجدت الشيخ مرة يلقي درسا داخل القبة في الفقه، ولعله حنفي المذهب، واسم هذا الشيخ عبد الوكيل الدروبي،، وأعطاني رسالة طبعها على نفقته لشيخ يسمى: عبد الله الحبشي الهرري فر من بلده ونزل دمشق، وكان متصوفا متعصبا، أردت الاجتماع به فأخبرني الدروبي أنه مريض بالمستشفى ببيروت، ووجدت له صيتا هناك؛ لأنه يرد دائما على الألباني، وقد رد عليه هذا مع آخرين يتبادلون الردود في المساجد ويؤلفون رسائل في هذا بدمشق وحلب وحماة وغيرها، وفرق كبير بينهم وبين عدوهم الألباني الذي يفحمهم بردوده العلمية وقوة حجاجه، وقد أَمِرَ أَمْرُ الشيخ الحبشي بعد ذلك فأصبح زعيم نحلة الأحباش الذين تجاوزوا الآلاف ببيروت وأوربا،

١هو العلامة الأديب عبد الرزاق بن حسن البيطار (ت ١٣٣٥/١٩١٣).

ولهم أناشيد ومساجد ومراكز ودعاة يؤلفون لهم الكتب في الرد على أعدائهم وعلى رأسهم الوهابية السعوديون، والحبشي أخطرهم في هذا الباب لجهله العظيم وجرأته على الله، وقد ألف في كشف فضائحهم وأعمالهم عبد الرحمن دمشقية مجلدا ضخما رأيته.

ومررت ليلة على مسجد يسمى: يَلبُغَا الكبير، وفي جانب من صحنه الواسع تقف شاحنات وسيارات، ووجدت شيخا يلقي درسا فاستمعت إليه، وهو بهي الطلعة ذو لحية كبيرة سوداء ولهجة شامية حلوة، وقد ألقى درسا وأجاب عقبه على أسئلة كثيرة قدمت إليه مكتوبة في أوراق وضعت على منضدة مع كوب ماء، وعنه أخذت هذا التقليد ونقلته إلى مسجد بتطوان حيث ألقي دروسي في التفسير والحديث، وشاعت عني هذه العادة؛ أعني: تقديم الأسئلة مكتوبة، والجواب عنها بعد الفراغ من الدرس، وقد سألت عن هذا الشيخ فقيل لي: بأنه الشيخ أحمد كُفتارو، الذي أصبح بعد ذلك مفتيا لجمهورية سورية، ورأيته بالمغرب قد حضر مناسبات، ولم أجتمع به وإنما رأيته في التلفاز، ومما يستحق الذكر أن بالفندق الذي نزلته كان يعمل رجل كهل في التنظيف وكان متوددا يبادر بالسلام والسؤال، ولاحظت أن بوجهه خموشا، فسألته، فقال: إنه من أثر اعتداء المشايخ الذين يراودونه عن نفسه، ويعني بهم: مشايخ الشيعة الروافض، وقد رأيتهم هناك مرارا بعمائمهم السود وجبابهم السوداء الواسعة، وأخبرني العامل –ولم يكن ذا جمال وفتاء يشتهى من اللوطية–: أن هذه عادتهم وأنهم يستحلون اللواط بأهل السنة !؟ فعجبت لهذا الانحراف المخزي.

وقد زرت فيما زرت مقبرة الباب الصغير وعلى بابها يرقد الإمام ابن القيم رحمه الله في بيت عار، ألصقت فوقه رخامة باسمه، وقربه قبر الصحابي أوس بن أوس الأنصاري، وبالمقبرة كثير من القباب لعدد من الصحابة وأمهات المومنين، الله أعلم بصحة ذلك، وبكلية الطب وقفت على قبر الإمام ابن تيمية ومعه الحافظ ابن كثير تلميذه في روضة مزهرة، وكان هذا المكان في القديم مقبرة فدرست المقبرة وبني فوقها.

ومن تلك المباني الجامعة وبها مسجد صغير يصعد إليه بدرج، وهو المسجد الذي ألف الألباني في جوابه عن أسئلة لجنته رسالته: الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة.

وبعد أيام ذهبنا إلى بيروت ووقفنا على معالمها وأسواقها، ونزلنا بفندق قريب من ساحة الشهداء وبأحد ميادينها رأينا تمثالا لرياض الصلح، وهو ولد لمياء التي تزوجها بعد ذلك الأمير عبد الله أخ الملك الحسن الثاني، وصلينا بالمسجد العمري وهو أقدم المساجد ببيروت فيما قيل، وزرت قبر الإمام الأوزاعي وهو في بيت متواضع قريب من البحر، وسألنا عن المواصلات فعلمنا بمرور باخرة تركية فخمة منها إلى برشلونة بتاريخ كذا، فعزمنا على السفر، وكلفنا أحدنا وهو السداتي بالسفر مع أحمد الفاسي – وهو سائق سيارتنا التي تركناها بالقاهرة، وكان حجه على نفقتنا –إلى القاهرة لإخراج السيارة والقدوم بها إلى بيروت للعودة بها من طريق أوربا، وكان هذا السائق أسر في نفسه سوءً بسبب ما سمع ونحن بعرفات عما جرى ببلدية تطوان من تغيير فخاف على وظيفته في السياقة وهو حديث العهد، وتمنى لو يجد السبيل إلى الرجوع إلى المغرب في أقرب وقت، وكان يعلم أننا قررنا العودة من طريق أوربا وهذا يطول، فأضمر في نفسه أن يكيدنا بتمزيق أوراق السيارة أو رميها أو حرقها، وكذلك فعل، فأبرق إلينا ونحن ببيروت بما وقع فلم نجد بدا من إلغاء السفر، وأبرقنا إليهما أن ينتظرانا بميناء الإسكندرية يوم كذا على الساعة كذا لشحن السيارة وقد حجزنا لهما وللسيارة، وركبنا الباخرة التركية وعند وصولنا إلى ميناء الإسكندرية صعد أحد النصابين المصريين وادعى أنه وكيل الوكالة وطلب تذكرة السيارة فدفعت إليه واختفى، فعلمنا أنه لص، أما السيارة فقد زعم رجال الجمارك أنها تسجل باسم فؤاد بوهلال بينما عندنا في الأوراق التي منحتها لنا سفارتنا بالقاهرة أن صاحبها يسمى: الطيب بوهلال، وأطلعوا الإخوان على ذلك، فقلنا لهم بأن الخطأ جاء من رجال الجمارك بالسلوم، فهم الذين أخطأوا، وأخيرا امتنعوا من تسليم السيارة وكانت مؤامرة خسيسة ونصب واحتيال، وقد أذنت الباخرة بالإقلاع فلم يسعنا إلا السفر تاركين وراءنا سيارة (فاركونيطا) من نوع فُلْسفاكن الألمانية، اشتريناها شركة من طنجة، فذهبت ضحية التآمر والطيش والكيد من السائق الشاب الوسيم الذي توسمنا فيه الخير وقبلنا أن يحج على نفقتنا فسعى في ضياعنا، ومنا فقراء صالحون مثل: الحاج أحمد أطوبي، الذي ما فتئ يدعو على من فعل هذا، فكان من قدر الله وعدله أن السائق الفاسي عزل من وظيفته وسافر للعمل بأوربا ولم يمر عليه وقت طويل حتى بلغنا أنه

أصيب ببصره، ولم نره منذ ذلك الوقت إلى الآن، ولا ندري ما فعل الله به.

ومن عجيب أمر هذه السيارة أنني رأيت عنها رؤيا عجيبة ونحن بالسعودية والقوم يشترون البضائع ويستكثرون وقد نبهتهم مرارا بأن هذه الأثقال لا يمكن أن تحملها سيارة واحدة لأن حمولتها القانونية محدودة فلم يكن القوم يبالون، فرأيت وأنا بمكة أو بجدة أننا راكبون هذه السيارة وسائرون في طريق جيد معبد، فاستقبلتنا قنطرة كبرى على واد ملآن ماء فانحرفت السيارة عن الطريق ونزلت الهوينا، وأنا أصيح على السائق، على يمين القنطرة في طريق منحدر ضيق حتى دخلت في الماء شيئا فشيئا، وقد استطعت الخروج منها وأخذ ما أمكن أخذه، ووقفنا على شاطئ النهر نشاهد غرقها إلى أن غرقت ولم يبق ظاهرا منها شيء، وكأني أنظر إليها الساعة وهي تغرق، ولما استيقظت لم أحدث الإخوان بالرؤيا المزعجة واستعذت بالله من شرها، ولم يقع تأويلها إلا بعد: مكيدة السائق، وتآمر رجال الجمارك، ونصب اللص المصري الذي أخذ تذكرتها. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبعد رحلة طيبة في الباخرة التركية استغرقت ثلاثة أيام أو أربعة أيام مارين بإيطاليا التي شاهدنا مساءً أحد براكينها المشهور وهو يرمي بشرر، ونزلنا مدينة (نابولي) الجميلة ومكثنا بها ساعات، كما نزلنا بمدينة (مرسيليا) الفرنسية ورأينا الجسر المفتوح الذي يرفع ويخفض لمرور البواخر، ووصلنا إلى برشلونة التي رأينا من اتساعها وحدائقها ومبانيها ومعاملها ما يدهش الألباب.

وقد صلينا مرة في إحدى حدائقها الرائعة جماعة والإسبان ينظرون متعجبين، ثم مررنا على عدة مدن وقرى إلى أن وصلنا إلى غرناطة؛ حيث مكثنا يومين زرنا خلالها قصر الحمراء، وزرنا إشبيلية وزرنا بها قصورها وصعدنا منارة يعقوب المنصور الموحدي (الخِرالدا)، وتجولنا بحدائقها الساحرة، ووقفنا على النهر الكبير الذي طالما تغنّى به الشعراء:

وَأَينَ حمص وَما تَحويهِ مِن نُزَهٍ وَنَهرُها العَذبُ فَيّاضٌ وَمَلآنُ [1]ثم زرنا مالقة وبتنا بها ليلتين زرنا خلالها ما تبقى من قصر العرب وشواهد قبور وبقايا أسوار والمسجد الجامع

(١) وهذا البيت لأبي البقاء صالح بن شريف الرندي من قصيدته الرائعة في رثاء الأندلس الضائعة، و التي استهلها بقوله: لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمَّ نُقصانُ فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ.

ومنارته وقد حول كنيسة، وأخيرا وصلنا الجزيرة الخضراء، ولم نبت بها، وركبنا بحر الزقاق إلى مدينة سبتة الأسيرة فك الله أسرها مع أخواتها الأندلسيات، وأعاد إليهن كلمة التوحيد، وما ذلك على الله بعزيز. ووجدنا بالميناء أقاربنا وهم ولدي الأكبر أويس وهو طفل، وركبنا السيارات إلى الباب السعيدة حيث وجدنا جموعا من المستقبلين، أذكر منهم: الأستاذ محمد داود، والحاج محمد بنونة، وغيرهم من الأحبة. والحمد لله الذي جمع الشمل، وحقق الأمل، وأعادنا إلى بلدنا وأهلينا، وهو المسؤول سبحانه أن يمن بالقبول وأن يتجاوز عنا ويغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، إنه غفور رحيم، جواد كريم. وقد بذلنا جهودا كبيرة لتخليص السيارة من أيدي المصريين، واتصلنا بالسفير الطريس، وكتب لنا إلى السفير ابن المليح الفاسي، كما كتب رسائل إلى هذا الأخير وغيره، وبعثنا بما يلزم من مال لشحن السيارة بواسطة موظف السفارة ابن المفتي، وذهب الأخ محمد مولاطو إلى السفارة بنفسه وكان طالبا هناك بالقاهرة فوجد أن المال ضاع، وأن السفير لم يفعل شيئا، وأخبرنا بعد ذلك أن المصريين باعوا السيارة لما استحق عليها من أجرة الأرض بالميناء، وهكذا تحققت الرؤيا المشار إليها، وأيسنا من أمر السيارة، والعوض على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

وبعد رجوعنا إلى الوطن فكرت في تدوين هذه الرحلة والمعلومات ماثلة في الذاكرة، والأحداث قريبة العهد، والأوراق متوفرة، وكنت حدثت الفقيه ابن تاويت عن ذلك، وأخبرته أنني سأسمي الرحلة بعد كتابتها: (السير والسرى، إلى طيبة وأم القرى)، فأمرني أن أزيد في اسمها: مواصلة السير بالسرى، وكان العزم أن أفيض في وصف الطرق والمنازل والمدن والقرى مع ذكر ملخصات عن تاريخها، وأن أثبت كل ما تم الاطلاع عليه من كتب ورسائل وتراجم الرجال الذين اجتمعت بهم أو زرت ضرائحهم، مع تفصيل القول في الحج والمناسك بذكر الدلائل والفوائد والحكم في تركيز كاف، وتوثيق معتبر؛ إلا أن الشواغل والعمل الإداري لتأمين العيش للأولاد ومعاكسة الظروف كانت تحول بيني وبين ذلك، حتىّ منّ الله عليّ وقد لزمت الفراش في أيام عيد الأضحى من عام ١٤١٨ هـ فأمضيت الوقت في استذكار ما مضى مما بقي في الذاكرة عالقا يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد، وفي النية إن

شاء الله تعالى أن أعود إليها لتدارك ما يمكن من ذلك بحول الله.

وكتب هذه الأوراق على عجل ومع معاناة مرض في يومي السبت والأحد ١٤-١٥ ذي الحجة الحرام عام ١٤١٨ هـ عبيد ربه أبو أويس محمد بن الأمين بو خبزة الحسني عفا الله عنه بمنزله بحي سيدي طلحة الدريج الأنصاري بمحروسة تطوان قاعدة شمال المغرب الأقصى.

٦٧- الشيخ المحدث محمود خليل الصعيدي حفظه الله من نفاة القياس .

٦٨- الأستاذ الدكتور عبدالعزيز على الحربى السعودى اليمنى الظاهرى سيذكر فى المفسرين

٦٩- أبومحمد المصرى واسمه السيد محمد رضا أبوالنجا الطنطاوى سيذكر فى المهندسين.

٧٠-صاحبنا الشيخ المحقق عبدالعزيز الحنوط السعودى سبق ذكره فى الفقهاء .

٧١- ابن تميم الظاهرى، سبق ذكره فى الفقهاء .

٧٢- الشيخ طارق الحمودى من أهل المغرب ومن المعاصرين وهو تلميذ العلامة محمد بوخبزة .

وهذه ترجمته بقلمه قال فيها: فهذه نبذة من ترجمتي – وإن كنت ارى ان الامر لا يستحق – طلبها مني بعض إخواننا من طلبة العلم. فالعبد لله تعالى طارق بن عبد الرحمان بن أبي بكر الوراياني قبيلة التطواني مولدا ونشأة الحمودي نسبة، وقدجعلني شيخنا محمد بوخبزة من آل حمود أو بني حمود الادارسة الحسنيين حكام سبتة وغمارة ثم الاندلس ثم مالقة وإن كنت لا احتفل بهذا وأراه مسوؤلية فإنه من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وزد علة ذلك ان هؤلاء الحموديين قدعرف عنهم القتل وسفك اللدم في سبيل تحقيق المآرب السياية ونيل الكراسي والعروش.

ولدت بتطوان ودرست كما هي العادة المستوى الابتدائي بمدرسة مولاي الحسن المهدي بحي سانية الرمل بتطوان، ثم درست المستوى الاعدادي بها ايضا حين تحولت إلى إعدادية، ثم تابعت دراستي بالمستوى الثانوي بثانوية الشريف الادريسي في شعبة العلوم

التجريبية، ثم التحقت بالدراسة الجامعية بكلية العلوم جامعة الملك السعدي شعبة الفيزياء والكيمياء فدرست الرياضيات والفيزياء والميكيينيكية والإلكترونات والكهرباء ومبادئ الفيزياء النووية والكيمياء العضوية إلى حدود السنة الثالثة فتوقفت عن الدراسة لظروف عائلية، واضطررت للمغادرة كرها وفي أثناء دراستي الجامعية وبالضبط في السنة الثانية التقيت بالشيخ العلامة السلفي الاثري محمد بوخبزة وكان هذا منذ احد عشر عاما، وكنت لقيت أيضا الشيخ محمد محفوظ البحراوي حينها أو بعدها بقليل، وكنت حينها يتجاذبني في الجامعة حزبان جماعة العدل والإحسان وحركة الإصلاح والتوحيد الإخوانية، وكنت احضر مجالس لحركة التوحيد يقوم عليها رجل حليق اللحية وأتذكر جيدا حين لقيني متكلم باسم جماعة العدل والإحسان يعرض علي الانضمام إلى الجماعة وإلا كففت عن النشاط الدعوي داخل الجاحمعة، وكذلك فعلت الحركة بدعوى أن في الكلية منظمة اسمها الأوطم (الاتحاد الوطني للطلبة) ورفضت بطبيعة الحال بفضل الله اولا بسبب ما كنت اراه ثانيا من الطائفتين وبسبب مجالستي للشيخين واذكر مرة انني كنت في مقر للحركة وإذا بباب انفتح وخرج منه مجموعة من الفتيات المحجبات من الحركة ثم تبعهن مجموعة من الشباب، فلما استنكرت ذلك واستغربت وجود هؤلاء في محل واحد مغلق، أخبرني بعض المسؤولين أن هؤللاء هم مسؤولو التنسيق بين الفرع الذكوري والفرع النسوي، فلما استنكرت الاختلاط أخبرني مبتسما بأن الجميع فوق مستوى الشهوة لأنهم مشغولون بأمور أعظم.

ثم بدأت رحلتي في الطلب. فدرست على شيخنا بوخبزة قرابة نصف منظومة السبل السوية للشيخ حافظ حكمي في فقه الدليل، وتفسير الشيخ السعدي من سورة الفاتحة إلى مائة آية من سورة النساء، وكنت القارئ بين يديه غالبا. وحضرت مجالسه في تفسير سورة البقرة. ومجالس عامة في التفسير أيضا في مسجد العيون ثم مسجد طلحة، وحضرت مجالس الفتح الباري شرح صحيح البخاري من كتاب العلم إلى كتاب الصلاة، وكنت القارئ بين يديه غالبا .وقرأت عليه نصف الموطأ للإمام مالك قراءة ضبط وتصحيح بمقصورة جامع العيون .ولنا معه منذ أحد عشر عاما إلى الآن مجالس مذاكرة خاصة في بيته كل جمعة مساء استفدنا منها أيما استفادة في كل فنون العلم، ولي منه إجازة شفاهية وخطية وشعرية.

كالمئات من الطلبة في أنحاء العالم من السعودية وتايلاند ورومانيا وغيرها. وليس بشئ كما يقول شيخنا، فلا عبرةلاحتفال بعض الناس بها، فإن الشيخ أجاز أطفالا في مهودهم !وقد استغربت مرة من بعض هؤلاء حين أشهر أنه يروي الكتب التسعة عن الشيخ .والذي يعرف إجازة الشيخ سيجدها إجازة بعشرات الكتب بل بالمئات وأسماؤها في المعجم المفهرس للحافظ ابن حجر.

وأما شيخنا العلامة الفقيه الأصولي، والمحدث النحوي اللغوي محمد محفوظ البحراوي حفظه الله تعالى فأخذت عنه علم الحديث والمصطلح وفن التخريج وعلم الجرح والتعديل، والنحو والفرائض والمنطق وشيئا من البلاغة وغيرها. فدرست عليه نزهة النظر، وشيئا من سبل السلام من أول الكتاب إلى كتاب الصلاة .وكتاب البيوع من بلوغ المرام. وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد كتاب الطهارة والمواقيت من كتاب الصلاة والحج والجهاد والأيمان والنذور والأطعمة والأشربة والصيد وشيئا من كتاب النكاح إلى حدود الشهادة .ودرست عليه مفتاح الوصول للتلمساني والواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية والورقات وشيئا من الرسالة اللطيفة في أصول الفقه للشيخ السعدي رحمه الله تعالى. وانبه إلى أنني لست احفظ القرآن كاملا إنما لي منه نصيب قليل جدا. فبحكم دراستي العلمية لم اجد عندي استعدادا للحفظ للأسف ولعل الله يمن علي بحفظ ما قدر لي.

وحضرت دروس شيخنا إدريس بن الضاوية العرائشي –وهو الآن عضو في المجلس العلمي الأعلى– في كلية الآداب بتطوان في بعض مباحث العلل لمدة سنتين.

وحضرت مجالس كتاب التوحيد لشيخ لنا قديما في مسجد بشارع التهامي الوزاني بحي سانية الرمل. وكان هذا أول كتاب ادرسه.وأقرأ بالعربية طبعا وبالإسبانية والفرنسية والإنجليزية.

وجالست شيخنا عدنان عرعور حين زار مدينة تطوان ولي منه إجازة مكتوبة بخطه حفظه الله تعالى.

ولقيت الشيخ العويشة بتطوان، والشيخ المغراوي حين زار دار القرآن التابعة لجمعية أهل الحديث بمدينة تطوان، ولقيت الشيخ زهرات المراكشي الأصغر، والشيخ المقرئ

الخلطي البيضاوي في داره بمدينة الدار البيضاء. ولقيت أخانا الشيخ رضا احمد صمدي التايلاندي في زيارته لتطوان لأجل الدراسة في الجامعة .ولقيت أيضا الشيخ عمر العيد حين زار تطوان. وممن لقيت من طلبة العلم المعروفين عندنا هنا بالمغرب الأخ الفاضل الشيخ عبد الرافع البيضاوي والأخ الفاضل الأستاذ عادل الرفوش المراكشي وغيرهم.

وأنا إلى الآن مدرس بمعهد الإمام أبي القاسم الشاطبي لتحفيظ القرآن وتدريس علومه (وتسمى اليوم مدرسة أبي القاسم الشاطبي للتعليم العتيق)، متزوج ولي ولدان عبد الله وعبد الرحمن. واسأل الله تعالى أن يصلح أولاد المسلمين. هذا ما عندي وهو كما يظهر شبه لا شئ بالمقارنة مع ما يعرف عن طلبة العلم في بلاد المسلمين. وأسال الله تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا ويزكي نفوسنا ويرفع درجاتنا وينور علينا حفرنا ويوسع علينا قبورنا. هومولى ذلك وأهله. والحمدالله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين.

قلت: وصاحبنا الشيخ طارق الحمودى من أهل النباهة والفهم فى الفقه والحديث والتاريخ له تحقيقات ماتعة ومفيدة اطلعنا على بعضها وتبعناه فى بعض تخريجاته فما أنفسها .حادثناه مرارا على غرفة اهل الظاهر، وكان له درس فى الحديث، وكان لنا درس فى شرح المحلى، وفى شرح القول المفيد للشوكانى، وطلبت منه مرارا إجازة من شيخنا بوخبزة فوعدنى إلا أن المشاغل عملت عملها .

٧٣- أبو الإسعاد خالد بن محمد المختار البدّاوي السّباعي الحسني ... من أهل شنقيط ويقيم بالمغرب، كان عضوا بدارة أهل الظاهر ومشاركاته لم تزد عن إحدى وأربعين مشاركة ... انشغل بتراجم أعلام الظاهرية، وكان يأتى بالأدلة على ذلك من أقول المترجمين ومن ذلك قوله لتأكيد ظاهرية أبى حيان الغرناطى "وقد نقل الحافظ ابن حجر عنه انه قال من الصعب على من كان ظاهريا ان يتحول عن مذهبه او شيئ هذا معناه وقد صرح هو في عدد من كتبه الاخيرة التي كتبها بعد خروجه من الاندلس واستقراره بالشرق وفي كثير من الاجزاء التي عليها سماعاته يكتب هكذا الظاهري والله اعلم"(١) .

(١) من موضوع لابن تميم على الدارة القديمة أبو حيان الغرناطى أو الشافعى .

من رواد الشبكة له موضوعات ماتعة ومفيدة، وأكثر أعماله تخص الجانب الحديثى. والده أحد الدعاة المغاربة..من تلامذة العلامة الوجاج والشيخ تقي الدين الهلالي والشيخ أبي عبيدة العلوي..نسبه شريف وهو من نواحي مراكش..داعية وخطيب ببلجيكا درس في فترة من حياته بمعهد الحرم المكي...في الثمانينات...والشيخ باقعة في الرد على العلمانيين والملاحدة والزنادقة..له وعي سياسي كبير..وفهم جيد للمنهج الإسلامي والمشروع الإسلامي.. له عشرات التسجيلات ..اغلبها نقاشات ومناظرات مع الملاحدة والعلمانيين والشيعة...والرجل أوتي قلما سيالا ونظما رائقا...

٧٤- الشيخ عماد بن حسن بن عبدالله بن محمد بن جمعة المصري الفلسطيني. باحث ظاهري متخصص في علم الحديث وهوباحث في مركز علوم الكتاب والسنة. يقيم بالأردن، وهو من تلاميذ الشيخ المحدث العلامة شعيب الأرناؤوط، ودفاعه عن شيخه كان وبالا عليه من قبل بعض المتعصبين والمقلدين الذين رأوا فى العلامة الأرناؤوط أنه من أهل البدع.

من مؤلفاتة :

١-القول الرائد فيما سرقه مشهور حسن من كتاب عدالة الشاهد .

٢-جهود الإمامين نور الدين الهيثمي وشهاب الدين البوصيري في علم الزوائد.

٣-كتاب تصحيح الاخطاء والأوهام التي وقعت لمحدث الشام ناصر الدين الالباني

٧٥- أبو المظفر سعيد بن محمد السنارى القاهرى المصرى أحد أمهر أهل الظاهر فى الفقه والحديث والبلاغة والشعر وله باع طويل فى تقصى الرواة والوقوف على أحوالهم، التقيناه مرارا وأخبرنى أنه أعد مضبطة فيها العديد من رجال أهل الظاهر، وقد وقعت بيننا حوارات عديدة على عدة منتديات وملتقيات منها ما وقع بيننا بشأن الغناء والموسيقى، ودلالة الاقتران .

قلت: وأول ما تعرفت على السنارى كان على منتدى الألوكة ووقتها ظننته من قوة مشاركاته أنه أحد اساتذة الحديث بإحدى الجامعات، ولما اتصلت به للتعرف على حاله صعقنى بأنه لم ينل حظا من التعليم الأكاديمى، فظننته حصل على ليسانس أو بكالريوس

فأخبرنى أنه من خريجى المدارس الثانوية الصناعية، وأنه قرا الأدب واللغة على بعض المشايخ وتزيد فى الفقه والحديث فقلت والله إن السنارى أعظم من العديد من أساتذة الجامعات علما وتأصيلا، وهو فى الحادية والثلاثين من عمره.

ومن أعظم موضوعاته على الشبكة والتى تخص أهل الظاهر ما كتبه حول كتاب "إثارة العزم في الرد على ابن حزم "فقال ما نصه: عثرتُ على اسمه اتفاقا أثناء تجريدي لفوائد "الغيث المسجم في شرح لامية العجم "للصلاح الصفدي ..وقد فتَّشْتُ في بطون الدفاتر عن صاحب هذا الكتاب: فلم أظفر عنه بشيئ حتى الآن! ولعلني لم أُمْعن البحث كما ينبغي! لكن: نقل الصفدي عنه طرفا من نقْضه على ابن حزم والظاهرية في مسألة: (غسل الإناء من ولوغ الكلب، وما يتفرع عنها من مسائل ...). فانكشف لي بادئ الرأي: أن الرجل لا يعدو أن يكون واحدا من مقلدة المتمذهبين الذين ضاعت مواهبهم في الانتصار لأقوال مُقَلَّديهم دون الله ورسوله!! وقد استنبطتُ من حروف كلامه: أنه كان يرتسم خُطى أسلافه في امتطاط جواد تعصبهم، وإشهار سيوف نَزَقهم؛ للانتقام من الظاهرية عموما، وأبي محمد ابن حزم خصوصا! بعد تلك الفضيحة التي فضح بها أبو محمد الفارسي: كلَّ مقلد ومتعصب على ظهر البسيطة مما كان موجودا، ومما لم يخْلُقْه الله بعدُ! ولا بأس: إن ذكرنا هذا المثال، من ذلك الكتاب الغائب الحال! حتى يقف كل منصف على أساليب القوم في إشفاء غيظهم الذي لن يُشفى حتى يُشفى ذلك المحموم الذي أشرف على الهلاك! وجاءه الموت من كل جانب! فنقول: أخبرنا الشيخ الصالح أبو أنس أسامة بن السيد بن عبيد الأثري الحنفي المصري – إجازة بالمشافهة – عن شيخه عبد العزيز بن الصديق الغماري عن محمد عبد الحي الكتاني عن شيخه عبد الله بن درويش السكري الحنفي عن شيخه عبد الرحمن بن محمد الكزبري عن شيخه عمر بن عقيل المكي عن شيخه محمد مرتضى الزبيدي عن شيخه حسن بن عليّ العجيمي عن شيخه البرهان إبراهيم الميموني عن شيخه الشمس الرملي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن شيخه عز الدين ابن الفرات المصري عن العلامة الأديب صلاح الدين الصفدي أنه قال في كتابه "الغيث المسجم في شرح لامية العجم "١ / ٣٨ / طبعة المطبعة الأزهرية القديمة : إذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم في المسألة قال: (هذا

تعبُّد) كما يُعلِّل المالكي غسل الإناء سبعا من ولوغ الكلب؛ لأنه قائل بطهارته، فإذا أُورِدَ عليه الحديث وهو: (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبعا) قال: هذا شيئ تعبَّدنا الله به ... والحديث: رواه مالك في الموطأ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات) وفي حديث مسلم: (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن) وفي حديث آخر: (وعفروه الثامنة في التراب) ..... ثم قال الصفدي: وقال ابن حزم: وروى ابن القاسم عن مالك أنه: "إن كان في الإناء ماء أُرِيق وغسل سبع مرات، وإن كان فيه لبن أو زيت: أُكلْ ذلك! ثم لا يُغسل الإناء سبعا، لا أقل ولا أكثر! "وروى ابن وهب عن مالك أنه قال: "يُشرب الماء، ويُأكل اللبن، والزيت، ثم يُغسل الإناء سبع مرات! "قال [يعني ابن حزم]: وكلتا هاتين الروايتين [يعني عن مالك]: مخالفة لما أمر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم (..... - ثم قال الصفدي: (قال صاحب: "إثارة العزم في الرد على ابن حزم ": إن ابن حزم وأهل الظاهر في معزل عن فقه هذه المسألة وشبهها!! ولا شك أن هذه الأحاديث جاءت هكذا !؟ وقال الله – تعالى – في الكلاب: (فكلوا مما أمسكن عليكم).. فهذه الأحاديث: معارضة لعموم القرآن!! وعموم القرآن مقدم عند كثير من العلماء!

وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: لعدي بن حاتم: "إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك، قلتُ: وإن قتلن ؟ قال: وإن قتلن" ... ولم يأمره بغسل الصيد! ولو كان ريق الكلاب نجسا؛ لأمره بغسله، ولم يُؤخِّر البيان عن وقت الحاجة .....) انتهى..

قلتُ: هكذا يقول صاحب: "إثارة العزم! "وقد أثار بنقده ما كان يردده أسلافه من غلاة المالكية وغيرهم إزاء كلام أبي محمد الفارسي في هذا الصدد! ومَنْ أخبر القوم: أن الظاهرية – لاسيما أبي محمد الفارسي منهم – كانوا يرون العلة في غسل الإناء سبعا من ولوغ الكلب: هي النجاسة عندهم! حتى يصح لكل مغامر أن يشغب عليهم بمثل ما فهموه من حديث عدي بن حاتم الماضي قريبا! ؟ كيف: وتعليل النصوص عند أئمة الظاهرية مردود

البتة! اللهم إلا إذا جاء النص ومعه علته منصوصا عليها وحسب. فإذا كان: مناط غسل الإناء سبعا من ولوغ الكلب عند الظاهرية: هو مطلق الامتثال لنصوص الشريعة الصحيحة الصريحة في هذا الباب: ارتدَّ كل تشنيع طائش من كنانة كل متهور إليه ليصيب مقاتله! وهل من يُريد تعكير صفو مذهب الظاهرية في تلكم المسألة مع جهله بمسالك القوم في الاحتجاج: يكون مُنْتهجاً نهج الاستقامة فيما هو بسبيله من الأخذ والرد في ميدان النقد! أم يكون قابعا في سراديب قلة علمه! مسترسلا في ركضه خلف سمادير أغلاطه وسوء فهمه! ؟ ولو تأمَّل متأمل: لعلم أن التشنيع على الظاهرية هنا: هو والتشنيع عليهم في قضية البول في الماء الراكد: كلاهما يخرجان من مشكاة واحدة! أعني مشكاة: قلة التبصر في مغزى استدلالات أئمة القوم – وعلى رأسهم أبي محمد الفارسي – بنصوص الوحْيَيْن! وإذا كان صاحب "إثارة العزم "لا يرضى إلا بإلزام أئمة الظاهرية ما لا يلزمهم! يعني في دعوى أن العلة عندهم في غسل الإناء سبعا: هي نجاسة لعاب الكلب! فلا بأس إن جاريناه في تلك الدعوى العريضة جدا!

ولا بأس إنْ سلَّمنا له – ولأسلافه – بصحة تلك المقدمة المتصدِّعة! إذ ليس في موافقته – وغيره – على هذا الفهم العقيم: ما يبيح لهم الرشْق في هذا المعترك بنبال الملام، إزاء نحور أئمة القوم الأعلام! فضلا عن أن يكونوا على الحق في تلكم القضية البتة .. ولهؤلاء يُقال: أنتم قد درجتم على ضرب النصوص بعضها ببعض! فمتى كان في صريح السنة ما ينابذ مذاهبكم! إذا بكم تُزْبدون وتُرغون! ثم ترفعون عقيرتكم قائلين أو هاذِين: (هذا معارض لعموم القرآن!) كما فاه بذلك صاحب "إثارة العزم "فيما مضى عنه سابقا!! وقد تسلّط بتلك الداهية [أعني: صَكَّ النصوص في وجه بعض !]: طوائف من غلاة المقلدة وأهل الرأي في إبطال دلالات كثير من صرائح نصوص السنة النبوية! حتى تصفو لهم مذاهبهم من الكدر! وتتجمَّل أقوالهم الساقطة عند أهل الأثر! فشانوا محاسن الشريعة بتلك الضروب من تعطيل ما أنزل الله! بل وطَرَقُوا لخصومهم من أقحَّاح أهل البدع والأهواء، ما يتذرعون به في التنكب عن نصوص السنة النبوية إلا ما راق لهم وحسب! مع التشنيع الفاحش على الحفاظ والنقَلة ورواة الأخبار! في كونهم يروون المتناقضات! ويتناقلون

المتعارضات! كما فعل أبو القاسم الكعبي المعتزلي في كتابه: (قبول الأخبار والطعن على المحدثين!) ومثله الصاحب ابن عباد وجماعة من صناديد أئمة الضلال!

فَشَانَ هؤلاء وهؤلاء: الشريعةَ شَيْناً لا تغسله محيطاتُ العالم!! حتى سقطوا من حيث قاموا! وهامو في بحور أوهامهم حتى عاموا!! وقد شرحنا فضائح الفريقين في مكان آخر..

وعودٌ على بدءٍ فنقول: ليس في حديث عدي بن حاتم الذي ذكره صاحب "إثارة العزم "ما يلزم أن يكون لعاب الكلب غير نجس! فحاصل ما فيه: أنه مخصص لعموم تلك الأدلة القاضية بنجاسة ريق الكلاب وحسب! فكأن حديث عدي بن حاتم قد جاء رخصة، لمشقة التحرز من معالجة ما أمسكه الكلاب من الصيد الحلال، وبهذا أجاب غير واحد من حُذاق الأئمة المجتهدين ..وهذا الجواب: لمن يرى نجاسة ريق الكلب! أما من يَنْحي مذهب أبي محمد الفارسي والظاهرية: في أن الأمر بغسل الإناء سبعا من ولغ الكلب: هو أمر تعبُديٌّ محض، فلا يلزمه ما أورده عليه صاحب: "إثارة العزم "أصلا! كما مضى بيان ذلك سابقا ..

والحاصل: أن كل من يناهض الظاهرية في تلكم المسألة بمثل ما ناهضهم به صاحب "إثارة العزم "لا يكون إلا مقرا بقلة اطلاعه، مع سعة دائرة تنطَّعه، إزاء برهان خصومه فيما هو بصدد مناطحتهم فيه!! ويُرْثَىَ لمن يُطْلق لسانه بكل عدوان: في جبال الأئمة، وشوامخ الأمة، في مثل تلك المسائل التي تدور في فلكها رَحَىَ الاجتهاد، والأخذ والرد بين فقهاء العباد...

وهناك صنوف من الدهماء: تراهم لا يُرْعون عن سفههم وطيشهم! إلا بعد أن تُعْرك آذانهم! وتُشدَّ أطرافهم! ويَعْمَلُ في أجسادهم: مِبْضَعُ التقريع والتوبيخ! ولنا عودة بعد عودة، كما للحق صولة بعد جولة .. والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون..... وكتبه: أبو المظفر سعيد بن محمد السِنَّاري القاهري .. ذلك الأثيم العاثر. سامحه الله...

قلت: أبو المظفر دوما يذكر ابن حزم بأبى محمد الفارسى إشارة إلى نسبه الفارسى وكنيته المشهور بها .

من مصنفاته:

١- أشهر السفاحين فى التاريخ.

٢- مشاهير النساء العزاب.

ومن تحقيقاته الماتعة:

١- تحقيق وتقديم طبائع الاستبداد للكواكبى.

٢- تحقيق فتاوى ابن الصلاح.

٧٦- الطيب بن محمد بن الطيب بن يحيى العامري النائلي الإدريسي الهاشمي القرشي سبق ذكره فى الفقهاء

٧٧- نور الدين بن محمد الحميدي الإدريسي أبو صهيب. فى السابعة والعشرين من عمره تقريبا. من مواليد برج العقرب، وهو من النسل الشريف فهو إدريسى النسبة، ويعلم الله أنه من خيرة شباب أهل الظاهر ولديه دراية بالحديث عجيبة بارك الله فيه ووفقه وسدد على طريق الخير خطاه .

وقد كتب إلينا قائلا: محل الإقامة: المغرب _ الدار البيضاء. الشواهد: حاصل على شهادة الإجازة في الدراسات الإسلامية، ومسجل بالماجستير . التخصص: العلوم الشرعية، وعلم الحديث بالخصوص، ومعتنٍ بالتحقيق وإحياء التراث، ومن مقالاته الماتعة والتى نثبتها هنا بنصها: ذم الغناء على لسان الإمام ابن حزم -رضي الله عنه-

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

لعل أول اسم يجري على الألسن عندما تطرق مسألة إباحة الغناء -أو السماع-[1] الآذان، هو: اسم الإمام الأشم والطود الشمم ابن حزم -رحمه الله-، وهذا أمر يتقاسمه العلماء وطلبة العلم، وكذا العامة من الناس، فحظُ شهرةِ الإمام بهذه المسألة من العامة،

(١) أقصد بالغناء هنا، الغناء المصحوب بالآلات، و قد عبرت عنها بإباحة المعازف في موطن آخر، و هو أبعد عن اللَّبس و الاشتباه .

ليست بأقل من حظها بين المنتسبين للعلم، و مكمنُ العجب هو وجود أئمة كبار قبل وبعد الإمام –رضي الله عنه– قالوا بهذا القول، وذهبوا إلى الأخذ به، ورغم ذلك فلا تذكر مسألة إباحة الغناء –أو السماع– إلا واقترن بها الإمام ابن حزم –رضي الله عنه– دون غيره، ولعل لهذه الشهرة معانٍ ودلالات، أبينها أن الإمام أقوى من احتج لهذه المسألة ووضحها وعضَّدَها، ونقض حجج المخالف بقوة برهانه، وسَعَة عارضته، و نصاعة بيانه.

إلا أن ما يجهله هؤلاء الذين سبق ذكرهم، ومعهم معظم متأخري الظاهرية –إن لم أقل كلهم–، وغيرهم من الطوائف الأخرى ممن وافق الإمام في هاته المسألة، أن الإمام ابن حزم–رضي الله عنه– ذم الغناء غاية الذم، و جعله من فضول الفعال، بل صرح بأن فيه مضرة للعبد في الدنيا والآخرة، و أنه لا تميل إلى سماعه، والسكون إلى تشنيف الأسماع به، إلا النفوس الخسيسة، و الهمم الدنيئة، المنشغلة بملذات الدنيا عن نعيم الآخرة الخالد.

ولعل العجب يذهب بك كل مذهب، وأنت تقرأ هذه المذام والمعايب التي ألصقها الإمام بالغناء ومن استهوى سماعه، وقبل بيان وجه الجمع بين صنيعه هذا وإباحته للسماع، نورد نص كلامه المتضمن لما أشرنا إليه ونبهنا عليه، وأول ذلك قوله مُعددا فوائدَ التعنِّي بالعلم:" لو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به، إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوساوس المضنية، ومطارح الآمال التي لا تفيد غير الهم، و كفاية الأفكار المؤلمة للنفس، لكان ذلك أعظم داع إليه. فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره، ومن أقلها ما ذكرنا مما يحصل عليه طالب العلم، وفي مثله أتعب ضعفاء الملوك أنفسهم، فتشاغلوا عما ذكرنا بالشطرنج والنرد والخمر والأغاني، وركض الدواب في طلب الصيد، وسائر الفضول التي تعود بالمضرة في الدنيا والآخرة، وأما بفائدة فلا."اهـ[1]

وذمَّه ثانية في سياق الحض على الانشغال بما يعود بالنفع يوم القيامة، وعدم الاغترار بملذات الدنيا الزائلة، فقال:"و إن ما تميل إليه النفوس الخسيسة من اللذات، بمناظر مألوفة متغيرة عما قليل، وأصوات مستحسنة، متقضية بهبوب الرياح، ومشام مستطرفة، منحلة بعيد ساعات، و مذاوق مستعذبة، مستحيلة في أقرب مدة أقبح استحالة،

(١) (الأخلاق و السير في مداواة النفوس، ٧٤) ط:دار البصيرة، ضمن مجموع.

و ملابس معجبة، متبدلة في أيسر زمان تبدلا موحشا باطلا."اهـ[1]

فبتأمُّلٍ يسير في معرض ذكره للأغاني في النص الأول، والأصوات المستحسنة في النص الثاني، تدري بيقين أنها في مصافِّ المحظورات والممنوعات.

ووجه التوفيق بين إباحته للغناء وما تقدم نقله، فالظاهر –الذي لا أقطع به–: أن الإمام –رضي الله عنه– كان يرى في خاصة نفسه الترفع عن الغناء، بل طرْحَه ونبْذه. جاعلا ذلك مذهبا له في خاصة نفسه، وأما إباحته للمعازف، فإن الإمام سار في ذلك على طريقته في بيان الحق وإيضاحه، وإن خالف من خالف، فإباحته للغناء اقتضاه البحث العلمي، وأوجبه النظر الصحيح في حجج المجوزين والمانعين، فدعاه داعي الحق والإنصاف للانتصار للدليل اللائح، و تأييد القول الذي قام البرهان على صحته، وهو قول من جوز الغناء بحسب مُؤدَّى نَظَرِ الإمام رضي الله عنه.

وهذا الصنيع –أي كونُ العالم يأخذ في خاصة نفسه بخلاف ما يقرره في كتبه، أو يفتي به الناس فيما هو من المباح– أمرٌ درج عليه أهل العلم قديما وحديثا.و ذلك تورعا منهم، و احتياطا لدينهم، وتصونا عن الوقوع في المحظور، فتجدهم يلزمون أنفسهم بما لا يلزمون به غيرهم.و آخُذُ ببصرك لكلام نفيس سطره الإمام الحافظ أبو عبد الله الذهبي–رضي الله عنه– مع ذيل له، وإن كان مخرجا عن الغرض ففيه فائدة، إذ له صلة بما نحن فيه، فقد قال عند ذكره للصنف الأخير من السماع، وهو المكروه منه: "وأما المكروه: فبالإكثار من حضور السماع بالكف والدف.

وأما حضوره بالدف وبالشبابة، فأنا متوقف في تحريمه بعد، مع اعتقادي بأنها مكروهة. وغالب السماع من الباطل لا من الحق في شيء، ولكن الباطل منه مباح، ومنه مكروه، و منه محرم.

فتدبر هذا، ولا تبادر إلى تحريم ما وسَّع الله على عباده فيه وعفا فيه عنهم.

ومن صور السماع التي يكون فيها عبادة: ليلة العرس لمن يحتسبه، و في يوم العيد لمن يتخذه تأسيا بنبيه –صلى الله عليه وسلم– وقد قال تعالى:(لا تلهكم أموالكم ولا

(١) (الإحكام في أصول الأحكام، ٩/١) ط:دار الكتب العلمية.

أولادكم عن ذكر الله)، يعني عن صلاتكم وعبادتكم، فمن ألهاه الغناء عن عبادة الله وعن الصلاة فهو من الخاسرين.

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله: (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما).

فما عنَّفهم عز وجل على التجارة الرابحة واللهو الذي لم يحرمه علينا، إلا إذا تركوا الجمعة والجماعة والصلاة المفروضة لذلك، و سكت عما عدا ذلك فهو مما عفا عنه، وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– صاحب الملة الحنيفية السمحة، يتبسم ويضحك، و ربما مزح وجارى زوجته، وأركب ابني بنته الحسن والحسين على ظهره، وقال:" نعم الجمل جملكما".

ويركب الفرس عريانا، ودخل يوم الفتح على ناقته وهو يرفع عقيرته –بأبي هو وأمي– ويُحسِّن صوته بقراءة سورة الفتح ويقول:" أ أ أ أ "، ويقول :" يا عامر أسمعنا من هُنَيْهَاتك".

ويتفرج على لعب الحبشة وزفتهم هو وزوجته إلى غير ذلك، وأين القحولة والكلاحة والقطوبة من شمائله الكاملة؟

وهو محبٌّ للنساء اللاتي هن من زينة الدنيا، و للطيب والثياب النقية الجميلة والحلوى، والعسل واللحم، و الصوت الطيب لا سيما بأصدق كلام وأفصحه وأطيبه. (١)

وكان عليه السلام يحب الطيبات ولا يكثر منها، إذ الإكثار من المباحات يضيع الأوقات عن فعل القُرَب والطاعات، فإنه كان عليه والصلاة والسلام مع وصفه بما ذكرنا صوَّاما قوَّاما بكَّاءً من عظمة الله، أوَّاها منيبا حليما وقورا، إليه قد انتهى الحلم والعلم، والسخاء والنبالة والشجاعة، وفيه جُمِعت المحاسن والأخلاق الحميدة المرضية.

وبمجموع ما ذكرنا وبأمثاله صار أكملَ الخلق كلهم صلى الله عليه وسلم."اهـ. (٢)

ولي هنا لفتة ألمح فيها إلى قرائن دفعتني لترجيح ذلك الوجه الجامع بين إباحة الإمام

(١) قلت: و للإمام الذهبي رحمه الله كلام شبيه بما قاله هنا في كتابه (جزء في التمسك بالسنن، ٣٥)ط: مكتبة المعارف، سنة: ١٤٢٤هـ.

(٢) نقلا من كتابه (الطب النبوي، ٤٢١و ما بعدها) ت: عادل أبي المعاطي.

للغناء، وبين ذمه له، وهي كالآتي:

١ -أنه وسم النفوسَ الميَّالةَ لسماع الأصوات المستحسنة بالخسة (أي الدناءة)، عند ذِكْرِه لأفضل ما يشغل به الإنسان نفسه، وهو طلب العلم والهُدى المُنجي يوم القدوم على الله تعالى، ومن طالع كتب الإمام–رضي الله عنه– الحاضَّة والآمرة بالاقتصار على ما تجدي عائدته في الدنيا والآخرة من أعمال البر والطاعات، عَلِمَ –عِلْم يقين– أن الإمام كان أرفع من يشغل نفسه بلذة زائلة آفلة، بل مُضرِّةٌ بدنياه وآخرته، فراجع مقدمة (الإحكام) مثلا، ويغنيك كتاب (التلخيص لوجوه التخليص)، فحري بكل امرء يسعى للخلاص أن يعض عليه بالنواجذ.

٢ -و أنه ذم الغناء في معرض بيان فائدة العلم، ومنها صرفُ طالبه –أي العلم– عن المُلهِيات وسفاسف الأمور، ولا شك أن الإمام –رضي الله عنه– تحصلت لديه هذه الفائدة بالتجربة والمشاهدة، أي أنه رأى في العلم شُغْلا عن إضاعة الوقت في المباحات، المؤدية لإفساد دين ودنيا المرء، ومن طالع حياة الإمام –رضي الله عنه– العلمية، وتتبع مؤلفاته ومناظراته، علم أن من حصَّل تلك العلوم التي حصلها الإمام، كان من أبعد الناس عن التوسع في المباح، وهدر الأوقات في نيله، فالرجل من أوسع أهل الإسلام في العلوم وفي التأليف، وهذا لا يتأتى إلا بالانشغال التام بالعلم، والتفرغ له والتهمم به، والترفع عن الملذات والمُلهِيات.

٣ -و أنه ذكر الشطرنج، وقد انتصر لإباحته في "المحلى"، وكذا ذِكرُهُ للصيد مع أنه مباح، وقَرَنَهما بالغناء وحَكَمَ على هذه الأمور بأنها من الفضول المُخِلَّة بدنيا ودين المرء، مما يدل على أنه كان يرى في خاصة نفسه الترفع عنها، والتجانف عن مقارفتها، مع وجود الداعي إلى ذلك، فهو نشأ في بيت وزارة ونباهة، يحذو في معاشه وأحواله حذو أهل المُلك والرياسة، ولكن من رام معالي الأمور، ترفع عن دناياها وسفاسفها.

هذا ما تأتى لي كتبه مع تبلبل البال، واضطراب الصدر، وتفرق همته شَذَرَ مَذَر، وتناوب حوادث الدهر، التي أخذتْ من القلب كُلٌّ منها بطرف، وما أود التنبيه عليه قبل إيقاف نزف

المداد، أن هناك نكتة خفية، و فرقٌ من الفروق الدقيقة، التي غابتْ عن كثير ممن أعمل فكرَه، وأسال حبرَه، عند خوضه في هاته المسألة، وهي:

التفرقة بين الغناء الذي يكون للفسحة وللترويح عن النفس، والغناء الذي يُجعل قُربة وزُلفة إلى الله تعالى، ويدرجه مُجَوِّزوه ضمن العبادات والطاعات التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وهذا بيان مقتضب لهذه النكتة :

فأما الأول –أي سماع الغناء للفسحة–: فهو الذي يَقْصِدُهُ الظاهرية بالجواز، وعلى رأسهم الإمام ابن حزم رضي الله عنه، وكذا كل من حُكي عنه الجواز من التابعين وو تابعيهم، ومن تقدم من أهل العلم والفقهاء، فسماع الغناء عند هؤلاء يشمله حكم المباح ليس أكثر.

وأما الثاني –أي سماع الغناء تَعَبُّدًا–، فهذا الصنف ظهر مع ظهور المتصوفة، وبالخصوص المتأخرين منهم، فهم يرون سماعه زُلفة وقُربة إلى الله تعالى، وعبادة يتعبدون بها الله تعالى، وعلى رأس هؤلاء ابن طاهر المقدسي الظاهري، وقبله أبو عبد الرحمن السُّلمي – صاحب الطبقات–.

والظاهرية –و من معهم– يرون أن هذا الصنف من الغناء بدعة منكرة، وزيادة في الدين محدثة، لم يتعبدنا الله تعالى بها في كتابه ولا على لسان نبيه –صلى الله عليه وسلم–، و هي مردودة على وجوه أصحابها شرَّ رَدٍّ، وقد بلغ هذا الغناء عند هؤلاء القوم مبلغا غاية في الشناعة، من رقص ومخالطة للمِردان والنسوان والفسقة مما شرُّه معلوم مشهور.

وهذا هو الغناء الذي قَصَدَهُ العلماء بالتأليف في تحريمه بدايةً: كالإمام أبي الوليد الطرطوشي، والقرطبي، و ابن القيم، وابن رجب وغيرهم، فهؤلاء الأئمة لهم تواليف في حُرمة السماع، وإنما قَصْدُهم الأول بالسماع، هو: السماع الصوفي الذي استشرى في زمانهم أمره، واستفحل شره، وعمَّ ضرره، فألفوا في الرد على القوم، فأجادوا في الرد عليهم رحمهم الله تعالى.

نعم..، أغلبهم حرم حتى الغناء المباح المقصود للفسحة، ومن أمعن في صنيعهم ما حرموا سماع الغناء المقصود للفسحة إلا سَدًّا للذريعة، وإغلاقا للأبواب، وإيصادا للمداخل،

التي قد ينفذ منها القوم لنيل مبتغاهم، هذا والله تعالى أجل وأكرم.

وسأشرع –إن شاء الله – في كتابة رد بخصوص هذه المسألة على أحدهم، أبين فيها هذا الفرق بتفصيل، وبنقل كلام للإمام أبي الوفا ابن عقيل وشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمهما الله– في بيان هذا الفرق والتنصيص عليه، هذا ما تم تسطيره، وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ذنبي وخطيئتي، وأن يطهر من الجرائر سريرتي، وأن يتجاوز عما حوته هذه السطور من خطأ وزلل، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

انتهى من كتابته: نور الدين بن محمد الحُميدي الإدريسي البيضاوي، عشية يوم الأربعاء ١٧ رجب ١٤٣١هـ، الموافق لـ٣٠يونيو ٢٠١٠م، بمنزله.

المفسرون من أهل الظاهر

١-القاضى أبو على الواسطى محمد بن موسى (ت ٣٢٠هـ) ذكر السيوطى أنه كان أحد علماء التفسير ([1])، سبق ذكره فى القضاة .

٢-ابن عرفة الظاهرى المعروف بنفطويه سبق ذكره فى النحاة، ومن مصنفاته فى التفسير كتاب غريب القرآن.

٣-أبو الحسن عبدالله بن أحمد بن محمد بن المغلس سبق ذكره فى الفقهاء، ومن مصنفاته فى التفسير كتاب (أحكام القرآن) ([2])

٤- المنذر بن سعيد البلوطى سبق ذكره فى القضاة. صنف كتاب "أحكام القرآن" والمعروف باسم "الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله" وهو مفقود إلا أن ابن جزى نقل عنه فى كتابه "التسهيل لعلوم التنزيل"، ويستطيع الباحث أن يقف على بعض أقوال الإمام المنذر فى كتابه الأحكام إذا ما طالع تفسير ابن جزى.، وكذا نقل منه الإمام القرطبى فى تفسيره، وكذا نقل منه الإمام ابن القطان الفاسى فى كتابه "الإمتاع فى مسائل الإجماع". وللمنذر كتاب الناسخ والمنسوخ وهو من الكتب المفقودة أيضا، إلا أننا نستطيع أن نقف على بعض من أقواله فيه فى كتاب "الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم" للقاضى ابن العربى المالكى الذى اقام الدنيا ولم يقعدها على أئمة الظاهرية نقدا وتجريحا .

٥-الإمام الحافظ محمد بن على لكرجى القصاب (ت سنة ٣٦٠هـ أو بعدها بقليل) وسمي رحمه الله بالقصاب لكثرة ما قتل من الكفار في مغازيه، ومما قيل فيه شعراً: وفي الكرج الغراء أوحد عصره .... أبو أحمد القصاب غير مغالب، وعرف بالكرجى نسبة إلى مدينة الكرج بين همدان وأصبهان، وحاليا تقع بغرب إيران .

وكان الإمام القصاب صاحب عقيدة قويمة ومنهج قائم على البرهان والدليل رافضا

(١) أنظر: السيوطى، طبقات المفسرين، ص١٠٢.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٣٠١.

للتقليد والرأى والقياس رحمه الله منتقدا للقائلين بذلك، فنحى منحى أهل الحديث فوافق أهل الظاهر بذلك وصار واحدا منهم .

صنف "نكت القرآن الدالة على البيان فى أنواع العلوم والأحكام" وقد صدر الكتاب عن دار ابن القيم وابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ، بتحقيق الدكتور على بن غازى التويجرى .

ويبدو الرجل فى كتابه النكت متألقا صاحب منهج تأصيلى جلى، فهو يناقش وينتقد ويدلل ويبرهن ويصول ويجول بآلية قوية فى الطرح والتنظير ويأتى على كل شبهة بالحجة والدليل .

وقد أكد الدكتور بدر بن إبراهيم المهوس رئيس قسم أصول الفقه بجامعة القصيم، أن الإمام القصاب يأخذ بمذهب الظاهرية كما تدل عليه اختياراته في تفسيره. قال: وقد سجل أحد طلابنا هذا الموضوع لرسالته للماجستير.

٦-أبو القاسم على بن الحسن الهروى القاضى الداودى (ت ٤١٨هـ) قال الذهبى مصنف التفسير (١)

٧-ابن حزم الظاهرى وقد ذكر فى الوزراء، ومن مصنفاته فى التفسير ١- رسالة فى آية فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك. ٢- كتاب فى تفسير حتى إذا استياس الرسل.

وقد انشغل العديد من الباحثين بجهود ابن حزم فى التفسير ومن الكتب التى صنفت عنه فى هذا المضمار :

١- محمد عبدالله أبو صعيليك، ابن حزم وآراؤه في علوم القرآن والتفسير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، بدار البشير بعمان الأردن قسم المؤلف كتابه إلى قسمين:

أ – دراسة آراء ابن حزم في علوم القرآن: ص ٥ . ٩٨.

وتناول فيها المواضيع التالية: المتشابه - الحروف السبعة وبقاؤها في المصحف. – مصاحف الصحابة .– المجاز - النسخ - التأويل -. ترجمة القرآن - ترتيب سور القرآن -. إعجاز القرآن. و سار في كل فقرة منها على منهج محدد تمثل فيما يلي:

•التعريف بالمصطلح المراد دراسته في اللغة والاصطلاح

(١) أنظر: تاريخ الإسلام، السنين من ٤٠١-٤٢٠هت، ص٤٥٠.

•ذكر آراء العلماء في المسألة مع الأدلة.
•ذكر رأي ابن حزم فيها ودليله • مناقشة الآراء جميعا والخلوص إلى الرأي الراجح.
ب) دراسة ما نقل عن ابن حزم في التفسير: ص ٩٩. ٢٩٩.

وقد جمع ما تيسر له الوقوف عليه من تفسير هذا الإمام ثم رتبه حسب ترتيب السور، مع توثيق النقول ومقارنتها بكتب التفسير الأخرى والتعليق على كل ذلك. وقدم المؤلف لهذا القسم بمقدمات تناول فيها آراء ابن حزم في بعض المسائل مع المناقشة السابقة في علوم القرآن، وتلك المسائل هي: معنى التفسير عند ابن حزم - حكم تعلم علم القرآن. -أنواع البيان القرآني. -رأيه في وجود المجمل في القرآن. -المصادر التي يستمد منها التفسير -رأيه في التفسير بالرأي. -تعريفه ببعض كتب التفسير وعلوم القرآن. - التنبيه على بعض الإسرائيليات .

٢- آراء ابن حزم الظاهري في التفسير جمعا ودراسة (رسائل جامعية مصورة (لمجموعة باحثين
الملف الأول: من سورة التوبة، آية (١٠٤) الي نهاية سورة النور رسالة ماجستير من الباحث: عبد الله بن اسحاق ماورو – جامعة أم القرى
http://www.ibnhazm.net/files/arae-ibn-hazm-tafsir1.rarالملف الثاني: من
بداية سورة التوبة الي نهاية آية (١٠٣) من السورة رسالة ماجستير من الباحث: علي بن جريد بن هلال العنزي – جامعة أم القرى
http://www.ibnhazm.net/files/arae-ibn-hazm-tafsir2.rar
الملف الثالث: من الآية (١٣٦) من سورة النساء الي الآية (٥) من سورة المائدة رسالة ماجستير من الباحثة: حنان بنت عيضه بن دوخي بن عثمان الشبيتي – جامعة أم القرى
http://www.ibnhazm.net/files/arae-ibn-hazm-tafsir3.rar
الملف الرابع: من الاية [٢٠٤] من سورة البقرة الى نهاية السورة رسالة ماجستير من الباحثة: بدرية بنت عطية بن حمزة الحرازي الشريف
http://www.ibnhazm.net/files/arae-ibn-hazm-tafsir4.rar
الملف الخامس: من الآية (٣٥) الى الآية (١٣٥) من سورة النساء رسالة ماجستير من الباحثة: دلال بنت محمد بن أحمد بايحي – جامعة أم القرى
http://www.ibnhazm.net/files/arae-ibn-hazm-tafsir5.rar

٣- د. أحمد طاهر عبدالرحمن النقيب، منهج المدرسة الظاهرية فى تفسير النصوص الدينية (دراسة فى تراث ابن حزم)، دار ابن حزم، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، وهو كتاب ماتع ويحتاج لعقلية واعية لتستوعب ما بسطه المؤلف من طروحات .

٤- د. نعمان بو قرة، تفسير النصوص وحدود التأويل عند ابن حزم الأندلسي.

٨-أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبدالرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد الأموي القرطبي الإمام العلامة المحدث المسند قاضي الجماعة. فى عهد الموحدين سبق ذكره فى القضاة، ومن مصنفاته فى التفسير الآيات المتشابهات .وقد تأثر بالقاضى شريح بن محمد الظاهرى، وبالإمام السهيلى وعبدالحق الإشبيلى المالكيان، ووجد دعما قويا من المنصور الموحدى فى أحكامه وتفسيراته([1]).

٩-ابن نباتة الظاهرى له فى التفسير تفسير العشاب فى عشر مجلدات مفقود وتفسير مختصر فى مجلدين مفقود أيضا([2]) ذكر فى المحدثين .

١٠-أبو حيان الغرناطى الأندلسى النحوى والمفسر الشهير (ت ٧٤٥هـ): محمد بن يوسف بن علي بن حيان بن يوسف الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر النحوي اللغوي فريد الدهر وشيخ النحاة في عصره وإمام المفسرين في وقته وصاحب التصانيف المشهورة التي سارت شرقا وغربا أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني بالجيم الغرناطي ثم المصري.

مولده: ولد أواخر شوال بطخشارش وهي مدينة مسورة من أعمال غرناطة في سنة اثنتين وخمسين وستمائة وقيل في شوال سنة أربع وخمسين .

شيوخه: شرع في طلب العلم سنة سبعين وأخذ علم العربية ببلده عن جماعة أشهرهم أبو جعفر ابن الزبير وعنه أخذ علم الحديث بالمغرب وقرأ عليه وعلى غيره بالروايات وأخذ شيئا قليلا عن مشايخ شيخه أبي جعفر المذكور والأخذ عن أبي علي الشلوبين وقرأ بغرناطة

(١) النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص١١٧.

(٢) أنظر: الدكتور توفيق الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٣٥١.

القرآآت والنحو واللغة وسمع كثيرا ونظم وأقرأ بها العربية من سنة أربع وسبعين وما بعدها، وممن سمع عليه الحديث بغرناطة أبو جعفر بن بشير وابن الطباخ وأبو علي بن أبي الأحمر وأبو الحسن بن الصائغ وغيرهم وبمالقة أبو عبد الله محمد ابن عباس القرطبي وببجاية أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني أبو محمد عبد الله بن هارون وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن عتاب وبالإسكندرية عبد الوهاب بن حسن بن الفرات روى له بالإجازة عن الصيدلاني وابن ياسين والارتاحي وأبو بكر عبد الله ابن أحمد بن إسماعيل بن فارس حدثه عن سنان وبمكة ومنى أبو الحسن علي بن صالح الحسيني ويوسف بن إسحاق الطبري نبأه عن ابن البنا وشيوخه بالقاهرة ومصر كثيرون منهم عبد العزيز ابن الصيقل الحراني ومحمد بن إسماعيل بن الأنماطي وعبد الرحمن ابن خطيب المزة وغازي الحلاوي ومحمد بن إبراهيم بن ترجم وشامية بنت البكري والحافظ شرف الدين الدمياطي فأكثر عنه .

وسمع أيضا بمالقة والمرية والجزيرة الخضراء وجبل الفتح وغيرها .

رحلاته: ارتحل عن الأندلس في أول سنة سبع وسبعين وسمع بسبتة وببجاية وتونس والإسكندرية وقرأ بها القرآآت أيضا وحج في هذه السنة فسمع بمكة ومنى ورجع على جدة فسمع بها وبعيذاب وقوص ثم قدم مصر في سنة ثمانين وستماية فأدرك أبا الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجي وهو آخر من قرأ على أبي الجود فقرأ عليه وقرأ العربية على الشيخين رضي الدين القسنطيني وبهاء الدين ابن النحاس وقرأ عليه كتاب سيبويه وأخذ علم الأصول عن الإصفهاني وعلم الحديث عن الدمياطي وغيره وسمع الكثير من نحو أربعمائة شيخ واجازه خلق يوفون على ألف وخمسمائة نفر وقد ذكر ذلك في كتاب سماه التبيان فيمن روى عنه أبو حيان .

وفى مصر سمع الكثير من مشيخة وقته وقرأ بها أيضا القرآآت والعربية وتصدر بها لإقراء العربية بالجامع الحاكمي والجامع الأقمر ودرس التفسير بالجامع الطولوني والقبة المنصورية ثم أضيف إليه مشيخة الحديث بها أيضا .

كان ظاهريا فانتمى إلى الشافعية وكان يقول محال أن يرجع عن مذهب الظاهرية واختصر منهاج النووي وتصدى لإقراء العربية بعد موت ابن النحاس سنة ثمان وتسعين وصار

شيخ النحويين من ذلك الوقت إلى حين وفاته وقرأ الناس عليه طبقة بعد طبقة حتى ألحق الأصاغر بالأكابر .

مصنفاته: صنف التصانيف المشهورة الكثيرة ذكر بعض الحفاظ انها تزيد على خمسين مصنفا منها:

١-إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب(مطبوع)

٢-البحر المحيط وهو تفسير (مطبوع)

٣-التذييل والتكميل في شرح التسهيل

٤-تقريب المقرب لابن عصفور

٥-اللمحة البدرية في علم العربية (مطبوع)

٦-منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك (مطبوع)

٧-ارتشاف الضرب من لسان العرب (مطبوع)

٨-النهر من البحر وشرح التسهيل.

٩- التجريد لأحكام سيبويه.

١٠-كتاب التذكرة نحو ثلاث مجلدات.

١١- التذييل والتكميل

١٢- النافع في قراءات نافع.

١٣-الأثير في قراءة ابن كثير .

١٤- تقريب النائي إلى قراءة الكسائي .

١٥- الإدراك في لسان الأتراك .

١٦- نور الغبش في لسان الحبش.

١٧- قطر الحبِّي في جواب أسئلة الذَّهَبي. ذكره أبو حيَّان في إجازته التي أجاز بها الصَّفديَّ، كما ذكره ابن حجر العَسقلاني، وموضوعُه أسئلة في التَّراجم تتصل بعدد من الأعلام المغاربة والأندلسيِّين تقدَّم بها الذهبي إلى شيخه أبي حيَّان ثقةً بدرايته التامَّة بأعلام تلك المنطقة وخبرته بأسمائهم واستيعابه لأخبارهم، ومعرفته بطريقة ضبط النُّطق بها عندهم.

١٨- النُّضار في المَسْلاَةِ عن نُضار. من لطائف تصانيف العلاَّمة أبي حيَّان الأندلسي المفقودة، ويقع في مجلَّد ضخم ترجم فيه لنفسه ولكثير من شُيوخه، ذكر فيه أوَّل حاله وابتداء أمره، وصفة رحلته واشتغاله، كتبه إثر وفاة ابنته الفاضلة والشابَّة الصَّالحة ((نُضَار)) (٧٠٢ - ٧٣٠هـ)، وقد تأثَّر جدّاً لوفاتها وخلَّد ذِكْرَها بهذا الكتاب وبقصائدَ عديدةٍ حزينة ضمَّنها ديوانه، وعدَّد فيها صفات ابنته وأخلاقَها وشدَّة اشتغالها بالقرآن والحديث وفنون من العلوم(١)، وقد وقف الحافظ ابن حجر (٨٥٢ هـ) على نسخة من الكتاب بخطِّ مؤلِّفه أبي حيَّان ومَدَحَهُ: "وقفتُ عليه بخطِّه وهو كثيرُ الفوائد "وقال: "استطرد إلى أشياءَ كثيرةٍ تشتمل على فوائدَ غزيرةٍ قد لخَّصتها في التذكرة "(٢) ويبدو أنها النُّسخةُ نفسُها التي آلت إلى الحافظ جلال الدين السُّيوطي الذي أكثر النَّقل عنه في كتابه بغية الوعاة في طبقات اللُّغويِّين والنُّحاة. ومن الكتب الصغار ما ينيف على أربعين تصنيفا وغالبها في القراءات والعربية.

تلاميذه :من أهمهم إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي السفاقسي صاحب كتاب "المجيد في إعراب القرآن المجيد "وعبد الرحيم بن الحسن بن علي جمال الدين الأسنوي وأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي صاحب "الدر المصون" والحسن بن القاسم المرادي ومحمد بن أحمد بن قدامة المقدسي وابن عقيل وابن هشام الأنصاري.

صفته: قال الصفدى: كان شيخا طوالا حسن النغمة مليح الوجه ظاهر اللون مشربا بحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها لم تكن كثة .

تقريظ العلماء له: قال الذهبي هو الإمام العلامة ذو الفنون حجة العرب عالم الديار المصرية وصاحب التصانيف البديعة وله عمل جيد في هذا الشأن وكثرة طلب.

وقال العلائي كان علامة كثير النقل والإطلاع جدا إلى مالا يوصف لكنه ظاهري التصرف جامد في البحث وكان لسانه مسترسلا في الوقيعة في الناس جدا إلى آخر عمره لا يتورع عن ذكر أحد سواء كان من أئمة الإسلام المتقدمين أو المتأخرين فالله تعالى يسامحه

(١) انظر: الصفدى، الوافي بالوَفَيات ٧٧/٢٧ – ٧٨؛ ابن حجر، الدُّرَر الكامنة ١٦١/٦.
(٢) أنظر: الدُّرَر الكامنة ١٦١/٦، ٦١.

فإنه لم يقلع عن ذلك إلى آخر وفاته قال وسمعت منه أشياء من ذلك بشعة (١).
قال عنه شيخ القراء ابن الجزري ((له التفسير الذي لم يسبق إلى مثله، سماه البحر المحيط))(٢)
قال الصلاح الصفدي وهو الذي جسر الناس على قراءة كتب ابن مالك ورغبهم فيها وشرح لهم غامضها وكان يقول في مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهاء .

وقد ذكر صاحبه الكمال الأدفوي في كتابه البدر السافر له ترجمة طويلة نحو كراس وسرد أسماء جماعة من مشايخه وذكر عدد تصانيفه وقال إنه قرأ الفقه على مذهب الشافعي على الشيخ علم الدين ابن بنت العراقي بحث عليه المحرر للرافعي ومختصر المنهاج للنووي وحفظ المنهاج إلا يسيرا وعدد من تصانيفه الوهاج اختصر فيه المنهاج في الفقه وكان يميل إلى مذهب أهل الظاهر وكان سيء الظن بالناس كافة (٣)

وقال أيضا "كان ثبتا صدوقا حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم" (٤)

وقال الرعيني "هو شيخ فاضل ما رايت مثله كثير الضحك ولانبساط بعيد عن الانقباض، جيد الكلام طلق اللسلان ذو لمة وافرة وهمة فاخرة، له وجه مستدير وقامة معتدلة التقدير، ليس بالطويل ولا بالقصير(٥) ".

وقال السيوطي :نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرؤه ومؤرخه وأديبه.
وقيل عنه: كان أبو حيان شيخا حسن العمة مليح الوجه ظاهر اللون مشربا بالحمرة منور الشيبة، كبير اللحية مسترسل الشعر فيها، وكانت عبارته فصيحة بلغة أهل الأندلس، ويعقد القاف قريبا من الكاف على انه ينطق بها فى القرآن فصيحة (٦).

(١) أنظر الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ٢٣-٢٩.
(٢) أنظر :غاية النهاية في طبقات القراء، (2/286)
(٣) ابن قاضى شهبه، طبقات الشافعية، ٦٧/٣- ٧٠.
(٤) نقلا عن ابن العماد، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ١٤٦/٦.
(٥) نقلا عن المقرى، سابق، ٣٢١/٣.
(٦) أنظر: المقرى، نفح الطيب، ٢٩٥/٣.

زوجة أبى حيان: زُمُرُّدَة بنت أَبْرَق، والدة نُضارَ وأخيها حيَّان، وقد اهتمَّ الزَّوج العالم بإفادة زوجته زُمُرُّدَة فاصطحبها معه إلى مجالس المحدِّث الشَّهير أحمد بن إسحاق بن محمَّد الأبرقوهي (ت ٧٠١ هـ) وغيره، وسمعت منهم شيئاً كثيراً من العلم والحديث، ولذلك سمع منها واستفاد من روايتها المحدِّث الكبير القاسم بن محمَّد البِرزالي (٧٣٩ هـ) صاحب شيخ الإسلام ابن تيميَّة والمزِّي والذهبي وغيرهم، وتوفِّيت –رحمها الله– عام (ت ٧٣٦ هـ) بعد ابنتها نُضار بستِّ سنوات(١)

وقد أثنى الزَّوج العالم أبو حيَّان على زوجه زُمُرُّدَةَ –وكانت جميلةً سمراءَ– فقال : وَجَدتُّ بِهَا بَرْدَ النَّعِيمِ وَإِنْ يَكُنْ فُؤَادِيَ مِنْهَا فِي جَحِيمٍ ولأْواءِ وَشَاهَدتُّ مَعْنَى الحُسْنِ فِيهَا مُجَسَّداً فَاعْجَبْ لِمَعْنىً صَارَ جَوْهَرَ أَشْيَاءِ(٢)

أولاد أبى حيان: كان لأبى حيان من الأبناء حيان ونضار. أما نُضارَ فاشتغلت بالعلم، وأجاز لها أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير الغرناطي صاحب صلة الصِّلة، وأُحضرتْ على النَّسَّابة الكبير والعالم الشَّهير شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدِّمياطي وسمعتْ من شيوخ مصرَ من أصحاب ابن الزّبيدي وغيره، وحفظتْ مقدِّمةً في النحو، وكانت تكتب وتقرأ وتطالع، وخرَّجت لنفسها جزءاً حديثيّاً، ونظمتْ شعراً، وكانت تُعرب جيِّداً، ويعترف أبوها العلاَّمة أبو حيَّان بتفوُّقها على ابنه حيَّان حتَّى كان يقول : "ليت أخاها حيَّان كان مثلَها ".

ويُلاحَظ في الهامش الأيسَر من خاتمة نسخة من كتاب :المنتخب من حديث شيوخ بغداد لأبي العلاء محمود بن أبي بكر البخاري، تخريج أبي العبَّاس الظَّاهري، وانتخاب أبي حيَّان الأندلسي بخطِّه عام (٧٠٩ هـ). مجلسُ سماع حضرته نضارُ بنت أبي حيَّان وعمرها ٧ سنوات، وذكر لها اسماً تُدعى به هو: ((سودي)).حيث ذكر جملة من الحاضرين ومن بينهم ابنته فقال "فسمع بقراءتي الجماعةُ العلماء: المحدث الحافظ فخر الدين أبو عَمرو عثمان بن بلبان بن عبدالله المقاتلي، والمحدث الفَرَضي عماد الدين محمد بن علي بن حرمي الدمياطي، وشمس الدين محمد بن خليفة بن محمد بن خلف المنبجي، وشهاب الدين أحمد

(١) ابن حجر، الدُّرَر الكامنة ١٦١/٦.
(٢) نقلا عن المقرى، نفح الطِّيب ٣٢٥/٣.

بن إسماعيل بن عبدالله الأشمومي، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن يوسف بن أبي المجد المرشدي، وبنتي نُضار المدعوَّة (سودي). وصحَّ ذلك بتاريخ يوم الأربعاء العاشر لرمضان المعظم سنة تسع وسبع مئة، بحقِّ إجازة المُسمِع من أبي عبدالله المديني الأصبهاني بسنده (المعلوم). كتبه أبو حيان.

وقال عنها بدر النَّابُلُسي: "الفاضلة الكاتبة، الفصيحة الخاشعة النَّاسكة، وكانت تفوقُ كثيراً من الرِّجال في العبادة والفقه، مع الجمال التامِّ والظَّرف "(١).

قال أثير الدِّين أبو حيَّان النَّحوي الأندلسي في ابنته نُضار يذكر مرضَها وصبرَها ووفاتها، ويعدِّد خِلالها ومحاسنها أَمِنْ بَعْدِ أن حلّتْ نُضَيْرَةُ في الرَّمْسِ تطيبُ حَياتي أو تَلَذُّ بها نَفْسِي فتاةٌ عَراها نحو ستّة أشهر سَقامٌ غَريبٌ جاء مُختلِفَ الجِنْسِ فَحَبْنٌ وحُمَّى ثمّ سُلٌّ وسُعْلَةٌ وسَكْبٌ فمَن يقوى على عِلَلٍ خَمْسٍ وكانت رأتْ رؤيا مِراراً وأنّها تَروح من الدُّنيا إلى حَضرة القُدْسِ فَقَرَّ حَشاها واطمأنَّتْ لما رأَتْ جِنانًا وكانت من حَياةٍ على يَأْسِ فما ضَجِرَتْ يوماً ولا اشتَكَتِ الضَّنَى ولا ذَكَرَتْ ماذا تُقاسي من اليَأْسِ قَضَتْ نَحْبَهَا في يوم الاثنينِ بعدَما تبدَّى لنا قَرْنُ الغَزالةِ كالوَرْسِ فصلّى عليها النّاسُ يُثْنُونَ وانْثَنَوْا بها لضَريحٍ مُظْلِمٍ مُوحِشِ الطَّمْسِ يُؤَنِّسُهَا في رَمْسِهَا العمَلُ الذي تَقَدَّمَها أَعْظِمْ به ثَمَّ مِنْ أُنْسٍ وراحتْ إلى ربٍّ كريمٍ نظيفةً مُبَرَّأَةٌ من كلِّ ذَامٍ ومِنْ رِجْسٍ وما وَلَدَ النِّسْوانُ أُنثى شَبيهَها وأنَّى يُقاسُ الأنجُمُ الزُّهْرُ بالشَّمسِ وكانتْ نُضَارُ نِعْمَت الخَوْدُ لم تَزَلْ على طاعَة الرّحمن تُضْحِي كما تُمْسِي نَجِيَّةُ قُرْآنٍ تُرَدِّدُ آيَهُ مُقَسَّمَةً بين التَّدبُّرِ والدَّرْسِ وحاملةُ الآثارِ عن سيِّد الوَرَى محمَّدٍ المبعوثِ للجنِّ والإنسِ رَوَتْها بمصرٍ والحجازِ وجاوَرَتْ بمكّةَ تَسْخُو بالدَّنانيرِ لا الفَلْسِ وزارتْ رسولَ الله أفضلَ مَنْ مَشى بطَيْبَةَ واحْتَلَّتْ بأَرْبُعِهَا الدُّرْسِ مُصَلِّيَةً حيناً عليه وتارةً مُسَلِّمَةً في الجَهر منها وفي الهَمْسِ وحازَتْ جَمالاً بارعاً وفَصاحةً فأَوْضَحُ مِنْ شَمسٍ وأَفْصَحُ من قُسٍّ وتكتبُ خطًّا نادراً ذا بَراعَةٍ يُريكَ ازْدِهَاءَ الرَّوْضِ في أَبْهَجِ اللُّبْسِ فما الرَّوْضُ مَطْلُولاً تَفَتَّحَ زَهْرُهُ فَراقَ لذي عَيْنٍ وشَاقَ لذي حِسٍّ بأَبْهَجَ ممَّا قد وَشَتْهُ أناملٌ لها بسَواد النَّفس في أَبْيَضِ الطِّرْسِ فلو أَبْصَرَتْهُ لابنِ مُقْلَةَ مُقْلَةٌ لأَغْضَتْ حَياءً وَهْوَ قد عَضَّ في الخَمْسِ سقى

(١) نقلا عن ابن حجر، الدُّرَر الكامنة ٦/١٦١.

روضةً حَلَّتْ نُضَارُ بتُرْبها من المُزْنِ وَبْلٌ دائمُ السَّحِّ والبَجْسِ ولا زال تَسْقيه سحائبُ رحمةٍ تُواليه في آتٍ وحالٍ يَلي أَمسِ(١)

وفاتها: توفِّيت نضار عام (٧٣٠ هـ) إثر مرض شديد لازمها، فحزن عليها الجميعُ حزناً شديداً ووجد عليها أبوها وَجْداً عظيماً، ولم يَثبُتْ كما يقول الصَّفدي، وخلَّد ذِكْرَها بكتاب النُّضار في المَسْلاة عن نُضار .يقول الصَّفدي: "بلغني خبرُ وفاتها وأنا برحبة مالك بن طوق(٢) فكتبتُ إليه –يعني والدَها أبا حيَّان– بقصيدة أوَّلها:بَكَيْنَا باللُّجَيْنِ عَلَى نُضَارٍ فَسَيْلُ الدَّمْعِ فِي الخَدَّيْنِ جَارِي فَيَا لِلَّهِ جَارِيَةٌ تَوَلَّتْ فَنَبْكِيهَا بِأَدْمُعِنَا الجَوَارِي (٣) ظاهريته: قال الإدفوى: كان يميل إلى مذهب أهل الظاهر (٤) وقال العلامة المقريزى الظاهرى عن أبى حيان "كان ظاهرى المذهب متعصبا لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم" (٥).

قلت: أبو حيان الغرناطى بدا فى اول امره ماليكا ثم تحول إلى القول بالظاهر وكان يقول "محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه ."لكنه لما جاء إلى مصر، وجد أن المذهب الظاهرى مهجورا فيها فنظر فى أفضل المذاهب قربا للظاهرية فوجد الشافعى فاستحسنه إلى جانب مذهبه الظاهرى. ومن ثم لم يغير أبو حيان مذهبه إنما حاول ان يتعايش مع طبيعة التعصب التى كانت منتشرة فى وقته، وهى نفسها التى عانى منها ابن برهان الظاهرى، والمقريزى وغيرهما .

وبخصوص إشكالية قول أبو حيان "بحسب البلدة". فهذا لا يعنى أبدا أن الإمام كان يرى تغاير المذهب حسب حال البلد كلا. بل إنه أراد أن حاله منهجه الظاهرى والعمل به حسب حال البلد التى يحل فيها. وهو لما حل مصر وجد هجرانا للمذهب الظاهرى، ووجد أن الشافعى هوأقرب المذاهب للظاهرية فى عصره، خاصة أن الإمام داود بن على كان فى بداية أمره شافعى المذهب ثم صار ظاهريا. وكان ابن حزم مالكيا ثم شافعيا ثم ظاهريا. فبناء

(١) أنظر: ديوان أبي حيَّان الأندلسي، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ص٢٢٨-٢٣١.
(٢) بلدةٌ بين الرقَّة وبغداد على شاطىء الفرات. معجم البلدان ٣٤/٣.
(٣) أنظر: الوافى بالوفيات، ٨٧/٢٧.
(٤) ابن قاضى شهبه، طبقات الشافعية، ٦٧/٣- ٧٠.
(٥) أنظر المقفى الكبير، 7/505

على ذلك مال ابوحيان للشافعى وأعجب به لتعزيزه للسنة، فضلا عن عدم إسرافه فى الراى والقياس.

المهم الأمر عند أبى حيان بشان الشافعية لم يعدو الإعجاب، ومحاولة الجهر بقول اقرب ما يكون إلى الظاهرية. ومن ثم لما سئل عن ظاهريته هل تركها فقال "محال أن يترك الظاهر من علق بذهنه"

وأمر آخر فى إبطال من تعلق بكلمة أبى حيان "بحسب البلدة" على أنه هجر الظاهرية وصار شافعيا نقول لمن راى ذلك هل مصر كانت شافعية آنذاك ؟ الإجابة قطعا بالنفى. فنقول له كم مذهب كان وقتها؟ فيجيب قطعا أنهم كانوا أربعة ؟ فأيهم كان اكثر نفورا من التقليد والرأى ؟ الشافعى .وأيهم أكثر تعزيزا للسنة ؟ الشافعى .ثم نسأل من يذهب إلى أن ابا حيان كان شافعيا بناء على ما سبق. كيف كان حال الظاهرية فى ذلك العصر؟ هل كانوا آمنين أم مضطهدين؟ فلا مفر من ان يجيب بما طرحته المصادر من أن الظاهرية كانوا مضطهدين، وكان ينكل بهم، ويفصلوا من وظائفهم. ثم نسأله أيضا ماذا لو كنت أنت ظاهريا ثم جئت من بلد الظاهرية فيه أمرهم فى علو إلى بلد تضطهد الظاهرية هل كنت ستعلن ظاهريتك ؟!!! أم أنك ستحاول أن لا تظهرها بعض الشىء، وتتلمس فى غيرها ما يقاربها ؟ قطعا سيكون فعله مثل ما فعل ابوحيان الظاهرى رضى الله عنه .

أما ما ذهب إليه شمس الدين الراعي المالكي رحمه الله حيث قال " وحالة ابي حيان معروفة: كان مالكيا ثم شافعيا ثم ظاهريا ثم الله أعلم بما مات عليه". فهذا باطل وفساد قوله واضح من كلامه هو إذ إن أبا حيان ما أقبل على الشافعية وكتب فيها إلا بعد أن قدم مصر. فقد بدأ مالكيا شأنه شأن كل أندلسى، ثم ظاهرى، وظل هكذا عليه حتى الممات. لكن لما قدم مصر أعجب بالشافعية مع بقائه على ظاهريته.

ومما يؤكد ظاهريته وهو بمصر أن ابن دقيق العيد أنشد قصيدة وكان أبو حيان مواجها له وطلب منه تفسيرها ... فقال أبو حيان ما وصلت فى الظاهرية إلى هذا الحد؟![1] ومن الأدلة على ظاهريته عنايته بفكر ابن حزم أن اختصر المحلي في كتاب أسماه (الأنور

(١) الصفدى، الوافى، ٤/١٣٤.

الأجلى في اختصار المحلى)، واعتمد كثيرا من أحكام ابن حزم فى تفسيره (١) وقد دفعته ظاهريته إلى تطبيقها على النحو مثله في ذلك مثل ابن مضاء القرطبي حيث اتخذ السماع أساس كل حكم، ولم يقس إلا على ما كثر فيه السماع، وإذا اجتمع عنده السماع والقياس رجح السماع وأخذ به. بل إنه أرجع بعض الاختلاف والتعقيد في المسائل النحوية المعقدة إلى القياس الذى أفسد النحو وعقد دراسته (٢).

ومن دفاعه عن داوود وترجيحه لأقواله تتضح ظاهريته أكثر فأكثر وهذا نص قوله فى مسألة لحم الخنزير "ولحم الخنزير ظاهره أن المحرم منه هو لحمه فقط وقد ذهب إلى ذلك داود رأس الظاهرية فقال المحرم اللحم دون الشحم وقال غيره من سائر العلماء المحرم لحمه وسائر أجزائه وإنما خص اللحم بالذكر والمراد جميع أجزائه لكون اللحم هو معظم ما ينتفع به كما نص على قتل الصيد على المحرم والمراد حظر جميع أفعاله في الصيد وكما نص على ترك البيع ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَواةِ لأنه كان أعظم ما كانوا يبتغون به منافعهم فهو أشغل لهم من غيره والمراد جميع الأمور الشاغلة عن الصلاة وقال الزمخشري فإن قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لأن الشحم داخل في ذكر اللحم بدليل قوله لحم سمين يريدون أنه شحيم انتهى وقولهم هذا ليس بدليل على أن الشحم داخل في ذكر اللحم لأن وصف الشيء بأنه يمازجه شيء آخر لا يدل على أنه مندرج تحت مدلول ذلك الشيء ألا ترى أنك تقول مثلاً رجل لابن أو رجل عالم لا يدل ذلك على أن اللبن أو العلم داخل في ذكر الرجل ولا أن ذكر الرجل مجرداً عن الوصفين يدل عليهما وقال ابن عطية وخص ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم عينه ذكي أو لم يذك وليعم الشحم وما هناك من الغضاريف وغيرها وأجمعت الأمة على تحريم شحمه انتهى كلامه وليس كما ذكر لأن ذكر اللحم لا يعم الشحم وما هناك من الغضاريف لأن كلاً من اللحم والشحم وما هناك

(١) Asin placios , Abn hazam , P.318,319 ؛ وانظر: عبدالسميع محمد أحمد، ترجمة أبى حيان بكتابه البحر المحيط، مطبعة كويك حمادة الجريسى، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ١/١٣٩ ؛ الغلبزورى، المدرسة الظاهرية، ص٤٠٢-٤٢٨.

(٢) خديجة الحديثى، أبوحيان النحوى، ص١٤.

من غضروف وغيره وليس له اسم يخصه إذ أطلق ذلك الاسم لم يدخل فيه الآخر ولا يدل عليه لا بمطابقه ولا تضمن فإذن تخصيصه بالذكر يدل على تخصيصه بالحكم إذ لو أريد المجموع لدل بلفظ يدل على المجموع، وقوله أجمعت الأمة على تحريم شحمه ليس كما ذكر ألا ترى أن داود لا يحرم إلا ما ذكره الله تعالى وهو اللحم دون الشحم إلا أن يذهب ابن عطية إلى ما يذكر عن أبي المعالي عبد الملك الجويني من أنه لا يعتد في الإجماع بخلاف داود فيكون ذلك عنده إجماعاً وقد اعتد أهل العلم الذين لهم الفهم التام والاجتهاد قبل أن يخلق الجويني بأزمان بخلاف داود ونقلوا أقاويله في كتبهم كما نقلوا أقاويل الأئمة كالأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والثوري والشافعي وأحمد ودان بمذهبه وقوله وطريقته ناس وبلاد وقضاة وملوك الأزمان الطويلة ولكنه في عصرنا هذا قد حمل هذا المذهب ولما كان اللحم يتضمن عند مالك الشحم ذهب إلى أنه لو حلف حالف أن لا يأكل لحماً فأكل شحماً أنه يحنث وخالفه أبو حنيفة والشافعي فقالا لا يحنث كما لو حلف أنه لا يأكل شحماً فأكل لحماً وقال تعالى حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا والإجماع أن اللحم ليس بمحرم على اليهود فالحق أن كلاً منهما لا يندرج تحت لفظ الآخر (١).

وفى صدر تفسيره يؤكد ظاهريته بقوله" وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريباً أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس، بادئاً بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ، مرجحاً له لذلك، ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به، منكباً في الإعراب(٢)..

وقد وصف محقق الدر المصون فى علم الكتاب المكنون لابن السمين الحلبي(ت ٧٥٦هـ) بأنه تفسير يغلب عليه التفسير الظاهري تأثراً من ابن السمين بشيخه .

قلت: ومعلوم أن شيخه هو أبو حيان الغرناطى .

وهذا نص ما وقع بين صاحبنا ابن تميم وبين بعض أساتذته حول ظاهرية أبى حيان حيث قال ابن تميم: التقيت بالأستاذ الدكتور عبد اللطيف الخطيب وهو أستاذ اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الكويت ..وبحكم معرفتي به وبكتاباته سألته ..ما سبب انتحال كثير

(١) أنظر: تفسير البحر المحيط ٦٦٢/١ . ٦٦٣

(٢) أنظر: البحر المحيط، ١٠٣/١.

من أهل اللغة العربية للظاهر .. ؟ !فقال مبستما ..

السبب جلي لا يحتاج جواب.. فإن الظاهر تدل عليه لغتنا العربية .. وكل ما عداه فهو تأويل وتكلف من صاحبه سواء في التفسير أو الفقه أو غيرهما .. فأحيانا يخدع الشخص من يسمعه بأنه هذا المعنى مراد باللفظ في حين أن اللغة العربية تدفعه.. فلا يدل عليها لا من ظاهر صحيح ولا من خفي متضمن ..

ثم سألته عن أبي حيان الأندلسي وظاهريته بحكم أن رسالته في الدكتوراة كانت في كتاب التفسير المحيط لأبي حيان فقلت ..هل كان أبو حيان الأندلسي ظاهري .. ؟! أم أنه تحول عن فعلاً من خلال عملك في كتابه..

فقال.. وجدت من يقول أنه غيّر مذهبه إلى الشافعية.. لكنك تعلم أن الدعوى لا تصح إلا ببرهان.. ومن خلال عملي في كتابه وجدته ظاهرياً إلى أقصى درجة.. ومن قال أنه تحول عن هذا فعليه أن يثبت هذا..

فكتابه في التفسير مليئ بظاهريته عند المحقق المدقق.. وهو أجمل تفسير من الناحية اللغوية والأخذ بمدولول اللغة العربية دون تأويل ..فقلت له.. هل أنقل هذا عنك .. ؟ ! قال نعم وسأعطيك كذلك رسالة خاصة عن ظاهرية أبو حيان الأندلسي من تحقيقي وجمعي ..فشكرت له هذه المكرمة ودعوت له بالتوفيق ..([1]).

اتهامه بالتشيع وهو براء من ذلك: وقد مال ابو حيان إلى محبة الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه. فاتهمه البعض لأجل ذلك بانه شيعى. فهل هذا صحيح ؟ لا يمكن باى حال من الأحوال ان نصدق مثل هذه التهم لأنها تفتقد غلى الدليل اولا. وثانيا ان المتهم بهذه التهمة قد اتى عليها أصلا لما رد على الشيعة وأبطل معتقدها فى غير ما موضع من كتبه ومن ذلك قوله فى تفسير الآية ٧٤ من سورة الأنعام بتفسيره البحر المحيط "وقيل إن آزر عم إبراهيموليس بابيه، وهو قول الشيعة ن ويزعمون أن آباء اأنبياء لا يكونون كفارا، وظواهر القرآن ترد عليهم، ولا سيما محاورة إبراهيم أبيه فى غير ما آية" ([2])

---

(١) من موضوع لابن تميم على الدارة القديمة بعنوان: أبو حيان الظاهري ..! أو الشافعي! ..

(٢) أنظر: البحر المحيط، 4/164.

فهذا قول الإمام رضى الله عنه يؤكد فيه بطلان معتقد الشيعة، كما يؤكد فيه على ظاهريته.

مصادر أبي حيان الظاهري الفقهية (١): كان أبو حيان هو الأخر صاحب اهتمام بالدراسات الفقهية، ومهما غلب عليه تكوينه اللغوي فإن هذا لم يمنعه من التحصيل في الجانب الفقهي حتى عرف به، حيث كان ينعت بأنه ظاهري المذهب، وهو المذهب الذي نشأ عليه بالأندلس وفتن به، فكان يروى عنه قوله: محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من عرفه ..، وقد حمله ذلك على دراسة كتاب "المحلى "لابن حزم الظاهري، ولما زاد إعجابه به وضع له مختصرا سماه "الأنوار المجلى في اختصار المحلى "كما كان ينقل بعضا من كلامه في غير من موضع في البحر المحيط، من ذلك مثلا ما جاء في تفسير قوله تعالى: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك يتوب الله عليهم وهو التواب الرحيم "البقرة: ١٥٨

حيث يقول: وقال الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي فيما سمع منه أبو عبد الله محمد بم أبي نصر الحميدي الحافظ: الحظ لمن آثر العلم وعرف فضله أن يستعمله جهده، ويقرئه بقدر طاقته، ويحققه ما أمكنه، بل لو أمكنه أن يهتف به على قوارع طرق المارة، ويدعو إليه في شوارع السابلة، وينادي عليه في مجامع السيارة، بل لو تيسر له أن يهب المال لطلابه ويجري الأجور لمقتبسيه، ويعظم الأجعال للباحثين عنه، صابرا في ذلك على المشقة والأذى، لكان ذلك حظا جزيلا، وعملا جيدا وسعدا كريما، وإحياء للعلم، وإلا فقد درس وطمس، ولم يبق منه إلا آثار لطيفة وأعلام داثرة.

ولما خرج إلى المشرق واستقر بالقاهرة قيل أنه استمر على مذهبه الأول، وقيل أنه تحول إلى المذهب الشافعي، وهو الأشهر والأظهر، والدليل على ذلك أنه ألف هناك كتابا في الفقه الشافعي وهو "الوهاج في اختصار المنهاج "اختصر فيه كتاب "منهاج الطلاب "، وهو مختصر كتاب "المحرر في فقه الشافعي "للإمام النووي. وهكذا جمع أبو حيان في

(١) منقول من رسالة دكتوراه بعنوان: موازنة بين كشاف الزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان

تكوينه الفقهي بين المذهب الظاهري والمذهب الشافعي، وقد تجلى هذا التكوين في المادة الفقهية التي دبج بها تفسيره البحر المحيط. كما يغلب الظن أيضا أن أبا حيان الأندلسي كان على اطلاع كاف على مصادر المذاهب الفقهية الأخرى، السنية والشيعية وغيرها، وقد أفاد منها بشكل مباشر كما يفهم من كتابه البحر المحيط، فكان تارة يقتبس حرفيا مع التنصيص على ما نقله منها، وتارة يحيل عليها بأسمائها، مع إشارته إلى طريقة إفادته منها، مما زاد في قيمة هذه المادة الفقهية التي اعتمدها، وأقام عليها تفسير آيات الأحكام في كتابه البحر المحيط، وهي مصادر كثيرة جدا مقارنة معا ما اعتمده الزمخشري في كشافه.

ويمكن تقسيم مصادر أبي حيان في تفسير آيات الأحكام إلى قسمين:القسم الأول: مصادر أساسية وهي التفاسير التي اعتمدها كمصادر أساسية في انتقاء وجمع تفسيره البحر المحيط في مختلف جوانبه بما فيها المادة الفقهية، وهي تفسير الكشاف للزمخشري الحنفي، والمحرر الوجيز لابن عطية المالكي (ت: ٥٤٣ هـ)، والتحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي التونسي (ت ٤٤٠هـ)، والتحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لابن النقيب أبي عبد الله محمد بن سليمان، جمع فيه خمسين مصنفا من مصنفات التفسير في تسعين مجلدا.

القسم الثاني: مصادر ثانوية وهي التفاسير التي انتقى منها تفسير آيات الأحكام، ونذكر منها: الجامع لأحكام القرءان للقرطبي المالكي (ت: ٦٧٣هـ)، وأحكام القرءان لأبي بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) وجامع البيان لمحمد بن جرير الطبري الشافعي (ت: 310هـ)، وزاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي الحنبلي (ت: ٥٩٧هـ) والنكت والعيون في تأويل القرءان للماوردي الشافعي (ت: ٤٥٠هـ) ومفاتيح الغيب للفخر الرازي الشافعي (ت: ٦٠٦هـ) ومعالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ) وتفسير القرءان العظيم لابن كثير الشافعي (ت: ٧٧٤هـ) .ويضاف إلى ذلك بعض الكتب الفقهية المشهورة مثل المدونة الكبرى في الفقه المالكي، والمنتقى في شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي (ت: ٤٧٤هـ)، والأنوار الأجلى في مختصر المحلى من تأليفه، وغيرها من المصادر الكثيرة. والذي يرجع إلى البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي يلحظ لأول وهلة

أنه استفاد بشكل واسع من هذه التفاسير في تفسيره لآيات الأحكام، فلا يمر بآية من هذه الآيات حتى يفيض في نقل آراء المفسرين والأئمة المجتهدين من مختلف المذاهب، سواء كانت تلك المذاهب الأربعة المشهورة، أو تلك المذاهب التي ظهرت حينا ثم اندثرت، كمذهب الليث بن سعد والأوزاعي، وداود الظاهري وغيرها، كما ينقل آراء فقهاء الصحابة والتابعين من أمثال الخلفاء الراشدين وابن عباس ومعاد بن جبل وعبد الله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين وسعيد بن المسيب وسفيان الثوري وغيرهم، فنجد مثلا في تفسير قوله تعالى "فإن لم يصبها وابل فطل "ينقل عن الزمخشري والماوردي وابن عطية وابن الجوزي في موضع واحد من البحر المحيط، وكذا في تفسير قوله تعالى "إن تبدو الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم .. "نجده ينقل عن عدد من المفسرين كالطبري والقاضي أبي يعلى والقرطبي وابن العربي وغيرهم، حيث كان ينقل أقوال الفقهاء من هذه المصنفات إلى جانب نقوله عن كتب الفقه التي سبقت الإشارة إليها، والأمثلة الآتية توضح ذلك: في تفسير قوله تعالى ": يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون .. "سورة المائدة: ٤٣ تحدث أبو حيان عن حكم تصرفات من كان سكران هل هي نافذة أم لا، فقال: ..ومعنى "حتى تعلموا ما تقولون "حتى تصحوا فتعلموا، جعل غاية السبب والمراد السبب، لأنه مادام سكران لا يعلم ما يقول، وظاهر الآية يدل على أن السكران لا يعلم ما يقول، ولذلك ذهب عثمان وابن عباس وطاووس وعطاء والقاسم وربيعة والليث بن سعد وإسحاق وأبو ثور والمزني إلى أن السكران لا يلزمه طلاق، واختاره الطبري وقال: أجمع العلماء على أن طلاق المعتوه لا يجوز، والسكران معتوه كالموسوس معتوه بالوسواس .. وروي عن عمر ومعاوية وجماعة من التابعين أن طلاقه نافذ عليه، وهو قول أبي حنيفة والثوري والأوزاعي، قال أبو حنيفة أفعاله كلها ثابتة كأفعال الصاحي إلا الردة فإنه إذا ارتد لا تبين امرأته منه، وقال يوسف سكون مرتدا في حال سكره، وهو قول الشافعي إلا أنه لا يقتله في حال سكره ولا يستتيبه، واختلف قوله في الطلاق، وألزم مالك السكران الطلاق والقود في الجراح ولم يلزمه النكاح والبيع. قال الماوردي: وقد رويت عندنا رواية شاذة أنه لا يلزمه طلاقه واختلفوا في السكر فقيل هو الذي لا يعرف صاحبه الرجل من المرأة، قاله

جماعة من السلف وهو مذهب أبي حنيفة، ويدل عليه قوله "حتى تعلموا ما تقولون "فظاهره يدل على أن السكر الذي يتعلق به الحكم هو الذي لا يعقل صاحبه ما يقول .. وقال أحمد: إذا تغير عقله في حال الصحة فهو سكران، وحكي عن مالك نحوه.

وفي تفسير قوله تعالى: "ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "سورة المائدة: ٥٦ تحدث عن الردة وما يترتب عليها من أحكام في الدنيا والآخرة كما يفهم من الآية، ناقلا في ذلك أقوال الفقهاء والمجتهدين فقال: (وقيل حبوط أعمالهم في الدنيا هو عدم بلوغهم ما يريدون بالمسلمين من الإضرار بهم ومكايدتهم، فلا يحصلون من ذلك على شيء، لأن الله قد أعز دينه بأنصاره، وظاهر هذا الشرط والجزاء ترتب حبوط العمل على الموافاة على الكفر لا على مجرد الارتداد، وهذا مذهب جماعة من العلماء منهم الشافعي، وقد جاء ترتب حبوط العمل على مجرد الكفر في قوله "ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله" ، "ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يفعلون"، "لئن أشركت ليحبطن عملك "، والخطاب في المعنى لأمته، وإلى هذا ذهب مالك وأبو حنيفة وغيرهما، يعني أنه يحبط عمله بنفس الردة دون الموافاة عليها وإن راجع الإسلام، وثمرة الخلاف تظهر في المسلم إذا حج ثم ارتد ثم أسلم، فقال مالك يلزمه الحج، وقال الشافعي لا يلزمه الحج .. وتعرض المفسرون هنا لحكم المرتد، ولم تتعرض الآية إلا لحبوط العمل، وأما حكمه بالنسبة إلى القتل فذهب النخعي والثوري إلى أنه يستتاب محبوسا أبدا، وذهب طاووس والحسن ـ على خلاف عنه ـ وعبد العزيز بن أبي سلمة، والشافعي في أحد قوليه إلى أنه يقتل من غير استتابة، وروي نحو هذا عن أبي موسى ومعاد، وقال جماعة من أهل العلم يستتاب، وهل يستتاب في الوقت أو في ساعة واحدة أو شهر ؟ روي هذا عن علي، أو ثلاثة أيام، روي عن عمر وعثمان، وهو قول مالك فيما رواه ابن القاسم، وقول أحمد وإسحاق الشافعي في أحد قوليه، وأصحاب الرأي، أو مائة مرة وهو قول الحسن .. وقال أبو حنيفة يعرض عليه الإسلام، فإن أسلم وإلا قتل مكانه إلا أن يطلب أن يؤجل فيؤجل ثلاثة أيام، والمشهور عنه وعن أصحابه أنه لا يقتل حتى يستتاب، والزنديق عندهم والمرتد سواء، وقال مالك تقتل الزنادقة من غير استتابة ..

وفي تفسير قوله تعالى: "وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة .. "سورة البقرة: ٢٨٢ نقل أبو حيان أقوال أهل العلم في صحة قبض الرهن وشروطه فقال: (وأجمع الناس على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله، وأما قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال الجمهور به، وقال عطاء وقتادة والحكم وابن أبي ليلى ليس بقبض، فإن وقع الرهن بالإيجاب والقبول ولم يقع القبض فالظاهر من الآية أنه لا يصح إلا بالقبض، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة، وقالت المالكية يلزم الرهن بالعقد، ويجبر الراهن على دفع الرهن ليحوزه المرتهن، فالقبض عند مالك شرط في كمال فائدته، وعند أبي حنيفة والشافعي شرط في صحته، وأجمعوا على أنه لا يتم إلا بالقبض، واختلفوا في استمراره، فقال مالك إذا رده بعارية أو غيرها بطل، وقال أبو حنيفة إن رده بعارية أو وديعة لم يبطل، وقال الشافعي يبطل برجوعه إلى يد الراهن مطلقا. والظاهر من اشتراط القبض أن يكون المرهون ذاتا متقومة، يصح بيعها وشراؤها، ويتهيأ فيها القبض أو التخلية، فقال الجمهور لا يجوز رهن ما في الذمة، وقالت المالكية يجوز، وقال الجمهور لا يصح رهن الغرر مثل العبد الآبق، والبعير الشارد والأجنة في بطون أمهاتها والسمك في الماء والثمرة قبل بدو صلاحها، وقال مالك لا بأس بذلك، واختلفوا في رهن المشاع، فقال مالك والشافعي يصح فيما يقسم وفيما لا يقسم، وقال أبو حنيفة لا يصح مطلقا .

وفي تفسير قوله تعالى: "ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله .. "سورة البقرة: ٢٣٣

قال أبو حيان: (وهذا النهي معناه التحريم، فلو عقد عليها في العدة فسخ الحاكم النكاح، فإن كان ذلك قبل الدخول بها فقال عمر والجمهور لا يتأبد التحريم، وقال مالك وابن القاسم في المدونة ويكون خاطبا من الخطاب، وإن عقد عليها في العدة ودخل بعد انقضائها فقولان عن العلماء، قال قوم لا يتأبد والقولان عن مالك، ولو عقد عليها في العدة ودخل بها في العدة فقال عمر ومالك وأصحابه والأوزاعي والليث بن سعد وأحمد وغيرهم يتأبد التحريم، وقال مالك والليث ولا تحل له لملك اليمين، وقال أبو حنيفة والشافعي وعبد العزيز بن سلمة وجماعة لا يتأبد بل يفسخ بينهما ثم تعتد منه ويكون خاطبا من الخطاب،

وقال الحسن وأبو حنيفة والليث والشافعي وأحمد وإسحاق والمدنيون . غير مالك . تعتد من الأول، فإذا انقضت العدة فلا بأس أن يتزوجها الآخر، وقال مالك وأصحاب الرأي والأوزاعي والثوري عدة واحدة تكفيها جميعا سواء كانت بالحمل أم بالإقراء أم بالأشهر.

ولما كان أبو حيان يعتد بفقه أهل الظاهر وينقل الخلاف عنهم، فإنه يرى بأن موافقتهم لرأي الجمهور شرط في انعقاد الإجماع، فإذا نقل خلافهم لجمهور الفقهاء كانت دعوى الإجماع مردودة على من قال بها، وقد صرح بذلك في تفسير قوله تعالى: "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير.. "سورة البقرة:١٧٢ حيث نقل أبو حيان خلاف داود الظاهري لجمهور الفقهاء في حكم شحم الخنزير وهو قوله بإباحتها، ثم اعترض على ابن عطية في قوله بإجماع الأمة على تحريمه فقال: (وقوله أجمعت الأمة على تحريم شحمه ليس كما ذكر، ألا ترى أن داود الظاهري لا يحرم إلا ما ذكره الله تعالى، وهو اللحم دون الشحم، إلا أن يذهب ابن عطية إلى ما يذكر عن أبي المعالي عبد الملك الجويني من أنه لا يعتد في الإحماع بخلاف داود، فيكون ذلك عنده إجماعا، وقد اعتد أهل العلم الذين لهم الفهم التام والاجتهاد قبل أن يخلق الجويني بأزمان بخلاف داود، ونقلوا أقاويله في كتبهم كما نقلوا أقاويل الأئمة كالأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والثوري والشافعي وأحمد، ودان بمذهبه وقوله وطريقته ناس وبلاد وقضاة وملوك الأزمان الطويلة، ولكنه في عصرنا هذا قد خمل هذا المذهب.

وهو إذ ينقل من هذه التفاسير يحيل عليها بدقة متناهية، فنجده مثلا وهو ينقل عن المحرر المحرر لابن عطية يقول: (وفي النسخة التي وقفنا عليها من تفسير ابن عطية ما نصه) ففي هذه العبارة ما يدل على بالغ حيطته وأمانته فيما ينقله من الآراء والأقوال.

وفي مواضع قليلة من تفسيره نراه يستطرد لنقل الآراء الفقهية لمختلف الفرق الكلامية ثم يكر عليها فيفندها، ولكن من غير ذكر للمصادر التي نقل عنها أقوالهم وآراءهم، وإنما يستطرد في مثل هذه المواطن لما كان يراه من ضرورة تزييف هذه الآراء السقيمة التي كانت تصدر عن خلفيات مذهبية فاسدة، وقد تركت آثارها البالغة في تاريخ الأمة الإسلامية، مع عرض رأي أهل السنة والحديث في الموضوع.

ومن ذلك مثلا ما جاء في تفسير قوله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين "سورة البقرة: ١٢٣، وهي الآية التي سبق أن وقف عندها الزمخشري، وحملها من رؤيته المذهبية ما لا تحتمله، كما قد تعلقت بها مختلف الفرق للتدليل بها على آرائها السياسية في الإمامة، فاستطرد لذلك قائلا:

وقد ذكر بعض المفسرين هنا أحكام الإمامة الكبرى وإن كان موضوعها أصول الدين فهناك ذكرها، ولكني لا أخلي كتابي عن شيء ملخص فيها دون الاستدلال، فنقول: الذي عليه أصحاب الحديث والسنة أن نصب الإمام فرض خلافا لفرقة من الخوارج وهو أصحاب نجدة الحروري، زعموا أن الإمامة ليست بفرض، وإنما على الناس إقامة كتاب الله وسنة رسوله ولا يحتاجون إلى إمام، ولفرقة من الإباضية زعمت أن ذلك تطوع، واستناد فرضية نصب الإمام للشرع لا للعقل خلافا للرافضة، إذ أوجبت ذلك عقلا، ويكون الإمام من صميم قريش خلافا لفرقة من المعتزلة، إذ قالوا إذا وجد من يصلح لها قرشي ونبطي وجب نصب النبطي دون القرشي، وسواء في ذلك بطون قريش كلها خلافا لمن خص ذلك بنسل علي أو العباس، إما منصوصا عليه وإما باجتهاد، ولا ينعقد لإمامين في عصر واحد خلافا للكرامية، إذ أجازوا ذلك وزعموا أن عليا ومعاوية كانا إمامين في وقت واحد، والقول بالتقية باطل خلافا للإمامية، ومعناها أنه يكون الشخص الجامع لشروط الإمامة إماما مستورا، لكنه يخفي نفسه مخافة من غلب على الملك ممن لا يصلح للإمامة، وليس من شرط الإمام العصمة خلافا للرافضة، فإنهم يقولون بوجوب العصمة للإمام سرا وعلنا، وليس من شرطه الإحاطة بالمعلومات كلها خلافا للإمامية، والإمام مفترض الطاعة فيما يؤدي إليه اجتهاده، وليس لأحد الخروج عليه بالسيف، وكذلك لا يجوز الخروج على السلطان الغالب خلافا لمن رأى ذلك من المعتزلة والخوارج والرافضة وغيرهم.

ويستند أبو حيان في تعامله مع هذه المصادر المختلفة إلى حاسته النقدية القوية، حيث نجده يقف أمام الأقوال الكثيرة في الآية الواحدة، فيناقشها ويفحصها، فما كان من الأقوال يدعمه الدليل قدمه وأخذ به، وما كان يفتقر إلى البرهان رده، أو توقف في قبوله على

الأقل، ولا يغتر بكثرة من قال برأي معين، حتى وإن كان ذلك من أوليات الفقه الإسلامي، إذا كان عاريا عن الدليل الواضح، فمن ذلك مثلا ما جاء في تفسير قوله تعالى: "وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا .. "سورة البقرة: ٢٢٦حيث نجد أبا حيان ينقل آراء مختلف الفقهاء والمجتهدين في صفة الرجعة بعد الطلاق الرجعي فيقول: واختلفوا فيما به الرد، فقال سعيد والحسن وابن سيرين وعطاء وطاووس والزهري والثوري وابن أبي ليلى وأبو حنيفة: إذا جامعها فقد راجعها ويشهد، وقال الليث وطائفة من أصحاب مالك: إن وطاه مراجعة على كل حال نواها أو لم ينوها، وقال مالك إن وطئها في العدة يريد الرجعة وجهل أن يشهد فهي رجعة وينبغي للمرأة أن تمنعه الوطء حتى يشهد. وقال الشافعي: ولا تصح الرجعة إلا بالقول، وقال أبو حنيفة والثوري إن لمسها بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة فهو رجعة، وينبغي أن يشهد في قول مالك والشافعي ..

ثم قال أبو حيان بعد هذا الكلام وغيره: (قالوا ويستغني الزوج في المراجعة عن الولي، وعن رضاها، وعن تسمية مهر، وعن الإشهاد على الرجعة على الصحيح، ويسقط بالرجعة بقية العدة، ويحل جماعها في الحال. ويحتاج في إثبات هذا كله إلى دليل واضح من الشرع، والذي يظهر لي أن المرأة بالطلاق تنفصل عن الرجل، فلا تجوز له أن ترجع إليه إلا بنكاح ثان، ثم إذا طلقها وأراد أن ينكحها، فإما أن يبقى شيء من عدتها أو لا يبقى، إن بقي شيء من عدتها، فله أن يتزوجها دون انقضاء عدتها منه إن أراد الإصلاح، ومفهوم الشرط أنه إذا أراد غير الإصلاح لا يكون له ذلك، وإن انقضت عدتها استوى هو وغيره في جواز تزويجها، وأما أن تكون قد طلقت وهي باقية في العدة فيردها من غير اعتبار شروط النكاح، فيحتاج إثبات هذا الحكم إلى دليل واضح كما قلناه، فإن كان ثم دليل واضح من نص أو إجماع قلنا به، ولا يعترض علينا بأن له الرجعة على ما وصفوا، وأن ذلك من أوليات الفقه التي لا يسوغ النزاع فيها.

ويبدو أن هذه من المواضع التي طغت فيها النزعة الظاهرية على أبي حيان الأندلسي، فخالف ما يشبه الإجماع في هذه المسألة، لأن الله تعالى إنما اشترط الإشهاد لا غير في الرجعة كما جاء في سورة الطلاق "فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن

بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.. "الطلاق: ٢ فمن زاد عن هذا الشرط من الشروط هو الذي يطالب بالدليل، كما أنه لم ينقل في السنة النبوية عن أحد من الصحابة أنه صدر منه طلاق فأمره النبي . ص . بإعادة الخطبة والعقد، ولكن كان يأمرهم بالمراجعة..

إلا أن هذه النزعة الظاهرية التي طغت على أبي حيان في مواضع قليلة من تفسيره البحر المحيط، مغتفرة إلى جانب محاسنه الأخرى في تعامله مع مصادره الفقهية من حسن تخيره للآراء الفقهية ما كان أكثر صوابا، وأقرب إلى مدلول النص القرءاني، كما أن أمانته العلمية في النقل والاقتباس، وقلة تأثره بالأفكار والآراء السياسية في توجيه آيات الأحكام جعله أكثر موضوعية وأقل تعصبا وأحسن صنيعا من مما فعله الزمخشري في تعامله مع مصادره الفقهية. وكأن المنهج الظاهري جريمة!! على كل حال هي شنشنة معتادة من الدكاترة وقد هجاهم الشيخ أبو عبد الملك الظاهري.

قلت: فرغم ما شابه من تعصب ففيه إفادات لا شك فيها ولى وقفات مع الكاتب ووقفة معك

أولا: أما وقفتى معك فكان عليك ان تسمى هذا الموضوع مصادر أبى حيان التفسيرية والفقهية، لأن غالب الموضوع الناحية التفسيرية والمصادر اتفسيرية وإن تناولها من ناحية الفقه، لكن مقصد المؤلف أن يبين النواحى الفقهية عند أبى حيان، وليست أمامه طريقة إلا تفسير البحر المحيط

ثانيا: أن قول المؤلف عن نزعة أبى حيان "أن هذه النزعة الظاهرية التي طغت على أبي حيان في مواضع قليلة من تفسيره البحر المحيط *، مغتفرة إلى جانب محاسنه الأخرى في تعامله مع مصادره الفقهية "زعم باطل من وجهين الأول أن نزعة أبى حيان الظاهرية وإن بدت لغير المتخصص أو المقلد فى مواضع قليلة فهى أصلا نزعة فى مواطن كثيرة، إذ إن المخالف لا يعرف النزعة الظاهرية إلا من خلال قول أبى حيان قال ابن حزم أو داود، أو إذا ما دافع عن داود أو مذهبه، أما أهل الظاهر فهم أدرى بمنهجهم ويعرفون حقيقة رجالهم من خلال التنظير والمنهج والأصول، أما الوجه الثانى فإن

حديث المؤلف عن نزعة أبى حيان الظاهرية هو حديث المقلد الذى لا يعتد بالظاهرية ويريدأن يهيل التراب عليها وعلى منينتسب لها، وهذا أمر لا يذهب إليه إلاأهل التقليد، وهؤلاء قوم صاروا فى ركاب من لا يتحدث معه بتقليدهم الفاسد، والذى لو تعلموا مذاهبهم جيدا ولأأتقنوها لعلموا أن أئمتهم نهوا عن التقليد جملة وذموه ذما شديدا

ثالثا: أن قول المؤلف عن أبى حيان لما قدم إلى مصر "قيل أنه تحول إلى المذهب الشافعي، وهو الأشهر والأظهر، والدليل على ذلك أنه ألف هناك كتابا في الفقه الشافعي وهو "الوهاج في اختصار المنهاج "اختصر فيه كتاب "منهاج الطلاب "، وهو مختصر كتاب "المحرر في فقه الشافعي "للإمام النووي "فهذه حجة واهية لا معول عليها، ولوكان الأمر كذلك لقلنا إن ابن حزم صار مالكيا لأنه شرح الموطا للإمام مالك، ولقلنا عن العز بن عبدالسلام المجتهد الفذ الشافعى أنه ظاهرى أو حنبلى لأنه دعا لدراسة كتاب المحلى لابن حزم، والمغنى لابن قدامة، ولأتعبنا التحقيق حول مذهب ابن دقيق العيد وهو الإمام المجتهد الذى اختصر بعض كتب الشافعية والمالكية على السواء فماذا نقول فيه إن لم نجعله مجتهدا هل هو مالكى أم شافعى الثابت عن أبى حيان أنه ظل على ظاهريته ولذا هو القائل "محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من عرفه "والرل رحمه الله عرفه ايما معرفة حتى أنه اختصر المحلى ودعا إلى الاعتداد بخلاف داود وانتقد الجوينى وغيره مما لا يعتدون بخلافهفهل لو كان غير ظاهرى لفعل ذلك، ولدافع عن داود وعن ابن حزم وعن أقواله إلى جانب قوله السابق، وهل لو كان غير ظاهري كانت ستظهر نزعته الظاهرية عليه فى كتابته التى يعرفها القاصى والدانى.

رابعا: أن مختصر أبى حيان للمحلى ورد بعدة أسماء فقد ذكره صاحب كشف الظنون باسم الأنور الأعلى فى اختصار المحلى (١) وذكره صاحب البدر الطالع باسم الأمر الأحلى

(١) أنظر: ج٢ ص١٦١٧

في اختصار المحلى ([1])، وذكره ابن شاكر الكتبى باسم النور الأحلى واختصار المحلى([2])، والصحيح هو ما ذكره أبو حيان نفسه "الأنور الأجلى فى اختصار المحلى"([3]).

وفاتة: عمّر أبو حيان في القاهرة حتى توفي في منزله خارج باب البحر بظاهر القاهرة في الثامن والعشرين من صفر سنة ٧٤٥هـ، ودُفن بمقابر باب النصر شمال القاهرة.

١١-أبو حفص القرشى عمر بن مسلم بن سعيد بن عمر بن بدر بن مسلم بن سعيد الكتانى البلخى القبيباتى (ت ٧٩٢هـ) سبق ذكره فى الفقهاء .

١٢-العلامة صديق حسن خان القنوجي الظاهري (ت ١٣٥٧هـ) سبق ذكره فى الفقهاء .

١٣-الأستاذ الدكتور عبدالعزيز على الحربى السعودى اليمنى الظاهرى: ولد عام ١٣٨٤ هـ .حفظ القرآن في الحادية عشرة من عمره بمكة المكرمة. تخرج في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٩هـ وكان الأول في جميع مراحلها. عرض القراءات العشر على الشيخ أحمد الزيات والشيخ محمود سيبويه البدوي وأجيز منهما.

وصف فى شبابه بطالب العلم القوي عبد العزيز الحربي الظاهري اليمني الأصل. درس في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، قال الدكتور عبد الرزاق حسين انه قوي في العلم مناظر لامثيل له ومنع من الماجستير لانه ظاهري ولعلمه منحه أحد الامراء الجنسية .

قلت: حصل صاحبنا الحربى على الماجستير والدكتوراة وعلى درجة الأستاذية وهو الآن أحد أشهر اساتذة التفسير وعلوم القرآن والقراءات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة حرسها الله .

وكان عنوان أطروحته للدكتوراة مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد محمد النسفي من أول سورة النحل إلى آخر سورة الروم. وعنوان أطروحته للماجستير

(١) أنظر: ج٢ ص٢٨٩

(٢) أنظر فوات الوفيات ج٢ ص ٥٦٩.

(٣) أنظر: البحر المحيط، ج٢ ص٣٤.

توجيه مُشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيراً وإعراباً .

كان مدرساً قبل ذلك بمعهد الحرم المكي الشريف. عُني مبكراً بحفظ المتون ودراستها كما اهتم بفقه الحديث واللغة وبمصنفات ابن حزم وابن تيمية. قرأ عليه كثير من طلبة العلم في علوم القرآن والحديث ومتون العقيدة والأصول والقراءات والنحو واللغة والبلاغة والمنطق وأشعار العرب.

وقد تضمن كلام الدكتور الحربى لقناة الفجر أنه من مواليد المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ثم انتقل إلى مكه التى يعيش بها الآن وأنه حصل على شهادة الدكتوراة من جامعة أم القرى وأنه قد من الله عليه فحقظ القرآن بقراءاته العشر وأنه قد حصل على إجازة بالقراءات السبع على يد شيخه أحمد بن عبدالعزيز بن احمد الزيات وهذه الإجازة تمر بكل من ابن الجزرى والشاطبى وابى عمرو الدانى إلى أن تصل إلى جماعة من الصحابة عليهم رضوان الله منهم عمر بن الخطاب - عثمان بن عفان – على بن أبى طالب- أبوهريرة – زيد بن ثابت – ابن عباس- أبى بن كعب- أبو موسى الأشعرى وغيرهم وهؤلاء رضى الله عنهم أخذوا عن النبى صلى الله عليه وسلم كما حصل على إجازة بالقراءات الثلاثة المتممة للعشر على يد شيخه الذى وصفه بالمحقق المدقق اللغوى محمود سيبويه بن أحمد البدوى مرورا بابن الجزرى والشاطبى وابى عمرو الدانى إلى أن تصل إلى الصحابة السابقين رضى الله عنهم أجمعين.

ومن فتاوى الدكتور الحربى :

١–ذكر في القرآن الكريم كلمة الخلق والأمر. فما هو الخلق؟ وما هو الأمر؟ وما الفرق بينهما؟

الجواب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :فقد ذُكِر الخلق والأمر مقترنين في آية واحدة، هي قوله تعالى: "... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " الأعراف: ٥٤.وأول الآية في خلق السموات والأرض، والمراد بالخلق في قوله "ألا له الخلق" المخلوقات كلها، و"الأمر" أمر التصرّف فيها، فهو المتصرف فيها وحده لا شريك له، وأمر

الخلق كلهم راجع إليه، كما قال تعالى: "وإليه يرجع الأمر كله "هود:١٢٣. هذا هو المتبادر عن معنى اللفظ، ويدخل فيه أمره الكوني، وقوله للشيء" :كُنْ" قال عز وجل: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" يس:٨٢ .وقوله ليس من خلقه، وبذلك استدل العلماء من أهل السنة والجماعة على أن كلام الله غير مخلوق، لأن أمره بالخلق، وهو قوله "كن" لو كان مخلوقاً لكان مندرجاً في معنى الخلق، ولما عطف عليه "الأمر"؛ والعطف في الأصل يقتضي أن الثاني غير الأول.

والمفسرون ينقلون عن سفيان بن عيينة أنه استدل بالآية على أن كلام الله –ومنه القرآن– غير مخلوق؛ لأن الله فرّق بين الخلق والأمر .وفسّر بعضهم الأمر في الآية بالأمر الذي يقابل النهي، ومنهم من قال: الخلق: ما دون العرش، والأمر: ما فوق ذلك، ومنهم من فسّر الأمر بالإرادة، وكل ذلك لا دليل عليه.. والذي يحتمله ظاهر النّص دون غيره، وكفى به دليلاً: وهو ما ذكرته أولاً.. والله أعلم.

٢–البعض يقولون إن سيدنا يوسف –عليه السلام– تلقى تميزاً من قبل والده، وهذا ليس بعدل من قبل والده، ونحن نعلم أن والده نبي، فكيف يتفق هذا؟ .

الجواب

على هذا السؤال جوابان :أحدهماً: أن العدل في التفصيل والتمييز بين الأبناء مما لا يجب في شرع من قبلنا، وشرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، فإن الله يقول: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً" المائدة: من الآية٤٨.الثاني: أن العدل بين الأبناء واجب في العطية ونحوها، فإذا أعطى الوالد واحداً من الأولاد عطية وجب عليه أن يعطي سائرهم مثلما أعطاه، كما يدل على ذلك مقتضيات الحديث النبوي الذي رواه البخاري(٢٥٨٦)، ومسلم(١٦٢٣) عن النعمان بن بشير –رضي الله عنهما–، وأما ما يتعلق بالمحبة والعناية لمعنى من المعاني فلا يجب فيه العدل، كأن يكون أحد الأولاد متميزاً بعقله وذكائه فيوليه الوالد عناية خاصة تيسر له ذلك، ولو صرفها في إخوته لضاعت هدرا، ولهذا يؤمر الوالد أن يعنى بكل واحد من ولده بحسب ما يسر له، وأما العطية فلا يجوز له أن يميز أحداً من أحد، ولو تميز بعضهم في الصلاح أو الخلق، أو العلم والعقل، وغير ذلك، وليس في قصص يوسف– عليه السلام–

أن أباه يعقوب–عليه السلام– منحه شيئاً من الدنيا، بل كان يحبه حباً له أسباب عظيمة عرف إخوته بعد ذلك أسرارها فعذروا أباهم وعرفوا منزلة أخيهم، وقد يكون للمحبة أسباب تجعل المحب يذهل أحياناً عن العدل فيما يجب العدل فيه من غير عزم ولا إرادة جازمة فيعذر. والله أعلم.

٣–كنت أقرأ القرآن في أحد المساجد، ثم وقع في يديَّ قرآن فيه كتابة حرف الفاء بدون نقطة، والقاف بنقطة واحدة، وهنالك اختلاف في أحرف أخرى، ولكن ما لفت انتباهي أكثر وجود آيات برقم تسلسلي غير الذي عهدناه، ومكتوب على القرآن رواية ورش بن نافع. أفيدوني، هل هناك مصاحف بهذا الشكل؟ وهل هناك مصاحف أخرى مختلفة؟.

الجواب:

الحمد لله:هنالك اختلاف في رسم الحروف والنقط بين مصاحف المشارقة والمغاربة، وهذا المصحف الذي قرأت فيه من مصاحف المغاربة، وطريقتهم في رسم الفاء هكذا "ف" بنقطة واحدة من أسفل، والقاف بنقطة واحدة من فوق، وهنالك اختلاف في أحرف أخرى، وأما اختلاف أرقام الآيات فهو راجع إلى اختلاف علماء القراءة في العدد، فعدد الآيات عند المكيين يختلف عن البصريين، والعدد المدني يختلف عن العدد الشامي، وهكذا، فمثلاً: الكوفيون والمكيون يعدون البسملة آية من سورة الفاتحة، ولا يجعلها غيرهم آية؛ بل يجعلون الآية الأولى من الفاتحة هي: "الحمد لله رب العالمين" ويعدون قوله تعالى: "صراط الذين أنعمت عليهم"[الفاتحة:٧]، بعض الآية السابعة من الفاتحة، وهذا الاختلاف كالاختلاف في القراءات كله يؤخذ به ويقبل، وليس من نوعي اختلاف التضاد والتضارب. والله أعلم.

٤– لقد وردت هذه الألفاظ في القرآن الكريم، نرجو منكم أن تبينوا لنا الفرق بين هذه الألفاظ المتشابهة في الظاهر والمختلفة في المعنى والمضمون1):الفؤاد، والقلب (2). البصر، والرؤيا، ونظر (3).الهم، والغم، والحزن (4).الإفراط، والتفريط (5).الكذب، والإفك (6).السنة، والعام (7).الضر، والضرار.ولكم الشكر.

الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .الحمد لله، وبعد :لا يوجد في اللغة العربية ترادف

حقيقي، ولكن يكون الشيء من الأشياء له إطلاقات باعتبار المراد، وما ورد في القرآن من ذلك مما يشبه المترادف، ليست كإطلاقاتنا التي تفتقد الدقة؛ بل بين كلماته فرق بحيث لو وضع مكان الكلمة غيرها؛ فقد المدلول التام لتلك الكلمة، ومن ذلك ما ورد في السؤال، فالفؤاد هو القلب، لكنه (أي: الفؤاد) إذا ورد روعي فيه المعنى الاشتقاقي، وهو التفؤد أي: التوقّد، كقوله –تعالى–: "وأفئدتهم هواء "إبراهيم: ٤٣، وقوله" :وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً" [القصص: ١٠]، فإذا كان المقام مقام حزن، وهم، وخوف، أو ملابسة اشتعال، كقوله –تعالى–: "التي تطَّلع على الأفئدة" [الهمزة: ٧]، كان الفؤاد هو المناسب للحال والسياق .والنظر: تقليب العين لإدراك المرئي، والبصر رؤية مع تأمل، والرؤية أوسع من هذا، وهذا يطلق عليهما وعلى غيرهما .وأما الهمّ: فإنه يكون على شيء مستقبل البداية أو النهاية، والحزن على شيء مضى وانقضى.والغمُّ :كربة تَغْشى القلب، وتكسب الحيرة والدهش . والإفراط: مجاوزة الحد، والتفريط :التقصير فيه، وهذان اللفظان لم يردا في القرآن بهذه الصيغة، ووردت لهما صيغ أخرى .والإفك: يراعى فيه صرف الشيء عن وجهه، كالصرف عن الحق إلى الباطل، ولا يدخل فيه مخالفة الواقع إن كان غير مقصود، والكذب أوسع من ذلك .وأما السَّنَة؛ فإنها تطلق على الزمن المعروف المؤلف من اثني عشر شهراً، لكن إذا أطلقت يراعى فيها معنى القحط، والشدة، والضيق، والعام يطلق على تلك المدة، إذا كان الزمن زمن رخاء وسعة، ومنه قوله –تعالى–: "فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً" [العنكبوت: ١٤]، فإن مكثه فيهم كان زمن نصب، وتعب، وإيذاء، ولهذا ميزت بالسنة. والخمسون عاماً كانت مع من بقي معه من المؤمنين، وكان خيراً من هذه الجهة، ولهذا ميَّز بالعام، وقد يستعمل أحدهما في موضع الآخر بالنظر إلى المدلول العام وهو الزمن المعروف المعيَّن .وأما الضر: فمعلوم معناه، وهو ضد النفع، وهو الاسم، وأما الضرار: فهو فعل الضر، هو المضارّة؛ لأنه مصدر، كالقتال والقتل. والله أعلم.

٥– ما هي فترة الحمل والولادة لسيدنا عيسى بن مريم – عليه السلام–؟.

الجواب :

الحمد لله، هذه المسألة لم ينص على تحديدها القرآن ولا السنة، ويروى فيها عن

السلف أقوال مضطربة، لا يصح القطع بواحد منها، فمنهم من قال :كانت مدة حملها ساعة، ومنهم من قال: تسعة أشهر كسائر النساء، وهو مروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما– وقيل: ستة أشهر، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: غير ذلك .فإن كان ثمة ترجيح فهو للقول الأول، لأن الله قال في خلقه: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" [آل عمران: ٥٩]]، ففيه دليل محتمل على أن خلقه كان معجلاً، ويلي هذا القول، القول الثاني: والقائل به يقول: لو كانت مدة حمله مخالفة لعادات النساء لناسب ذكر ذلك ضمن هذه القصة الغريبة، ومع ذلك فليست هذه المسألة مما تحرك الهمم لاستقصاء الأقوال فيها والبحث عن الحق فيها... فمهما كان فيها من العجب من قدرة الخالق – عز وجل–، فقد ذكر ما هو أعجب منها وأكبر، وهو خلق عيسى – عليه السلام– من غير أب، فإن هذا يطوي جميع ما هو دونه في أدراجه، وممن ذكر الخلاف وشيئاً مما ذكرته الألوسي في تفسيره روح المعاني(١٦/٧٩–٨٠). والله أعلم.

٦– سؤالي هو: قال تعالى "فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً" لماذا فرق بين السنة والعام مع أنهما مسمى واحد؟ ولكم الشكر سلفاً وجزاكم الله خيراً.

الجواب:

الحمد لله، في ذلك جواب معروف، وهو أن العام والسنة يطلقان على زمن واحد من حيث عدد الشهور، غير أن العرب تستعمل كلمة: (العام) إذا كان عام رخاء في العين والحياة، وتطلقه كذلك في الزمن المستقبل المجهول على سبيل التفاؤل ليكون أيضاً عام رخاء وبلهنية في العين .

وأما السنة فإنهم يستعملونها في زمن القحط والمجاعة، بل توسعوا في ذلك حتى سمو القحط سنة، من باب إطلاق المحل وإرادة الحال، وعلى هذا إذا تأملت الحالين اللذين عاشهما نوح – عليه السلام – وهي زمن اللبث في قومه والزمن الآخر وجدت التمييز بلفظ سنة في حال الإنذار مناسباً لذلك المعنى، لأن نوحاً –عليه السلام – لقي من قومه الإيذاء والعناد والصلابة والسخرية، وصادف قلوباً ميتة قاسية لم يؤثر بها وابل الوحي ولم تحي بالإيمان، فكان كالأرض الهامدة الميتة التي أصابتها سنة بسبب انقطاع الغيث، والمدة التي

لبثها في قومه تسعمائة وخمسون سنة، وأما الخمسون عاماً فلم تكن كذلك فقد عاشها نوح – عليه السلام - مع قومه المؤمنين بعد هلاك الكافرين، ويمكن أن تكون هذه الخمسون قبل الإنذار أو بعضها قبله وبعضها بعده. والله أعلم.

٧– هل الملكان هاروت وماروت اللذان ذكرا في القرآن الكريم مطرودان من الجنة؟ أم حقق الله لهم رغبتهما في النزول إلى الأرض؟ هل يمكن أن أحصل على قصتهما بالتفصيل؟ والله الموفق

الجواب:

ذكرت قصة (هاروت وماروت) في سورة البقرة آية: [١٠٢]، وفي عامة مبسوطات التفسير تفصيل لصتهما، وخلاف مطوّل في حقيقتهما وحقيقة ما أنزل إليهما، كتفسير ابن جرير الطبري، وتفسير الفخر الرازي، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وخلاصة ما قيل فيهما: إنهما ملكان أنزلهما الله، تشكلا للناس؛ ليتعلموا منهما السحر حتى تكشف أسرار السحر التي كان يعملها السحرة، فأراد الله تكذيبهم بواسطتهما .وقيل: هما رجلان تظاهرا بالصلاح ببابل، كانا يعلمان الناس السحر، وظن الناس أنهما ملكان نزلا من السماء؛ لما رأوه فيهما من التقوى، وبلغ مكر هذين الرجلين حين رأيا حسن اعتقاد الناس بهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما: "إنما نحن فتنة فلا تكفر" [البقرة: ١٠٢]، يقولان ذلك لإيهام الناس أن علمهما إلهي، وأنهما لا يقصدان إلا الخير، كما يفعل ذلك كثير من الدجالين في سائر الأزمان، وسميا ملكين (بفتح اللام) لتلقيب الناس لهما بذلك، وفي قراءة الحسن "وما أنزل على الملكين" (بكسر اللام) وهذا القول أوفق من الذي قبله.

وأما ما روي من مسخهما وطردهما بعد وقوعهما في الفاحشة وشربهما الخمر بعد أن كانا من الملائكة، فذلك من أُكذوبات اليهود واختلاقاتهم، أبطلها المحققون وبينوا زيفها، ومن أحسن من لخص أقوال المفسرين وعنى بتصفيتها جمال الدين القاسمي ١٣٣٢هـ في تفسيره: (محاسن التأويل) (٢/٢٠٧–٢١٥)، فليرجع إليه. والله أعلم.

٨– هناك أحد علماء التجويد عندنا يقول بأنه لا يجوز لمن ليس لديه سند متصل بالقرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يعرض القرآن على شيخ قارئ فيجيزه فيه، لا يجوز

له قراءة القرآن ولا تدريسه، ولدينا في بلادنا حلقات لتحفيظ القرآن الكريم يدرس فيها بعض الشباب الصالح غير أنهم ليسوا على ما ذكر ذلك الشيخ .فهل ما قاله صحيح؟ أفتونا جزاكم الله خيراً.

الجواب:

من قال: لا يجوز إقراء القرآن ولا قراءته إلا بإجازة وإسناد فهو مخطئ، جاهل بمذهب السلف، ويذكر عن بعض المتأخرين اشتراط ذلك لمن أراد الإقراء، لا القراءة، فإن اشتراط الإجازة للقراءة لا يقوله عاقل، ولا يمكن تصور إجازة إلا بعد قراءة، وأظن مسألة القراءة زيادة من السائل، فهمها خطأ، لم يقل بها معلم التجويد المذكور، والمقصود: أن اشتراط ذلك والتعسير على الناس بمثل هذا ليس من الحق في شيء، فإن الله يسر للناس الذكر، تلاوة، وحفظاً فقال: "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ"[القمر: من الآية١٧]، وكان في الصحابة –رضي الله عنهم– العربي والعجمي، وفيهم الأعرابي، وكل يقرأ بما تيسر له، ويقول لهم: "اقرءوا فكل حسن" أبو داود (٨٣٠) وأحمد (١٤٨٤٩ (والحديث صحيح، بل أنزل القرآن على سبعة أحرف (لغات)، تيسيراً عليهم ودفعاً للمشقة، ولم يكن منهم ولا بعدهم من أهل القرون الأولى من يجيز، ولا يجاز بإسناد، وقد رد السيوطي في كتاب (الإتقان) على من يشترط ذلك، وتفصيل ذلك يطول، وقد جرت بيني وبين بعض الناس مباحثة في هذا، وكان مما قلته له هذه الأبيات التي منها:

قالوا :الإجازة من شيوخ *** الذكر شرط في القراءة
قلت: السلام عليكم *** رفقاً بنا ما ذي الجراءة
هل كان لأسلاف الأوائل *** قبل عام التسعماءة
لا يقرؤون بغيرها *** أين التثبت والبراءة؟
من يعشق التقليد يوماً *** يرجع التقليد داءه

والله الموفق.

٩– استمعت إلى بعض تلاوات القرآن لعدد من القراء من أمثال القارئ عبد الباسط والمنشاوي، وغيرهم، فما حكم التلاوة بتلك الطريقة؟ علماً أنه يصاحبها تكبير وتعليق

من الحاضرين لتلك التلاوة، أفيدوني جزاكم الله خيراً .

الجواب:

أمر الله عز وجل بترتيل القرآن وتلاوته على مكث وترسل، ويتحقق ذلك ببيان الحروف وإخراجها من مخارجها بصفاتها بوضوح من غير تكلف، فما كان كذلك من القراءة سواء كان بحدر – أي إسراع– أو تحقيق – أي تطويل– فهو سائغ.وشرط ذلك كله :

١– ألا يتجاوز في أحكام التجويد حتى يخرج عن حد القراءة.

٢– وألا يعجل به القارئ عجلة تمنعه من التدبر والفهم.

٣– أن يراعي النطق الصحيح بالحروف.

وتلاوة كثير من قراء المحافل ومنهم من ذكر في السؤال يحصل لديهم تجاوز وإفراط في المدود والغنن، والمنشاوي من أقلهم تكلفاً وأحسنهم أداء، وتلك القراءات التي يحصل فيها التكبير والتعليق والصياح كلها من البدع المنكرة التي ابتدعت في العصور المتأخرة، ولا يزال علماء الشريعة والقراءة ينكرون على من فعل ذلك، والفطر السليمة تدرك مخالفته لما يستوجبه المقام من سكينة ووقار، والله أعلم.

قلت: ومن مصنفاته :

1. توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغةً وتفسيراً وإعراباً. نشر دار ابن حزم – الرياض .الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م عدد صفحات الكتاب: ٥٦١.
2. الشرح الميسر على ألفية ابن مالك في النحو والصرف. نشر دار ابن حزم . الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. عدد صفحات الكتاب: ٣٩٦.
3. متن الكفاية في العقيدة والفرق والمذاهب وعليه الهداية إلى معاني أبيات الكفاية. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ عدد صفحات الكتاب: ١٠٤.
4. ماهب ودب . السفر الأول . وبذيله زبدة الألفية. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ. عدد صفحات الكتاب: . 98
5. تفاصيل الجمل شرح لامية ابن الوردي. نشر مكتبة العبيكان. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. عدد صفحات الكتاب: ١١١.

6. سكتات حفص في القرآن الكريم من طريق الشاطبية وتوجيهها. نشر دار ابن حزم – الرياض.
الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. عدد صفحات الكتاب: ٣٢.
7. جدوى التعريفات الاصطلاحية في علوم الشريعة والعربية. نشر دار ابن حزم . الرياض .الطبعة الاولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. عدد صفحات الكتاب: ٣٢.
٨. إستبراق الديباج والحرير (نظم كتاب الضعفاء الصغير للإمام البخاري). نشر دار الفنون للطباعة والنشر والتقليف – جدة. عدد صفحات الكتاب: ٣٩.
٩– وقف التجاذب (المعانقة) فى القرآن الكريم، دار ابن حزم.
١٠– معانى الروح فى القرآن الكريم، دار ابن حزم.
١١– وجه النهار فى التفسير .
١٢– أَيسَرُ الشُّروحِ على مَتنِ الآجرُّوميَّةِ، دار ابن حزم.
١٣– وجه النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار، دار ابن حزم.
١٤– ديوان شعر.
١٥–ديوان خطب .
١٦– مقامات .
١٧– تحقيق جزء من تفسير النسفي.

قلت: وقد تحدث أحد اصحابنا على الدارة قديما وذكر الشيخ الحربى قائلا: الشيخ عبد العزيز الحربي من الأفذاذ النبهاء أحسبه والله حسيبه مجرد النظر إليه تراه رجلا عاقلا ذكيا بصيراً وزرته مع إخواني في بيته فأحسن ضيافتنا، وأهدانا:
١– أيسر الشروح على الآجرومية
٢– الشرح الميسر على ألفية ابن مالك٣
– مقصورة ابن دريد .